Maktabatul 'ilmi

الجهاد سبيلنا

تأليف
عبد الباقي رمضون

مؤسسة الرسالة

الجهاد سبيلنا

تأليف
عبد الباقي رمضون

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٢١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ - ص.ب ٧٤٦٠ برقيا، بيوسران

الجهاد سبيلنا

بسم الله الرحمن الرحیم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Maktabatul 'ilmi

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بكمال وجهه الكريم وجلال قدره العظيم، وعظيم سلطانه القديم . . .

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ورسولنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وسيد المجاهدين الصابرين، وعلى آله وصحبه الميامين، ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين .

وبعد . .

فإن الدافع والحافز لتأليف هذا الكتاب هو الفوز بشرف المساهمة في طريق الجهاد الاسلامي مع المجاهدين في سبيل الله لإعلاء كلمة الله عبر الرأي والقلم، وليبقى هذا الكتاب أجراً جارياً إلى يوم القيامة، ألقى به وجه ربي الكريم، وهو عني راض بفضله ومشيئته .

والذي أحب أن أنبه له قبل أن أخط أي كلمة في هذا الكتاب هو أني معترف بضعفي وتقصيري كبشر يخطىء ويصيب، مع أني قد تحريت الصواب فيما كتبت، وتقصيت الدقة فيما نقلت، فمن وجد خطأ أو تقصيرا أو ملاحظة فيه فليراسلني به، ولا يحرمني من رأيه فيه، لتلافي الأخطاء، وليخرج الكتاب أقرب ما يكون الى الحق والصواب في الطبعات الأخرى، ونكون له من الشاكرين، وله من الله الأجر العظيم إن شاء الله تعالى.

تقريظ

لفضيلة الشيخ محمد علي مشعل

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، أمر بالجهاد فقال: ﴿وجَاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾[1] ورفع شأن المجاهدين وأعلى مكانتهم.

والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وخاتم أنبيائه ورسله أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين وأتباعه الغر المحجلين، ومن عمل بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد كثرت في هذا الزمان الفتن، التي هي كقطع الليل المظلم، فصرفت الكثيرين عن التمسك بالاسلام، وجرت الكثيرين الى الفواحش والكبائر والمنكرات، يُصبح الرجل مؤمنا، ويمسي كافرا ويبيع دينه بعرض الدنيا. وغُزي المسلمون غزواً شديداً، فقلدوا الكافرين، وتشبهوا بهم في كثير من شؤونهم. واقتحمت البدع كثيراً من المجتمعات، ومنها ما هو مخالف للإيمان، ومناهض للتقوى، وموالاة للشيطان، وأصبحت الحاجة ماسة للدعاة المخلصين، والكُتّاب الصادقين، والوعاظ المرشدين، والمؤلفين النابهين. وبخاصة وقد عزف الناس عن الجهاد، واثاقلوا إلى الأرض، ورضوا بالحياة الدنيا.

ولا نجاة من هذا البلاء الشديد إلابالمعرفة الصادقة والفهم الصحيح لدين الله، والجهاد على تطبيقه بالقلب واللسان كما جاء في الحديث:

«لا ينجو منه إلا من عرف دين الله، فجاهد عليه بقلبه ولسانه» وكل ما أصاب المسلمين هو بما كسبت أيديهم.

قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[2]

---

(١) سورة التوبة آية ٤١ . (٢) سورة الشورى آية ٣٠ .

Maktabatul 'ilmi

وقال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[1]

وطريق النجاة يتلخص في أمرين اثنين:

١ ـ معرفة بدين الله، وفهم حقيقي صحيح لشرع الله.

٢ ـ الجهاد على تطبيقه، والدعوة إليه بالقلب واللسان والأركان «الأعضاء» وقد وفق الله سبحانه وتعالى الشيخ عبد الباقي عبد القادر رمضون لأن يؤلف كتابه « الجهاد سبيلنا » وقد اطلعت عليه فوجدته قد جمع أبحاثاً هامة في الجهاد، هي جديرة بالعناية والاهتمام، ولها الأحقية بالتقدير والاحترام، وقد بذل الشيخ عبد الباقي في جمعها جهداً لا ينكر، بل يذكر ويشكر، ولا غرابة فالشيخ عبد الباقي رمضون من المجاهدين، عاش الجهاد ولا يزال يعيش فيه، وإنما يفقه الاسلام من يتحرك فيه. ومقدمة الكتاب تدل على النزعة الطيبة التي تسيطر على مشاعره وأحاسيسه.

وبحثه في آداب المجاهد في سبيل الله مع ربه ومع نفسه ومع إخوانه ومع قيادته وسائر الآداب التي بحثها في هذا الكتاب في غاية الروعة والجمال، وتشد لها الرحال. وبحثه في التعاهد مع الكفار بحث شيق فيه تتجلى براعة المؤلف.

وتقسيم الديار الى دار إسلام ودار حرب فيه إزالة الإلتباس الذي وقع فيه بعض الناس، وأهم شيء في هذا الكتاب أنه ينبه المسلمين إلى هذا الغرض العظيم والركن الجسيم والسهم الكبير « الجهاد ».

الجهاد شعار المسلم في كل مكان: جهاد النفس، وجهاد الدعوة والجهاد القتالي: جهاد بالنفس والمال وبذل الغالي والرخيص والنفس والنفيس في سبيل الله لاعلاء كلمة الله، وعودة المسلمين الى دينهم، وإعادة أمجاد المسلمين بتحقيق دينهم وإنقاذ البشرية من الضياع، والتزام شرع الله في كل تصرف وفي كل تحرك، والتزام الصدق والاخلاص في كل ما يعمل ويقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين..

كتبه خادم العلم الشرعي:

محمد علي مشعل

---

(١) سورة الروم آية ٤١.

الإهداء

- الى من يتفيأ ظلال الأسنة والرماح والسيوف والبنادق، ويطرب لدوي المدافع وأزيز الرصاص وهدير الطائرات، ويبتسم بوجه الموت والمخاوف والاخطار، ويرقص فرحاً بلقاء الله وطربا لرضوانه وشوقا الى جنته . . .

- الى من هجر الأهل والبنين، وترك المال والأوطان وتجافى عن المضاجع واللذائذ والمتاع، وزهد في الدنيا الفانية، ورغب في الآخرة الباقية، ومضى الى ساحات الجهاد وميادين الاستشهاد في سبيل الله متوكلا على الله بعزيمة لا تنثني، وإرادة لا تتردد، وإيمان لا يتزعزع، مرددا صيحة المجاهدين الأبطال: الله أكبر والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

- الى من صبروا على البأساء والضراء وحين البأس، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفوا وأنجزوا، وما غيروا وما بدلوا، وبايعوا الله فأتموا وأكملوا وربحوا واستبشروا.

قال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وعْدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرءان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[2].

- كما أهدي إلى المستضعفين المقهورين تحت حكم الطغيان، والمهجرين المطاردين خارج الديار والأوطان، وإلى يتامى وأرامل شهداء الكيدان، وإلى أسر المجاهدين وأهليهم وأحبائهم وذويهم في كل زمان ومكان.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣ . (٢) سورة التوبة آية ١١١ .

. ـ الى دعاة الحق والعدل والرحمة، الى مصابيح الهدى والنور والضياء، الى سعاة الخير والصلاح والفلاح. . . . الى أمة الإيمان والاسلام

أهدي هذا الكتاب: ـ الجهاد سبيلنا ـ وأضعه بين أيديهم راجياً من الله عز وجل أن ينفع به الفرد والأمة، وأن يكشف به الكرب والغمة، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله ذخراً وصدقة جارية وأجراً مستمرا الى يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

معنى الجهاد في سبيل الله

تعريف:

ـ **الجهاد في اللغة** : من جاهد يجاهد مجاهدة وجهادا بمعنى : المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل في الحرب.

وفي الحديث: «لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» أي أنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة، لأنها قد صارت دار اسلام، وإنما هو الجهاد وإخلاص النية فيه لإعلاء كلمة الله. « والجَهْدُ والجُهْد: الطاقة والوُسع... وقيل: الجَهْد: المشقة والمبالغة والغاية... والجُهْد: الطاقة والوسع... وجَهَد يجْهَد جهدا، واجتهد: كلاهما: جَدَّ»[1].

ـ **والجهاد في الاصطلاح**: فإنه حين تطلق كلمة الجهاد في سبيل الله فإنها تعني: قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، والاستعداد له والعمل في سبيله.

ـ **وأما المعاني الأخرى**: كجهاد النفس، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، ودرء المفاسد وجلب المصالح وغيرها. فهي أنواع من الجهاد ملحقة بهذا المعنى الأساسي.

ـ **قال ابن قيم الجوزية**: [... ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله تعالى: ﴿ فلا تطع الكٰفِرين وجٰهدهم به ﴾ أي القرآن (جهاداً كبيراً) فهذه سورة مكية، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة، وأما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيها الجهاد بالسيف][2]. والجهاد في سبيل الله مقرون بهذا اللفظ: ـ في سبيل الله ـ ليتميز عن الحروب الأخرى التي تثيرها العصبيات والعنصريات والمطامع والأهواء.

قال تعالى: ﴿الذين آمنوا يقتلون في سبيل الله والذين كفروا يقتلون في سبيل الطٰغوت فقتلوا أولياء الشيطٰن إن كيد الشيطٰن كان ضعيفا﴾[3].

---

(١) كتاب لسان العرب لابن منظور جزء ٤ .

(٢) كتاب زاد المعاد ـ جزء ٢ فصل الأمر بالجهاد .

(٣) سورة النساء آية ٧٦ .

«جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، وفي رواية: ـ يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، وفي رواية: يقاتل غضبا ـ فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله»[1].

ولفظ في سبيل الله: يعني اعلاء كلمة الله دون غرض آخر، وهذا شرط لصحة الجهاد وقبوله.

ـ ويلخص من تعاريف الأئمة الأربعة للجهاد في سبيل الله ـ كما سنبينه في موضوع فرضية الجهاد المطلق في سبيل الله في هذا الكتاب ـ هذا التعريف الشرعي الشامل الكامل تقريبا.

الجهاد:

ويعبر عنه أيضا بالسير والمغازي والقتال والحرب: هو بذل ما في الوسع والطاقة في قتال الكفار مباشرة أو غير مباشرة بالمعاونة بالمال أو الرأي أو تكثير السواد أو غيرها. بعد عرض الاسلام عليهم وإبائهم الدخول في دين الاسلام، وهو مستمر حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

قال تعالى: ﴿وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ● وأن تولّوا فاعلموا أن الله مولكم نعم المولى ونعم النصير﴾[2]

هذا هو المعنى الأساسي للجهاد في سبيل الله حين تطلق هذه الكلمة، والجهاد بهذا المعنى أعلى مراتب الجهاد، وأفضل أنواعه لأن فيه بذل الروح عن طيب نفس لوجه الله.

عن عمرو بن عبسة قال: قال رجل: يا رسول الله ما للاسلام؟ ، قال: أن يسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال: فأي الاسلام أفضل؟ قال: الايمان. قال: وما الايمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: فأي الايمان أفضل؟ قال: الهجرة. قال: ما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء. قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد. قال: وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار اذا لقيتهم. قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه»[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم (صحيح).

(٢) سورة الأنفال من آية رقم ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) رواه.

وأما المعاني الأخرى للجهاد في سبيل الله فملحقة بهذا المعنى الأساسي كما في قوله تعالى : ﴿والذين جهدوا فينا لنهدينهم سبلَنا وإن الله لمع المحسنين﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فلا تُطع الكافرين وجٰهِدْهُمْ به جهاداً كبيرا﴾[2]، وقوله ﷺ : «الجهاد أربع : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصدق في مواطن الصبر ، وشنآن الفاسق»[3].

وقوله ﷺ : «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[4].

وقوله ﷺ : «المجاهد من جاهد نفسه في الله»[5].

وأما الرباط في سبيل الله:

فهو من توابع الجهاد في سبيل الله: وهو الاقامة في الثغور حارسا وحاميا ومقوياً للمسلمين على الكفار فهو من الجهاد في سبيل الله وتمامه اربعون يوما.

قال ﷺ : «تمام الرباط أربعون يوما، ومن رابط أربعين يوما لم يبع ولم يشتر، ولم يحدث حدثا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[6].

وقال ﷺ : «رباط ليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، فإن مات جرىٰ عليه عمله الذي كان يعمل، وجرىٰ عليه رزقه، وأمن من فتنة الفتّان»[7].

وجاء في تعريف الرباط:

[الرباط: وهوالاقامة في مكان ليس وراءه اسلام . . .][8]

[وتمام الرباط أربعون يوما. ومعنى الرباط: الاقامة بالثغر مقويا المسلمين على الكفار. والثغر: كل مكان يخيف أهله العدو ويخيفهم: . .][9].

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩ .
(٢) سورة الفرقان آية رقم ٥٢ .
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ـ حسن.
(٤) رواه أبو داود وأحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم ـ صحيح .
(٥) رواه الترمذي وابن ماجة .
(٦) رواه الطبراني ـ ضعيف.
(٧) رواه مسلم.
(٨) كتاب حاشية ابن عابدين جزء ٤ كتاب الجهاد .
(٩) كتاب المغني لابن قدامة جزء ٨ كتاب الجهاد .

Maktabatul 'ilmi

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مَراحِل نزولِ الأمر بالجِهَاد في سَبيلِ الله

لما كان المجتمع المسلم في العهد الأول للرسالة ينمو ويتكامل ويتكيف مع تنزل الوحي وتكامله، وكان من حكمة الله تعالى ولطفه بالمسلمين أنه نزل الأمر بالجهاد على مَراحل وأطوار تناسب أحول المجتمع المسلم الذي كان ينتقل من حال الى حال ومن طور الى طور حتى تم وتكامل بتمام الرسالة وكمالها.

وإليك هذه المراحل بالعناوين أولا ثم بالتبيين:

١ ـ جهاد الدعوة دون السيف.

٢ ـ فرضية الجهاد الدفاعي.

٣ ـ إباحة الجهاد الهجومي.

٤ ـ فرضية الجهاد المطلق (الدفاعي والهجومي).

٥ ـ جهاد أهل الكتاب والمشركين.

٦ ـ جهاد المرتدين.

٧ ـ جهاد البغاة الخارجين.

٨ ـ جهاد المحاربين المفسدين.

٩ ـ جهاد المنافقين.

١٠ ـ جهاد الظالمين.

وفيما يلي بيان كل منها بإيجاز:

١ـ جهاد الدعوة دون السيف

لقد كان الجهاد في أول الأمر في دعوة الناس إلى الإسلام وتقريبه إلى العقول والأفهام وتحبيبه إلى القلوب والصدور، وترسيخه في النفوس والضمائر، وذلك عن طريق الحجة والبيان، والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، مع الصبر على الأذى والحرمان، والصفح عن الإساءة والعدوان. . . دون إشهار سيف أو سنان، أو إعلان حرب أو قتال؛ وذلك لأن الدعوة وليدة عهد جديد، وفي مرحلة النمو والتكوين، ولأن المؤمنين بها قريبو عهد بالايمان، وثلة قليلة محصورون في مكة المكرمة، وغالبهم من فقراء الناس ومساكينهم.

فإشهار السلاح في تلك الفترة والحال كما ذكر ضرره أكبر من نفعه، إذ قد يؤدي الى هلاك المسلمين وإبادتهم جميعا، أو قد يؤدي الى قتل الرسول ﷺ والقضاء على الرسالة بالكلية. . .

فاقتضت حكمة التنزيل، أن تؤجل مسألة القتال الى حينها المناسب ووقتها الملائم، وكان ذلك الوقت في العهد المدني حين صار للمسلمين قوة وكثرة، وقيادة ونظام، وأرض ومجتمع وبكلمة جامعة، حين صار لهم دولة بكل مقوماتها ومكوناتها ..... مجتمع، ونظام، وقيادة وأرض . . . الخ.

وهذه بعض من الآيات والأحاديث والوقائع التي تبين هذا النوع من الجهاد السلمي البارد:

قال تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ★ وذرني والمكذبين أولي النّعمة ومهلهم قليلا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون * فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿. . . . فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾[4].

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .
(٢) سورة المزمل من اية ١٠ ـ ١١ .
(٣) سورة الزخرف من آية ٨٨ ـ ٨٩ .
(٤) سورة المائدة آية ١٣ .

Maktabatul 'ilmi

وقال تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل★﴾[1].

وقال تعالى: ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ● ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل﴾[2].

وقال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فلا تطع الكفرين وجٰهدهم به جهادا كبيرا﴾[4] [أي القرآن][5].

وهذه الآيات نزلت في مكة المكرمة قبل الأمر بجهاد الكفار بالسيف وقتالهم بالسلاح.

وفي السيرة النبوية لابن كثير ما ملخصه:

[قال ابن إسحق: ثم إنهم عَدَوْ على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسون ويعذبون بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم، ويفتنونهم، عن دينهم..

وكان أمية بن خلف يخرج بلال بن رباح اذا حميت الظهيرة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع الصخرة على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فيقول وهو في ذلك: أحدٌ أحد.

ومر أبو بكر ببلال وهو يعذب فاشتراه من أمية بعبد له أسود، فأعتقه وأراحه من العذاب...

وممن اشترى أبو بكر ممن أسلم من العبيد والاماء، وأعتقهم وخلصهم من العذاب: فمنهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عميس، وزنّيرة: التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والنهدية وابنتها، وجارية بني مؤمل: كان عمر يضربها على الاسلام...

وقال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعافا، فلو أنك فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك. فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد.

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا

---

(١) سورة الحجر آية ٨٥.

(٢) سورة الأنعام من آية ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) سورة الأعراف آية ٩٩.

(٤) سورة الفرقان آية ٥٢.

(٥) تفسير الجلالين.

حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»[1].

وقال الامام أحمد عن مجاهد قال: «أول شهيد كان في الاسلام استشهد: أم عمّار سُميّة طعنها أبو جهل بحربة في قلبها»[2].

وكان أبو جهل إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنّبه وخزّاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفّهن حُلْمَك، ولنُغيلنّ - أي نخطئن - رأيك، ولنضعفن شرفك، «إن كان تاجراً قال: والله لنُكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به، لعنه الله وقبحه.

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون في ترك ديهنم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهان من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم.

قلت: وفي مثل هذا أنزل الله: ﴿من كفر بالله من بعد إيمنه إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾[3].

وقال البخاري: حدثنا بيان واسماعيل قالا: سمعنا قيساً يقول: سمعت خباباً يقول: أتيت النبي ﷺ - وهومتوسد بردة، وهوفي ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: «قد كان من كان قبلكم لَيُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموْت ما يخاف إلا الله عز وجل - زاد بيان - والذئب على غنمه».

وفي رواية: «ولكنكم تستعجلون»[4].][5].

«كتب السيرة مليئة تفيض بمثل ذلك:

(١) السيرة النبوية لابن كثير.
(٢) رواه أحمد، مرسل
(٣) سورة النحل آية ١٠٦.
(٤) رواه البخاري.
(٥) السيرة النبوية لابن كثير جزء ١ من صفحة ٤٩٢ - ٤٩٦.

ومع كل هذا الاضطهاد والتعذيب والتنكيل والابتلاء كان الوحي يتنزل بالأمر بالكف عن القتال، وبالصبر على الابتلاء، وبالثبات على الايمان، وبضبط النفس، وبرباطة الجأش، فلم يشهر سيف ، ولم يقع قتال، ولم تقم حرب بالسلاح.

● وكان الجهاد جهاد نفس: بتقويمها، وتزكيتها، وتطهيرها وإصلاحها حتى تكون وتبقى آمنة مطمئنة راضية مرضية، قوية الأيمان راسخة اليقين.

● وكان الجهاد جهاد دعوة بتعلمها وتعليمها، وتبيينها وإيضاحها، ونشرها وإذاعتها بين الناس . . . .

● وكان الجهاد جهاد صبر ومصابرة على البأساء والضراء والشدة والبلاء. . . مع الصفح الجميل والسمح الحسن، والكف عن الانتقام، وعدم إشهار سيف وإشعال حرب. . .

● وكان القرآن الكريم وإعجازه وقوة بيانه وبرهانه، والرسول ﷺ بخلقه وحكمته وحسن تدبره وتدبيره. . . والصحابة بصدقهم وصبرهم وثباتهم. . . كان ذلك كله دعائم الجهاد وأسسه وعدته وعتاده في تلك الفترة. . .

٢ ـ فرضية الجهاد الدفاعي

ثم نزل الأمر بقتال من يقاتل فقط دون من لم يقاتل، فكان لا يجوز للمسلمين قتال من لا يقاتلهم، ولا يبدأون الكفار بقتال إلا إذا بدأوهم.

فالحرب في هذه المرحلة إذن حرب دفاعية وليست هجومية، ولا يكون المسلمون فيها بادئين، والقتال فيها إنما هو للدفاع عن النفس، ولصد الهجمات ودفع الاعتداءات والغارات فقط. . .

ولقد شرع الجهاد الدفاعي هذا حتى لاتستأصل شأفة المسلمين، ولا يقضىٰ عليهم بالكلية لقلتهم وضعفهم، وحتى لا يزداد الكفار تماديا وإغراقا وتعديا وحال المسلمين كما ذكر.

ودليل الآيات القرآنية المقيدة للجهاد والقتال وما جاء في تفسيرها:

[روى أبو جعفر الطبري بسنده عن الربيع في قوله تعالى: ﴿وقتلوا في سبيل الله

Maktabatul 'ilmi

الذين يقتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[1] قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة المنورة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من يقاتله ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت براءة. . . .][2].

[وقال شمس الدين السرخسي في كتاب المبسوط في كتاب السير: وقد كان رسول الله ﷺ مأمورا في الابتداء بالصفح والاعراض عن المشركين.

قال تعالى: ﴿. . . فاصفح الصفح الجميل﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وأعرض عن المشركين﴾[4].

ثم أمر بالدعاء الى الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن.

فقال الله تعالى: ﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[5].

ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم.

فقال تعالى: ﴿أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. . .﴾[6] أي أذن لهم بالدفع.

وقال تعالى: ﴿فان قتلوكم فاقتلوهم﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها. . .﴾[8].

ثم أمر بالبداية بالقتال:

فقال تعالى: ﴿وقتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة﴾[9].

وقال تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[10].

وقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[11].

---

(١) سورة البقرة آية ٩٠ .
(٢) تفسير الطبري جزء ٣ صفحة ٥٦٢ .
(٣) سورة الحجر آية ٨٥ .
(٤) سورة الحجر آية ٩٤ .
(٥) سورة النحل آية ١٢٥ .
(٦) سورة الحج آية ٣٩ .
(٧) سورة البقرة آية ١٩١ .
(٨) سورة الأنفال آية ٦١ .
(٩) سورة الأنفال آية ٣٩ .
(١٠) سورة التوبة آية ٥ .
(١١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ـ متواتر صحيح.

فاستقر الأمر على فرضية الجهاد، مع المشركين، وهو فرض قائم الى قيام الساعة. قال النبي ﷺ: «الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى الى أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال»[1].

وقال ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[2].

وتفسيره منقول عن سفيان بن عينية رحمه الله تعالى قال: بعث الله رسوله ﷺ بأربعة سيوف: سيف قاتل به بنفسه عبدة الأوثان، وسيف قاتل به أبو بكر رضي الله تعالى عنه أهل الردة. وسيف قاتل به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه المجوس وأهل الكتاب. قال تعالى: ﴿تُقتلونهم أو يسلمون﴾[3].

وسيف قاتل به علي رضي الله تعالى عنه، المارقين والناكثين والقاسطين وهكذا روي عنه قال:

«أمرت بقتال المارقين والناكثين والقاسطين».

قال تعالى: ﴿... فقتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله﴾[4] - انتهى قول السرخسي][5].

[ويرى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في ترتيب مشروعية القتال: أنّ المسلمين في مكة ظلوا فترة، من أول البعثة مستضعفين، لم يؤذن لهم بهجرة ولا قتال، ثم أذن لهم بالهجرة، وأباحها لهم، ولم يفرضها عليهم، فهاجرت طائفة الى بلاد الحبشة، ثم أذن الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بالهجرة الى المدينة، ثم كانت إباحة القتال للدفاع، ثم فرضت الهجرة فرضا على من قدر عليها ممن بقي في مكة، ثم أصبح القتال فرضا على المسلمين][6].

ويرى بعض العلماء أن الإذن بالقتال كان قبل الأمر به لمن بدأهم،

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني.
(٢) سورة الفتح آية ١٦.
(٣) سورة التوبة آية ٢٩.
(٤) سورة الحجرات آية ٩.
(٥) كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسي - كتاب السير - جزء ١٠ صفحة من ٢-٣.
(٦) كتاب الأم للشافعي جزء ٤ صفحة ٨٤ وكتاب أحكام القرآن للشافعي جزء ٢ من صفحة ١١-١٨.

جاء في كتاب السيرة النبوية لابن هشام:

[بسم الله الرحمن الرحيم: قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن اسحاق المطلبي: وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له بالحرب، ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء الى الله، والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من البلاد، فهم بين مفتون في دينه، وبين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرارا منهم، منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه، فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردوا عليه ما أرادوا به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ، وعذبوا ونفوا من عبده وحده وصدق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له بالحرب، وإحلاله الدماء والقتال لمن بغىٰ عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء.

قول الله تبارك وتعالى: ﴿أذن للذين يقتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلوات ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكنّهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (١).

أي أني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظُلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أن يعبدوا الله، وانهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، يعني النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه:

﴿وقتلوهم حتى لا تكون فتنة...﴾(٢)، أي لا يفتن مؤمن عن دينه.

﴿... ويكون الدين لله....﴾(٣) أي حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره](٤).

---

(١) سورة الحج من آية ٣٩-٤١.
(٢) سورة البقرة آية ١٩٣.
(٣) سورة البقرة آية ١٩٣
(٤) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٢ صفحة ٧٩.

Maktabatul 'ilmi

٣ـ إباحة الجهاد الهجومي

ثم نزل الإذن بقتل الكفار، وشن الهجوم عليهم، سواء بدؤا بالقتال أم لا، وذلك حين تمادى الكفار في طغيانهم وظلمهم، وأمعنوا في بطشهم وتنكيلهم، وأصروا على كفرهم واستكبارهم، وتجاوز الحد في ذلك إلى أبعد مدى، فكان إذنا من الله تعالى بالقتال لا وجوب منه.

قال تعالى: ﴿أذن للذين يُقتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومسـجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾(١).

[قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: ولما مضت لرسول الله ﷺ مدة في هجرته، أنعم الله فيها على جماعات باتباعه، حدثت لهم بها مع عون الله عز وجل قوة بالعدد لم يكن قبلها، ففرض الله عليهم الجهاد بعد اذ كان إباحة لا فرضا. فقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كُتب عليكم القتالُ. . .﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وقتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وجهدوا في الله حق جهاده . . .﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثختتموهم فشدوا الوثاق. . . .﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿. . . .ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم﴾(٨).

---

(١) سورة الحج من آية ٣٩ـ٤٠ .
(٢) سورة البقرة آية ١٦ .
(٣) سورة التوبة آية ١١١ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٢٤ .
(٥) سورة الحج آية ٧٨ .
(٦) سورة محمد آية ٤ .
(٧) سورة التوبة آية ٣٨.
(٨) سورة التوبة آية ٣٩ .

وقال تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجٰهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله. . .﴾[1] . . . انتهى قول الشافعي][2].

ويرى طائفة من العلماء أن الإذن بالقتال كان في أواخر العهد المكي، وأن الهجرة جاءت بعد نزول آيات إباحة القتال.

[قال ابن اسحاق: «فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه على هذا الحي من الأنصار والنصرة له ولمن اتبعه، وآوى اليهم المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال:

«إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها».

فخرجوا أرسالا، وأقام الرسول ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة. . .][3].

[وقال ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد: فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي بينهم، فمنعته أنصار الله، وكتيبة الاسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ بالقتال ولم يفرضه عليهم. فقال تعالى: ﴿أذن للذين يقتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾[4].

وقد قالت طائفة إن هذا إذن كان بمكة، والسورة مكية، وهذا غلط لوجوه:

● أحدها: إن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة.

● الثاني: إن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم فإنه قال:

---

(١) سورة التوبة آية ٤١.

(٢) كتاب أحكام القرآن للإمام الشافعي جزء ٢ صفحة ١٣.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٢ صفحة ٨٠. (٤) سورة الحج آية ٣٩.

﴿الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله. . .﴾[1] وهؤلاء هم المهاجرون.

● الثالث: قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم. . .﴾[2].

نزلت في الذين تبارزوا في يوم بدر من الفريقين.

● الرابع: أنه قد خاطبهم في آخرها بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا. . .﴾[3] من سورة الحج والخطاب بذلك كله مدني ـ على الأغلب ـ فأما الخطاب بـ ﴿يا أيها الناس﴾ فمكي على الأغلب.

● الخامس: أنه أمر فيها بالجهاد الذي يعم الجهاد باليد وغيره، ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: ﴿فلا تطع الكٰفرين وجٰهدهم به. . .﴾ أي القرآن ﴿جهادا كبيرا﴾[4] فهذه سورة مكية، والجهاد فيها هو التبليغ، وجهاد الحجة، أما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيها الجهاد بالسيف.

● السادس: أن الحاكم روى في مستدركه من حديث الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

«لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا اليه راجعون ليهلكن. فأنزل الله عز وجل: ﴿أذن للذين يُقتَلون بأنهم ظُلموا. . .﴾[5].

وهي أول آية نزلت في القتال. .» وإسناده على شرط الصحيحين وسياق السورة يدل على أن فيها المكي والمدني، فإنّ قصة إلقاء الشيطان في أمنية الرسول ﷺ مكية والله اعلم»][6].

وعلى كل حال سواء أكان الإذن بالجهرة قبل الإذن بالقتال أو بعده، أو كان الإذن بهما معا، فإن القتال لم يفرض على المسلمين إلا بعد أن استكملت إمكانياته ومقوماته المادية والمعنوية، وبعد أن توفرت شروطه التي لا يصح الجهاد إلا بها.

---

(١) سورة الحج آية ٤٠ .

(٢) سورة الحج آية ١٩ .

(٣) سورة الحج آية ١٩ .

(٤) سورة الفرقان آية ٥٢ .

(٥) سورة الحج آية ٤٠ .

(٦) كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية جزء ٢ فصل الأمر بالجهاد صفحة ٦٥ .

Maktabatul 'ilmi

٤- فرضية الجهاد المطلق

ثم نزل الأمر بفرضية الجهاد المطلق على المسلمين لجميع الكفار دفاعا وهجوما لإعلاء كلمة الله، ونشر دعوته، وتحكيم شريعته في الأرض كلها مشارقها ومغاربها، وفي البشر جميعهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأوطانهم وأقطارهم. . . كما هو مبين في الآيات القرآنية المطلقة كما في قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا قتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جهد الكفار والمنفقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿. . . تقتلونهم أو يسلمون . . .﴾(٤).

والآيات في الموضوع كثيرة . . . وأما الأحاديث:

فكقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»(٥).

وفي رواية أخرى: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى»(٦).

وقوله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني اذا قضيت قضاء فلا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع

(١) سورة البقرة اية ٢١٦ .
(٢) سورة التوبة اية ١٢٣ .
(٣) سورة البقرة آية ٧٣ .
(٤) سورة الفتح آية ١٦ .
(٥) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، متواتر صحيح .
(٦) رواه البخاري ومسلم .

عليهم مَنْ بأقطارها أو قال: من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاء[1].

وقوله ﷺ: «الجهاد ماض في أمتي الى قيام الساعة».

وقوله ﷺ: «لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»[2].

ومما اتفق عليه أهل المذاهب الأربعة وجمهور العلماء، إن الجهاد فرض كفاية على الأمة الاسلامية مرة كل عام على الأقل، وهذا إذا كان المسلمون يقصدون الكفار في ديارهم للفتح والتوسع، أما إذا كان القتال في ديار الاسلام ففرض عين على الأقرب فالأقرب من ساحة القتال حتى تحصل الكفاية، وإلا صار فرض عين على جميع المسلمين في كافة أقطارهم وديارهم.

كما أجمع أهل العلم قديما وحديثا سلفا وخلفا على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الاسلامية ، إذا قام به البعض الكافي سقط عن الباقين، فاذا لم تقع الكفاية بذلك البعض فرض على الأقرب فالأقرب الى ساحة الجهاد إلى أن يفرض على جميع أهل الأرض من المسلمين شرقا وغربا ومن جميع الجهات فرضا عينيا كفريضة الصلاة والصوم.

كذلك إذا تركه الكل صار فرضا على الكل وأثموا جميعا، ويتعين أيضا على من حضر الصف عند التقاء أو التحام الجيشين، وكذلك عند مهاجمة العدو بلدة من بلاد الاسلام أو حصارها أو دخولها، كما يتعين على من استنفر للقتال نفيرا خاصا: كأن يستنفر الإمام أشخاصا بأسمائهم وأعيانهم، أو نفيرا عاما: كأن يستنفر الإمام الناس جميعا.

والنفير: هوإخبار اهل بلد أن العدو جاء لقتالكم يريد أنفسكم وذراريكم وأموالكم، فاذا أخبروا على هذا الوجه فرض على كل من قدر على الجهاد من أهل تلك البلد أن ينفر ويخرج للجهاد. وأما من وراءهم من البلدان الأخرى فلا يتعين عليهم إلا أذا احتيج اليهم بأن عجز إخوانهم أو تقاعصوا عن الجهاد، أو لم توجد القوة الكافية لرد العدو.

● وفي الاستنفار يقبل خبر المنادي سواء أكان عدلا أو فاسقا، ويقبل خبر الفاسق في هذا الشأن تجنبا وحذرا من وقوع الندم اذ قد يصدق الفاسق.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود، صحيح. (٢) رواه مسلم، صحيح.

● والجهاد واجب مع كل بر وفاجر من المسلمين، لأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي الى قطع الجهاد وتوقفه، وبالتالي يفضي الى ظهور الكفار على المسلمين واستئصال شأفتهم وإخفاق كلمتهم وضياع أمرهم، وفي هذا أعظم الفساد.

قال ﷺ: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجرا، وإن هو عمل الكبائر، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا، وإن هو عمل الكبائر، والصلاة واجبة عليكم على كل مسلم يموت برا كان أو فاجرا، وإن هو عمل الكبائر»(١).

وأما الأدلة على فرضية الكفاية:

فقوله تعالى: ﴿لا يستوي القٰعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجٰهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القٰعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجٰهدين على القٰعدين أجرا عظيما﴾(٢).

وهذه الآية تدل بوضوح على فرضية الكفاية، فالقاعدون غير آثمين مع جهاد غيرهم اذا كان كافيا وإلا كانوا آثمين.

ويفترض الجهاد على كل ذكر بالغ عاقل صحيح مستطيع، ولا يفترض على صبي ولا عبد ولا امرأة ولا أعمى ولا مقعد ولا أعرج ولا أقطع ولا مريض، ودليل ذلك:

قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومَنْ يُطع الله ورسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهٰر ومَنْ يتولّ يعذبه عذابا أليما﴾(٣).

وقوله تعالى: ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون * إنما السبيل على الذين يستئذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾(٤).

فغير القادرين على الجهاد، كالشيوخ والعميان والعرج والمرضى المزمنين والفقراء الذين لا يجدون نفقة وتكاليف الجهاد...

وكذلك النساء والأطفال والعبيد:

---

(١) رواه أبو داود وأبو يعلى في مسنده، حسن.

(٢) سورة النساء اية ٩٥.

(٣) سورة الفتح آية ١٧.

(٤) سورة التوبة من آية ٩١ - ٩٣.

Maktabatul 'ilmi

لما روت عائشة قالت: قلت يا رسول الله ؛ هل على النساء جهاد؟ فقال: «جهاد لا قتال فيه ؛ الحج والعمرة».

ولما روي أن النبي ﷺ: «كان يبايع الحر على الاسلام والجهاد، ويبايع العبد على الاسلام دون الجهاد»[1].

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عرضت على النبي ﷺ وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني في المقاتلة»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة»[3].

وقوله ﷺ: «على النساء ما على الرجال إلا الجمعة والجنائز والجهاد»[4].

وأما الرباط على ثغور المسلمين فتابع للجهاد في أحكامه:

فهو فرض كفاية أيضا؛ حتى لا يباغت العدو المسلمين ويلحق بهم أضرارا فادحة، وإن ضعف أهل الثغور عن المقاومة والقتال مع العدو وخيف عليهم، فعلى من وراءهم من المسلمين أن ينفروا إليهم الأقرب فالأقرب حتى تصل الكفاية، ليكون الجهاد أبدا قائما، ولتبقى الثغور محصنة قوية دائما وأبدا.

اقل تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»[6].

وقال ﷺ؛ «حرمت النار على عين بكت من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله، اوعين فقئت في سبيل الله»[7].

وقال ﷺ: «حرم على عينين أن تنالهما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر»[8].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، صحيح.
(٢) رواه النسائي، صحيح.
(٣) رواه الديلمي في الفردوس.
(٤) رواه عبد الرزاق في الجامع، صحيح.
(٥) سورة آل عمران آية ٢٠٠.
(٦) رواه البخاري ومسلم، صحيح.
(٧) رواه الطبراني.
(٨) رواه الحاكم والبيهقي، صحيح.

وننقل إليك بعضا مما قاله فقهاء المذاهب في أحكام الجهاد:

١ـ في مذهب الأحناف:

جاء في كتاب حاشية ابن عابدين:

[الجهاد: ويعبر عنه بالسير والمغازي.

لغة: مصدر جاهد في سبيل الله.

وشرعا: الدعاء إلى الدين الحق، وقتال من لم يقبله، وعرفه ابن الكمال بأنه ما في الطاقة والوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أومعاونة، بمال أو رأي أو تكثير سواد، أو غير ذلك، ومن توابعه:

الرباط: وهو الاقامة في مكان ليس وراءه إسلام ـ هو المختار ـ وصح أن صلاة المرابط بخمسمائة صلاة، ودرهمه بسبعمائة، وإن مات فيه جرى عليه عمله ورزقه وأمن الفتّان، وبعث شهيدا آمنا من الفزع الأكبر.

حكمه: (هو فرض كفاية): كل ما فرض لغيره فهو فرض كفاية، إذا حصل المقصود بالبعض، وإلا ففرض عين، ولعله قدم الكفاية لكثرته (ابتداء)وإن لم يبدؤونا، وأما قوله تعالى: ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾، وتحريمه في الأشهر الحرم فمنسوخ بالعموميات. ... إن قام به البعض سقط الاثم عن الكل وإلا أثموا، لا على صبي وعبد وإمرأة وأعمى ومقعد وأقطع ومديون بغير اذن غريمه، وعالم ليس في البلدة أفقه منه، وفرض عين إن هجم العدو فيخرج الكل ولو بلا إذن، ولا بد من الاستطاعة...][1].

وجاء في كتاب المبسوط للسرخسي، في كتاب السير:

[...ثم فريضة الجهاد على نوعين: أحدهما: عين على كل من يقوى عليه بقدر لاقته، وهو ما إذا كان النفير عاما.

قال تعالى: ﴿إنفروا خفافا وثقالا...﴾[2].

﴿يا أيها الذين ءامنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا

---

(١) كتاب حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار سراج تنوير الأبصار في فقه الامام أبي حنيفة النعمان، الجزء الرابع ـ كتاب الجهاد.

(٢) سورة التوبة آية ٤١.

يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير﴾[1].

ونوع هو فرض على الكفاية:

إذا قام به البعض سقط عن الباقين بحصول المقصود، وهو كسر شوكة المشركين، وإعزاز الدين، لأنه لو جعل فرضا في كل وقت على أحد عاد على موضوعه بالنقص، والمقصود أن يأمن المسلمون، ويتمكنوا من القيام بمصالح دينهم ودنياهم، فاذا اشتغل الكل بالجهاد لم يتفرغوا للقيام بمصالح دنياهم، فلذلك قلنا: إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وقد كان رسول الله ﷺ تارة يخرج وتارة يبعث غيره، حتى قال: «وددت أن لا تخرج سرية أو جيش إلا وأنا معهم، ولكن لا أجد ما أحملهم، ولا تطيب أنفسهم بالتخلف عني، ولوددت أن أقاتل في سبيل الله تعالى حتى أقتل، ثم أحيا ثم أقتل» انتهى قول السرخسي[2].

وجاء في كتاب: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر:

الجهاد في اللغة: بذل ما في الوسع من القول والعمل.

وفي الشريعة: قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم، والمراد: الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين - اذا نقضوا - والمرتدين، وهم أخبث الكفار للنقض بعد الاقرار، والباغين، بدءاً منا، فرض كفاية، يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة، وإن لم يقاتلونا، فيجب على الامام أن يبعث سرية الى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين، وعلى الرعية إعانته، وإذا قام به بعض سقط عن الباقين، فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب، فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة. . .][3].

٢- وفي مذهب المالكيه:

جاء في كتاب بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك: [الجهاد لغة: التعب والمشقة].

واصطلاحاً: قال ابن عرفه: قتال مسلم كافراً غير ذي عهد، لإعلاء كلمة الله تعالى،

---

(١) سورة التوبة من اية ٣٨-٣٩.

(٢) كتاب المبسوط للسرخسي في كتاب السير الجزء ١٠.

(٣) كتاب مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر في فقه مذهب أبي حنيفة النعمان، الجزء، كتاب الجهاد

Maktabatul 'ilmi

أو حضوره له ، أو دخول أرضه . . . ، (واعلم أن الجهاد قبل الهجرة كان حراما ، ثم أُذن فيه لمن قاتل المسلمين، ثم أُذن فيه مطلقا في غير الأشهر الحرم، ثم أُذن فيه مطلقا وأول آية نزلت في الجهاد: ﴿. . . أُذن للذين يقاتلون. . . .﴾[1].

الجهاد في سبيل الله كل سنة كإقامة الموسم «للحج» فرض كفاية على المكلف الحر، الذكر القادر، كالقيام بالعلوم الشرعية، والفتوى والقضاء والإمامة «العظمى» ودفع الضرر عن المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشهادة والحرف «الصناعات المهمة» وتجهيز الميت، والصلاة عليه وفك الأسير، وتعين الجهاد بتعيين الإمام: «لشخص ولو عبداً أو امرأة» وبفجء العدو محلة قوم على من بقربهم، إن عجزوا، وإن امرأة أو رقيقا، ودعوا للاسلام، وإلا فالجزية بمحل أمن وإلا قوتلوا وقُتلوا، إلا امرأة أو صبياً، إلا إذا قاتلا قتال الرجال، أو قتلا، والزَّمِن والأعمى والمعتوه والفاني والهرم» والراهب المنعزل بلا رأي «تدبير الحرب» واستنفار، قاتلهم وترك لهم الكفاية ولو من أموال المسلمين، وأن خيروا فقيمتهم، والراهب والراهبة حران بآلة «أي قوتلا بآلة أي بجميع أنواع السلاح» وقطع ماء، وبنار إن لم يكن غيرها ولم يكن فيهم مسلم «وإلا لم يُقاتلوا بها» إلا بحصن مع ذرية ونساء فبغيرها فإن تترّسوا بهم تُركُوا إلا لشدة خوف وإن تترّسوا بمسلم قوتلوا وقصد غيره إلا لخوف على أكثر المسلمين (فتسقط حرمة الترس ويرمى على الجميع) . . .

وجاء في الشرح : الجهاد في سبيل الله : إعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ويتعين بتعيين الإمام، وبهجوم العدو على محلة قوم، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة، ولو منعهم الولي والزوج والسيد وربّ الدَّين إن كان مدينا، ويتعين أيضا بالنذر، وللوالدين المنع منه في فرض الكفاية فقط، وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية، وإن أتى على جميع أموال المسلمين][2].

٣ـ وفي مذهب الشافعية :

جاء في كتاب المجموع للإمام النووي شرح مهذب الشيرازي، الجزء الثامن عشر، في

---

(١) سورة الحج آية ٣٩ .

(٢) كتاب بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك جزء ١ صفحة ٣٤٥ باب الجهاد وأحكامه .

كتاب السير والجهاد:

والجهاد في اللغة: مشتق من الجهد والمشقة...

وقيل: هو المبالغة واستفراغ ما في الوسع.

والجهاد: فرض والدليل عليه: قوله عز وجل: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿... وجهدوا بأموالكم وأنفسكم...﴾[2].

وهو فرض على الكفاية، إذا قام به من فيه الكفاية، سقط الفرض عن الباقين: لقوله عز وجل: ﴿لا يستوي القعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجَهدين بأموالهم وأنفسهم على القعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى...﴾[3].

ولو كان فرضا على الجميع لما فاضل بين من فعل وبين من ترك، ولأنه وعد الجميع بالحسنى، فدل ذلك على أنه ليس بفرض على الجميع.

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ بعث الى بني لحيان، وقال: ليخرج من كل رجلين رجل، ثم قال للقاعدين: ايكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج»[4].

ولأنه لو فرض على الأعيان لاشتغل الناس به عن العمارة وطلب المعاش، فيؤدي ذلك الى خراب الأرض وهلاك الخلق.

[وأقل ما يجزىء في كل سنة مرة، لأن الجزية تجب في كل سنة مرة، وهي بدل القتل، فكذلك القتل، ولأن تعطيله في أكثر من سنة يطمع العدو في المسلمين..][5].

وجاء في متن المنهاج للإمام النووي:

[كان الجهاد في عهد رسول الله فرض كفاية وقيل عين وأما بعده فللكفار حالان:

أحدهما: يكونون ببلادهم، ففرض كفاية، إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين.

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦.
(٢) سورة التوبة آية ٤١.
(٣) سورة النساء آية ٩٥.
(٤)
(٥) كتاب المجموع شرح مهذب الشيرازي الجزء ١٨ كتاب السير والجهاد.

الثاني. يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن، وإن أمكن التأهب للقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن. . .][1].

٤- وفي مذهب الحنابلة :

جاء في كتاب المغني لابن قدامه في الجزء الثامن في كتاب الجهاد:

[مسألة: قال: (والجهاد فرض كفاية، إذا قام به قوم سقط عن الباقين. . .

فصل: ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

أحدهما: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف، وتعين عليه المقام. . .

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوما لزمه النفير معه. . .

مسألة: قال أبو عبد الله (يعني أحمد بن حنبل): لا أعلم شيئا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد. . .][2].

[وجاء في كتاب الزوائد: الجهاد: وهو قتال الكفار خاصة وهوفرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وسن في حقهم بتأكد. . .][3].

● وقال ابن قيم الجوزية: [ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال تعالى: ﴿وقتلوا في سبيل الله الذين يُقَتِلونكم. . .﴾[4].

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرما ثم مأذونا به ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورا به لجميع المشركين. . .][5].

٥- جِهَاد أهل الكِتاب والمشِركين

أما بالنسبة لأهل الكتاب وهم الذين ينسبون الى دين سماوي والمعروف منهم:

---

(١) كتاب المنهاج للإمام النووي في مذهب الشافعي - كتاب الجهاد.

(٢) كتاب المغني لابن قدامة جزء ١٨ - كتاب الجهاد - في طبعة جزء ٨، وفي طبعة جزء ٩ .

(٣) كتاب الزوائد لمحمد بن عبد الله آل حسين جزء ١ كتاب الجهاد .

(٤) سورة البقرة آية ١٩٠ .

(٥) كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية جزء ٢ فصل الجهاد صفحة ٦٥ .

Maktabatul 'ilmi

[١ـ اليهود:

وهم اتباع موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة الذي أُنزل على موسى عليه السلام.

٢ـ النصارى:

وهم أتباع عيسى عليه السلام، وكتابه الإنجيل الذي أُنزل على عيسى عليه السلام.

٣ـ المجوس:

اختلف الفقهاء في كونهم أهل كتاب، وهم قوم يعبدون الشمس والقمر والكواكب والنار.

٤ـ الصابئة:

اختلف الفقهاء في كونهم أهل كتاب، وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنهم على ملة نوح عليه السلام، وقيل: إنهم طائفة من النصارى والمجوس واليهود، وقيل غير ذلك][1].

وأهل الكتاب مخيرون، إما باعتناق دين الاسلام، أو الدخول في ذمة المسلمين مع دفع الجزية، أو الحرب.

قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صٰغرون﴾[2].

وأما بالنسبة لسائر الكفار من غير أهل الكتاب وغير المرتدين عن الاسلام فهم مخيرون بين أمرين: إما باعتناق دين الاسلام أو الحرب.

قال تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تُقٰتلونهم أو يسلمون...﴾[3].

قيل: إن هذا الحكم خاص بمشركي العرب، وقيل بأنه شامل للمرتدين وسائر العرب سوى أهل الكتاب والمجوس ومنهم من عامل سائر الكفار سوى المرتدين معاملة

---

(١) ملخص من تفسير ابن كثير في سورة البقرة ﴿إن الذين ءامنوا...﴾ وفي سورة المائدة آية ٦٩ ﴿إن الذين ءامنوا...﴾ وفي سورة الحج آية ١٧ ﴿إن الذين ءامنوا...﴾ ومن المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربي، ومختار الصحاح للرازي.

(٢) سورة التوبة آية ٢٩.

(٣) سورة الفتح آية ١٦.

أهل الكتاب، وقيل غير ذلك على تفصيل في المذاهب الأربعة:

[جاء في كتاب حاشية ابن عابدين في مذهب السادة الأحناف: فصل الجزية. . . وتوضع على كتابي ومجوسي ووثني عجمي لا عربي ومرتد ـ فلا يقبل منهما (يعني الوثني العربي والمرتد) إلا الإسلام أو السيف. . .]"(١)ـ

[وجاء في كتاب بلغة السالك على الشرح بالهامش: فصل الجزية: مال يضربه ـ أي يجعله ـ الإمام على كافر كتابي أو مشرك أو غيرهما ولو قرشيا. . .]"(٢).

[وجاء في كتاب الأم للشافعي: قال الشافعي رحمه الله: فكانت المجوس يدينون غير دين أهل الأوثان، ويخالفون أهل الكتاب من اليهود والنصارى في بعض دينهم، وكان أهل اليهود والنصارى يختلفون في بعض دينهم، وكان المجوس بطرف من الأرض، لا يعرف السلف من أهل الحجاز من دينهم ما يعرفون من دين النصارى واليهود، حتى عرفوه، وكانوا ـ والله تعالى أعلم أهل كتاب ـ يجمعهم اسم انهم أهل كتاب مع اليهود والنصارى]"(٣).

[وجاء في كتاب المغني لابن قدامة في مذهب الحنابلة: يُقاتَل أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وهم صاغرون، ويُقاتَل من سواهم من الكفار حتى يسلموا. . .]"(٤).

٦ـ جهاد المرتدين

أما بالنسبة للمرتدين عن دين الإسلام بعد إيمانهم به:

والردة: لغة [هيئة الارتداد أي الرجوع عن الشيء الى غيره، ومنه المرتد الراجع الى الكفر بعد الإسلام]"(١).

---

(١) حاشية ابن عابدين جزء ٤ كتاب الجهاد، فصل الجزية .

(٢) كتاب بلغة السالك في مذهب الامام مالك، للشيخ الصاوي جزء١، باب الجهاد، فصل الجزية على الهامش .

(٣) كتاب الأم للشافعي جزء ٤ صفحة ١٧٣ .

(٤) كتاب المغني لابن قدامة المقدسي الحنبلي جزء ٧ كتاب الجهاد .

وشرعا: الرجوع من الاسلام الى الكفر، وذلك بصدور قول أو فعل أو حصول اعتقاد يستلزم الكفر لزوما بينا، كالشرك بالله، أو جحود دين الاسلام أو ركن منه أو حكم منه عرف بالضرورة، أو اعتقاد مبدأ غير الاسلام، وذلك من مسلم بالغ عاقل، رجلا كان أو امرأة، فتجري عليهم أحكام المرتدين: بأن يستتابوا، فإن تابوا قبل منهم توبتهم، وإلا قُتلوا أو قوتلوا وحبطت أعمالهم.

قال تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحب النار هم فيها خلدون﴾[2].

وقال تعالى في قبول دعوة المرتد: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنتُ الأولين﴾[3].

وقال ﷺ: «من بدّل دينه فاقتلوه»[4].

وكما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتال المرتدين.

وروى مالك في موطئه، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد القادري عن أبيه، أنه قدم على عمر رضي الله عنه، رجل من قبل أبي موسى الأشعري فقال له عمر: هل من مغربة خبر؟ قال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه، فقال: ما فعلتم به؟ قال: قربناه فضربنا عنقه، قال عمر: فهلا حبستموه ثلاثا، فأطعمتموه كل يوم رغيفا، واستتبتموه لعله يتوب أو يراجع أمر الله، اللهم إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض اذ بلغني[5].

وحكم المرأة المرتدة كحكم الرجل المرتد عند جمهور الفقهاء في قتلها بالردة، دون فارق بينهما في وجوب القتل بالارتداد سوى عند الأحناف فيجب حبسها أبدا حتى تسلم أو تموت.

«وثبت عن أبي بكر أنه قتل امرأة ارتدت»[6].

«وروى الدارقطني بإسناده أيضا «إن امرأة يقال لها أم رومان، ارتدت عن الاسلام،

---

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ـ ومختار الصحاح للرازي.

(٢) سورة البقرة آية ٢١٧. (٣) سورة الأنفال آية ٣٨

(٤) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد ـ صحيح.

(٥) رواه مالك في موطئه، ورواه الشافعي. (٦) رواه الدارقطني ـ حسن.

Maktabatul 'ilmi

فبلغ أمرها الى النبي ﷺ، فأمر بها أن تستتاب فإن تابت وإلا قتلت»[1].

وقد روى أبو يوسف عن أبي حنيفة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين، عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: «لاتُقتل النساء إذا هن ارتددن عن الإسلام، ولكن يحبسن ويدعين إلى الاسلام ويجبرن عليه»[2].

٧ـ جِهَادُ البُغَاة الخارِجين

وأما بالنسبة لأهل البغي:

والبغاة: لغة: [جمع باغي، من بغى يبغي بغياً: تجاوز الحد وظلم واعتدى وسعى بالفساد خارجا على القانون، والفئة: باغية وفي التنزيل: ﴿. . . فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله. . .﴾[3].

وفي الحديث: «ويل عمار تقتله الفئة الباغية»[4]][5].

وشرعا: فرقة من المسلمين، خارجون على الامام الحق إما بترك الانقياد له، أو يريدون إزالته عن منصبه بتأويل سائغ ـ بحيث تكون لهم شبهة يعتقدون بها جواز الخروج عن طاعة الامام، وفيهم منعة وقوة وشوكة، يحتاج الامام لكفهم الى جمع جيش، ولهم قائد مطاع فيهم، والدليل فيهم:

قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[6]:

وقوله ﷺ: «من أعطى إماماً صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[7].

---

(١) رواه الدارقطني ـ حسن.

(٢) رواه أبو يوسف عن أبي حنيفة.

(٣) سورة الحجرات آية ٩.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية بدون كلمة ويل ـ حسن.

(٥) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ـ ومختار الصحاح للرازي.

(٦) سورة الحجرات من اية ٩ ـ ١٠.

(٧) رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «وإذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

وقوله ﷺ: «ستكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق أمر محمد، كائنا من كان فاقتلوه فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض»[1].

ولقد أجمع الفقهاء على قتالهم وفي بيان ذلك وكيفيته تفصيل في المذاهب:

جاء في كتاب العدة شرح العمدة في المذهب الحنبلي:

[باب قتال أهل البغي: وهم الخارجون على الامام يريدون إزالته عن منصبه، فعلى المسلمين معونة امامهم في دفعهم بأسهل ما يندفعون به، فإن آل إلى قتالهم أو تلف مالهم فلا شيء على الدافع وإن قتل الدافع كان شهيدا، ولا يتبع مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يغنم لهم مال، ولا تسبى لهم ذرية، ومن قُتل منهم غسل وكفّن وصُليَ عليه، ولا ضمان على الفريقين فيما أتلف حال الحرب من نفس أو مال، وما أخذ البغاة ـ حال امتناعهم ـ من زكاة أو جزية أو خراج لم يعد عليهم ولا على الدافع ولا ينقض من حكم حاكمهم إلا ما ينقض من حكم غيره][2].

[وجاء في كتاب المغني لابن قدامة: البغاة إذا لم يكونوا من أهل البدع ليسوا بفاسقين، إنما هم مخطئون في تأويلهم، والامام وأهل العدل مصيبون في قتالهم... وأما الخوارج وأهل البدع إذا خرجوا على الامام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فساق... وقال أبو حنيفة: يفسقون بالبغي وخروجهم على الامام، ولكن تقبل شهادتهم لأن فسقهم من جهة الدين، فلا ترد به الشهادة][3].

[وجاء في كتاب الأم للشافعي: ولو أن قوما متأولين كثيرا كانوا أو قليلا، اعتزلوا جماعة الناس، فكان عليهم وال لأهل العدل يجري حكمه، فقتلوه وغيره، قبل أن ينصبوا إماما، ويعتقدوا ويظهروا حكما مخالفا لحكمه، كان عليهم في ذلك القصاص، فإن أبوا القصاص قاتلهم..][4].

---

(١) رواه النسائي وابن حبان عن عرفجه ـ صحيح.

(٢) كتاب العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي ـ باب قتال أهل البغي.

(٣) كتاب المغني لابن قدامة في الفقه الحنبلي جزء ٧.

(٤) كتاب الأم للشافعي

وكما جاء في كتاب الفقه الميسر في الفقه الشافعي ما ملخصه:

[البغاة فرقة من المسلكين مخالفون للإمام العادل ويقاتلهم الإمام وجوبا وشروط قتالهم:

١ـ أن يكونوا في منعة ولهم قائد مطاع.

٢ـ أن يخرجوا عن قبضة الامام.

٣ـ أن يكون لهم تأويل سائغ.

وكيفية قتالهم: هي الكيفية التي يدفع بها الصائل، لأن المقصود ردهم الى طاعة الإمام ودفع شرهم لا القتل فإذا أمكن الاسر فلا قتل، وإذا أمكن الإثخان ـ الجرح ـ فلا تذفيف ـ الإجهاز عليه ـ فإذا التحم القتال خرج الأمر عن الضبط، ولا يغنم مالهم، ولا يقاتلهم الامام حتى يبعث اليهم رسولا أمينا فطنا فينصحهم ويزيل شبهتهم كما بعث «علي» إلى أهل النهروان فرجع بعضهم وأبى بعضهم][1].

إذ ينبغي معالجة أمر البغاة بالحكمة، ودفعهم بأسهل ما يندفعون به أولا بأول، وذلك بالنصح والارشاد والبيان والاقناع، وإلا فبالتهديد والتخويف والوعيد، وإلا بالقتال الكافي لردعهم دون مغالاة، وبالتدرج باستعمال الشدة، وحسب حالهم من القوة والضعف والخطورة... ولا يجوز أمهالهم وتأخير علاجهم طويلا، لأنهم قد يتفاقم أمرهم ويصبحون قوة يصعب ردعها وردها، ويشكلون خطرا كبيرا على الدولة والأمة.

٨ـ جهَاد المحاربين المفسدين

وبالنسبة للمحاربين المفسدين: [وهم الذين يعرضون للناس في الصحراء جهرة، ليأخذوا أموالهم:

١ـ فمن قتل منهم وأخذ المال: قتل وصلب حتى يشتهر ودفع الى أهله.

٢ـ ومن قتل ولم يأخذ المال: قتل ولم يصلب.

٣ـ ومن أخذ المال ولم يقتل: قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى في مقام واحد وحسمتا، ولا يقطع إلا من أخذ ما يقطع السارق به.

---

(١) كتاب الفقه الميسر لأحمد عيسى عاشور ـ أحكام البغاة ـ ص ٣٦١.

Maktabatul 'ilmi

٤ـ ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفي من الأرض.

٥ـ ومن تاب قبل القدرة عليه سقطت عنه حدود الله تعالى وأخذ بحقوق الآدميين إلاّ أن يعفى له عنها][1].

وهذا عند الامام أحمد، ووافقه فيه الحنفية والشافعية رحمهم الله.

وأما المالكية رحمهم الله تعالىٰ: فقد عرفوا المحارب بأنه قاطع الطريق لمنع سلوكها، ولو لم يقصد أخذ مال المارين أو قصد أخذ مال محترم، ولو لم يبلغ نصابا، أو قصد هتك الحريم، على حال يتعذر معه الاغاثة والاعانة، فيشمل جبابرة الظلمة من الحكام، الذين يسلبون أموال الناس، ولا يفيد فيهم الاستغاثة بالعلماء، ولا بغيرهم، فهم محاربون، ويجب ويتعين قتل المحارب إن قتل، إلا أن يجيء تائبا فالقصاص، وإن لم يقتل أحدا فالإمام مخير في أمور أربعة:

الأول: القتل.

الثاني: الصلب والقتل وهو مصلوب.

الثالث: قطع يمينه من الكوع ورجله اليسرى من المفصل.

الرابع: نفي الذكر الحر بعد ضربه اجتهادا][2].

وتفاصيل هذا البحث يرجع فيه الى كتب الفقه.

وأما الأدلة على هذا الموضوع فمنها:

قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾[3] وتسمى هذه الآية ـ المحاربة ـ وهي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر، وعلى قطع الطريق، وإخافة السبيل.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن نفراً من عكل ثمانية، قدموا على رسول الله ﷺ، فبايعوه على الاسلام فاستوخموا المدينة، وسقمت أجسامهم، فشكوا الى رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيبوامن أبوالها وألبانها؟» فقالوا:

(١) كتاب العدة شرح العمدة ـ باب حد المحاربين.

(٢) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري جزء ٥ مبحث البغاة والمحاربين.

(٣) سورة المائدة من آية ٣٣ـ٣٤

بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحوا، فقتلوا الراعي وطردوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث في آثارهم فأدركوا، فجيء بهم، فأمر بهم، فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم، ثم نُبذوا في الشمس حتى ماتوا»[1].

وروي عن عامر الشعبي قال: «جاء رجل من مراد الى أبي موسى الأشعري، وهو على الكوفة، في إمارة عثمان رضي الله عنه، بعد ما صلى المكتوبة، فقال: يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك، أنا فلان بن فلان المرادي، وإذ كنت حاربت الله ورسوله، وسعيت في الأرض فسادا، وإني تبت من قبل أن تقدروا علي، فقام أبو موسى فقال: إن هذا فلان ابن فلان، وإنه كان حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فسادا، وإنه تاب من قبل أن نقدر عليه، فمن لقيه فلا يعرض له إلا بخير، فإن يك صادقا فسبيل من صدق، وإن يك كاذبا تدركه ذنوبه، فأقام الرجل ما شاء الله، ثم إنه خرج فأدركه الله تعالى بذنوبه فقتله»[2].

وفي الصلاة على المحارب اختلاف، فقيل يجوز وقيل لا يصلى عليه تنكيلا.

٩ـ جهاد المنافقين

وبالنسبة للمنافقين «الزنادقة»: وهم الذين أظهروا الاسلام والولاء، وأبطنوا الكفر، وهؤلاء لا يعلم بدخائلهم وسرائرهم وضمائرهم وحقيقة حالهم إلا الله، عالم الغيب والشهادة، والسر والعلانية، وخائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولقد أعلم الله نبيه محمدا ﷺ بهم، وأخبره بحقيقة حالهم، وأمره أن يقبل علانيتهم، ويوكل سرائرهم الى الله، وأن يصبر عليهم مع الحذر الشديد منهم، والاحتياط والانتباه لأساليبهم وألاعيبهم، ومكرهم وخداعهم. فهم أشد خطرا على الاسلام والمسلمين من غيرهم من الكفار، وذلك لتسترهم وتخفيهم، ولوجودهم في قلب الأمة الاسلاميه وبين أضلعها وفي أحشائها.

كما أمر الله نبيه ﷺ أيضا أن يبين لهم تعاليم الاسلام، عسى أن تصلح نفوسهم، ولعل أن تستقيم قلوبهم على الحق، ويثوبوا الى رشدهم ويرجعوا عن غيهم وضلالهم، وهذا أمر عام يدخل فيه جميع المسلمين، ولقد أمر الله نبيه ﷺ امرا خاصا به دون أمته، بأن يعرض عنهم ويغلظ عليهم، وأن لا يصلي على أحد منهم قد مات، وأن لا يقوم على

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم ـ صحيح.

(٢) سورة التوبة آية ٧٣.

قبورهم، وأن لا يستغفر لهم وأن لا يُخرج معه أحداً للقتال منهم بعد غزوة تبوك، وذلك لعلمه بهم، ومعرفته بأشخاصهم.

قال تعالى: ﴿يا أيها النبيّ جهد الكفارَ والمنفقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فإن رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود مرّة أولَ فاقعدوا مع الخالفين * ولا تصل على أحد منهم مات ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفسقين﴾[3]

وقال تعالى: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إن المنفقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلاّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما﴾[5].

والآيات في الموضوع كثيرة وإذا كان نفاقهم في علم الغيب عند الله، ومحجوباً عنا، لكن الله بمنه وفضله قد بين خصائصهم وصفاتهم وأساليبهم، وكذلك بينت السنة المطهرة ذلك، ليكون المسلمون على حذر وحيطة من هذه الصفات، وممن اجتمعت فيهم هذه الصفات...

ومن أهم خصائص وصفات المنافقين ما يلي:

● الكذب والخيانة ونقض العهد والفجور في المخاصمة.

قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾[6].

وقال تعالى: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا

---

(١) سورة التوبة آية ٧٣ (٢) سورة التوبة من آية ٨٣-٨٤. (٣) سورة التوبة آية ٨٠
(٤) سورة المنافقون آية ٦. (٥) سورة النساء من آية ١٤٥ - ١٤٦ (٦) سورة المنافقون آية ١

Maktabatul 'ilmi

ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنفقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنفقين لا يعلمون﴾[1].

وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»[2] وفي رواية «وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»

● المخادعة والتلون والتذبذب والكسل في القيام للطاعات:

قال تعالى: ﴿ان المنفقين يخدعون الله وهو خدعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ★ مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾[3].

وفي آية أخرى: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كرهون﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيمهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾[5].

● الفرح لخذلان المسلمين والحزن لنصرهم:

قال تعالى: ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولّوا وهم فرحون﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ويعذب المنفقين والمنفقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾[7].

● الاستهزاء بالمؤمنين والتقليل من شأنهم واللمز في أعمالهم:

قال تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أُعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾[8].

---

(١) سورة المنافقون من آية ٧-٨.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ـ صحيح.
(٣) سورة النساء من آية ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٤) سورة التوبة آية ٥٤.
(٥) سورة محمد آية ٣٠.
(٦) سورة التوبة آية ٥٠.
(٧) سورة الفتح آية ٦.
(٨) سورة التوبة آية ٥٨.

وقال تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولن هو أُذُنٌ قل أُذُنُ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمةٌ للذين ءامنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾[1].

● موالاة الكفار وعدم الرضى بالتحاكم الى الله ورسوله:

قال تعالى: ﴿بشر المنفقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكفرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنفقين يصدون عنك صدودا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين تولّوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾[4].

● الصد عن سبيل الله والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال تعالى: ﴿اتخذوا أيمنهم جُنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين﴾[5].

وقال تعالى: ﴿المنفقون والمنفقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنفقين هم الفسقون﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنفقين يصدون عنك صدودا﴾[7].

● عدم تنفيذ الاستعداد للقتال، والتخلف عنه، والتخذيل والتثبيط والإرجاف، وزرع بذور الفتنة في الصف المسلم.

قال تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم وثبطهم وقيل اقعدوا مع القعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم

---

(١) سورة التوبة آية ٦١ .

(٢) سورة النساء من آية ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) سورة النساء من آية ٦٠ - ٦١ .

(٤) سورة المجادلة آية ١٤ .

(٥) سورة المجادلة آية ١٦ .

(٦) سورة التوبة آية ٦٧ .

(٧) سورة النساء آية ٦١ .

يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظّلمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كٰرهون * ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكٰفرين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلٰف رسول الله وكرهوا أن يجٰهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾[2].

● الكيد والمكر، والدس والتآمر، ونشر الدعوات بين المؤمنين:

قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفٰحشة في الذين ءامنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ★﴾[4].

هذه بعض الصفات الشريرة في المنافقين، وغيرها كثير، فإذا كانت هذه صفاتهم وهذا وضعهم وحالهم، فكم خطرهم عظيما، وكم ضررهم فادحاً في المجتمع المسلم، وخاصة في أوقات الشدة وأيام المحن، وفي مواطن الجهاد وفي ساحات القتال، فينبغي الحذر كل الحذر ممن تحققت فيهم هذه النعوت القبيحة، وأن تعلم القيادة عن تصرفاتهم المشبوهة وأعمالهم المريبة فور صدورها منهم ليتلافى خطرهم، ويدرأ شرهم، وتسلم القيادة والجيش والمجتمع من خطرهم الكبير وشرهم المستطير.

١٠ ـ جهَاد الظَّالِمين

وأما بالنسبة للظالمين:

لقد اقتصرت في هذا البحث على ظلم الحكام دون غيرهم، لأن بحث الظلم العام الشامل بحث واسع وطويل، ويحتاج الى كتاب خاص للبحث فيه، ولأن بحث ظلم الحكام له علاقة وثيقة بموضوع الجهاد في سبيل الله الذي هو موضوع هذا الكتاب:

---

(١) سورة التوبة من آية ٤٦ ـ ٤٩.
(٢) سورة التوبة اية ٨١.
(٣) سورة التوبة اية ١٠٧.
(٤) سورة النور آية ١٩.

Maktabatul 'ilmi

الظلم معناه لغة: مِنْ ظَلَم يَظلم ظُلْما ومظلِمة: جار، وجاوز الحد ووضع الشيء في غير موضعه، وفي المثل: «من استرعى الذئب فقد ظلم» يضرب لمن يولي غير الأمين[1].

وشرعا: التعدي على الحق الشرعي للغير بالقول أو الفعل أو الحكم... ويمكن تقسيم الظلم المتعلق بالحكم والحكام الى قسمين:

- ظلم كفر.
- ظلم فسوق.

(أ) أما ظلم الكفر:

أي الظلم المكّفر المخرج من ملة الاسلام، ويعتبر صاحبه مرتدا كافرا، وهو التعدي على حكم الشرع بحكم آخر مخالف له مع اعتقاد مشرعه بصحة حكمه المخالف لشرع الله، وهو يعلم ذلك ويرفضه ولا يرضاه.

أو هو الحكم بخلاف الشرع مع اعتقاد حاكمه بصحة حكمه المخالف لشرع الله وهو يعلم ذلك ويرفضه ولا يرضاه، فهذا الحاكم الذي يشرع أو يحكم كما بيّنا فلا شك من كفره، سواء طبق شرعه أم لا، وسواء أكان أساس الحكم في بلاده إسلامياً أم لا، وذلك لأنه في تشريعه هذا أو في حكمه هذا صوّب نفسه وخطّأ ربه سبحانه وتعالى.

وينطبق على هذا وأضرابه:

قوله تعالى: ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[2].

[وجاء في تفسير ابن كثير في تفسير هذه الآية: قال السدي ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون﴾ يقول: ومن لم يحكم بما أنزلت، فتركه عمدا، أو جار وهو يعلم، فهو من الكافرين. وقال علي بن أبي طلحة عن أبي عباس قوله: ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون﴾ قال: من حجد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به فهو ظالم فاسق، رواه ابن جرير][3].

وهذا الصنف من الناس - يعني الكافر - لا يصح شرعا أن يكون حاكما على المسلمين، لأن من أهم شروط الحاكم في الإسلام أن يكون من المسلمين، وهذا ليس

---

(١) مختار الصحاح للرازي.

(٢) سورة المائدة آية ٤٤.

(٣) تفسير ابن كثير في سورة المائدة.

منهم، ولقد أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى انه لو طرأ عليه الكفر انعزل.

قال تعالى: ﴿. . . ولن يجعل الله للكفرين على المؤمنين سبيلا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنـازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا * ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطّاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنٰفقين يصدون عنك صدوداً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أفحكم الجهلية يبغون ومَنْ أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾[3].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان»[4].

ومن يرض بحكم الكفر، أو بحاكمه الكافر وهو يعلم فهو كافر.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصٰرى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتول منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظٰلمين﴾[5].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أُوتوا الكٰتب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله أن كنتم مؤمنين﴾[6].

أما المحكوم بحكم الكفر، أو بحكم الكافر مكرها غير راض، فليس بكافر، بل يعتبر مقهورا وغلوبا

قال ﷺ: «إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره بريء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع. قالوا: يا رسول الله: الا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا»[7].

---

(١) سورة النساء آية ١٤١.

(٢) سورة النساء من آية ٥٩ - ٦١.

(٣) سورة سورة المائدة آية ٥٠.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) سورة المائدة آية ٥١.

(٦) سورة المائدة آية ٥٧.

(٧) رواه مسلم.

والحاكم الكافر يجب على المسلمين الخروج عن طاعته والولاء له، ويجب مجاهدته بكل وسيلة مشروعة يمكن بها إسقاطه عن عرشه، وانتزاع الحكم المغتصب منه، لتسليمه الى أهله من المسلمين، أما إذا لم يمكن عزله بالقوة لقلة وضعف في المسلمين يسكت عنه كرها ريثما تتهيأ القوة الكافية والفرصة المناسبة، للتغلب عليه، فيحارب حتى يسقط ويعزل.

وينطبق هذا أيضا على الحاكم الذي يعطل قاعدة من قواعد الاسلام، أو ركنا من أركانه عامدا قاصدا قابلا راضيا، فما بالك بالذي يعطلها كلها أو أكثرها، فيستبدلها بغيرها، بدستور أو قانون وضعي مخالف لشرع الله، يحكم به العباد والبلاد فيظلم ويطغى ويرتكب الجرائم، ويستبيح المحرمات، ويعيث في الأرض الفساد، يفعل كل ذلك باسم الدستور أو القانون المفروض على الأمة المسلمة فرضا وقهرا بغير رأيها ولا رضاها.

ولما كان من غايات الجهاد في سبيل الله إقامة حكم الله في الأرض، ليقوم العدل في الأرض ويرفع عن البشرية كابوس الظلم... لذا فكل حاكم لا يقيم حكم الله في الأرض وحكم عليه بالكفر يجب جهاده وإسقاطه وعزله كما بينا آنفا.

قال تعالى: ﴿وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * وإن تولوا فاعلموا أن الله مولكم نعم المولى ونعم النصير﴾[1]. لأن تعطيل شرع الله والإعراض عنه، فيه ضياع المسلمين وهلاكهم وزوال دولتهم وهدم كيانهم، كما أن فيه شقاء البشرية وتعاستها... لذا:

[ذهب جمهور علماء المسلمين إلى جواز الخروج على الحاكم الذي يأخذ رعيته ببدع ليس لها أساس في دين الله تعالى][2].

وأما الأحاديث التي وردت في النهي عن الخروج على الحاكم، فهي مقيدة بإقامتهم للدين في رعاياهم كما في: قوله ﷺ: «إن هذا الأمر في يد قريش، لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»[3].

فشرط إقامة الدين في عدم الخروج عليهم، فإذا لم يقيموا الدين انتفى الشرط،

---

(١) سورة الأنفال من آية ٣٩ - ٤٠.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم جزء ١٢ صفحة ٢٢٩.

(٣) رواه البخاري.

Maktabatul 'ilmi

وبانتفاء الشرط انتفت الطاعة، فلا ولاء ولا انقياد ووجب الخروج كما في قوله ﷺ: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا»[1].

فشرط السمع والطاعة قيادة الأمة بشرع الله.

٢ـ وأما ظلم الفسوق:

أي الظلم غير المخرج من ملة الإسلام، ويعتبر صاحبه فاسقا آثما، فهو بالنسبة للحاكم: التعدي على حكم شرع الله، وهو الحكم بخلاف الشرع مع اعتقاده بخطأ حكمه، وبجوره المخالف لشرع الله...

وهذا فيما إذا كان أساس الحكم في بلاده ورعيته إسلاميا، لكنه حكم بخلافه على بعض أفراد رعيته ظلما وعدوانا، ولم يأخذ الرعية كلها بهذا الظلم، أو بمنهاج غير منهاج الله أو بشرع غير شرع الله.

فهذا لا شك في صحة إسلامه، لأنه لم يعتقد صحة ظلمه وجوره، لكنه ظالم فاسق بما ظلم وحكم بخلاف شرع الله ـ وهذا ظلم وفسوق من غير جحود ـ فهذا وأضرابه ينطبق عليهم حكم الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظّٰلمون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفٰسقون﴾[3].

وقد ذكرنا آنفاً في تفسير هاتين الآيتين [عن ابن عباس قال: من حجد ما أنزل الله فقد كفر، ومن اقر به فهو ظالم فاسق...[4]

والحاكم الظالم الفاسق المسلم يستحق العزل من حاكميته ومنصبه باتفاق علماء المسلمين، لكن لا يجوز الخروج عليه لما يترتب على الخروج عليه ونقض بيعته من مفسدة هي أكبر بكثير من مفسدة وجوده في منصبه، إذ قد يؤدي ذلك الى انقسام المسلمين الى فئات تضرب بعضها، وتقتتل فيما بينها، لكن لا يطاع إلا بالمعروف، ويجب نصحه ووعظه له وإرشاده وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ومحاولة رده الى صوابه بكل وسيلة ناجعة، ويقع أكبر العبء في ذلك، وأعظم المسؤولية عن ذلك على عاتق العلماء والعقلاء والوجهاء، فعليهم تحمل ذلك والقيام به بجرأة وشجاعة دون خوف

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة المائدة آية ٤٥.

(٣) سورة المائدة آية ٤٧.

(٤) تفسير ابن كثير في سورة المائدة.

أو وجل، لأنه من أعظم الجهاد وفيه أعظم الأجر وخاصة إذا تعرض أولئك للاضطهاد أو الابتلاء أو الاستشهاد.

قال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

وقال ﷺ: «لا طاعة لأحد في معصية، إنما الطاعة في المعروف»[2].

وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[3].

وقال ﷺ: «إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم»[4].

وقال ﷺ: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة الجاهلية»[5] وفي رواية: «ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية».

وقال ﷺ: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإن من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية»[6].

وقال ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد»[7].

وقال ﷺ: «من ولّي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فلا ينزعن يدا من طاعة»[8].

وقال ﷺ: «خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي

---

(١) رواه أحمد والحاكم.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي - صحيح.
(٣) رواه البخاري ومسلم - صحيح.
(٤) رواه مسلم - صحيح.
(٥) رواه مسلم - صحيح.
(٦) رواه البخاري ومسلم - صحيح.
(٧) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم - صحيح. (٨) رواه مسلم.

عليه وال فرآه يأتي من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»[1].

وقال ﷺ: «سيكون أمراء فسقة جورة، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني، وليس بوارد على الحوض»[2].

وقال ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[3].

وعن عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمسي: «أن رجلا سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز: أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر»[4].

وقال ﷺ: «أحب الجهاد الى الله كلمة حق تقال لإمام جائر»[5].

وقال ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره فنهاه فقتله»[6].

وحين ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة كان مما قال: «أما بعد أيها الناس: فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله»[7].

ومما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي الخلافة: «من رأى منكم مني اعوجاجا فليقومه» فيقوم أعرابي ويقول: «والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا» فسر عمر رضي الله عنه لهذا الجواب وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه»[7].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ـ صحيح.
(٤) رواه النسائي ـ صحيح.
(٥) رواه أحمد، وابن ماجه والحاكم ـ صحيح.
(٦) رواه الترمذي والحاكم.
(٧) سيرة ابن هشام جزء ٤.

Maktabatul 'ilmi

وقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنت بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوٰة ويؤتون الزكوٰة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[2].

هذا وللمظلوم دفع الظلم عن نفسه ولو بمقاتلة الظالم بالقوة، وإذا قتل فهو شهيد.

قال ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[3].

وفي حياة الصحابة والتابعين والعلماء العاملين، أروع الأمثلة في المواقف الجريئة والمجابهة الصريحة في مواطن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعلان كلمة الحق في وجه الطغاة والظالمين من الخلفاء والأمراء والقادة والرؤساء. . . .تراجع في مصادرها.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٢) سورة التوبة آية ٧١ .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ـ صحيح .

القعودُ عن الجِهَاد وَالفِرار منَ الزَّحف

لما كان الجهاد في سبيل الله سبيلا الى نشر دين الإسلام وإعلاء كلمة الله ـ وكلمة الله هي العليا ـ وطريقا الى إعزاز المسلمين والحفاظ على إيمانهم وكيانهم، ووسيلة لنصرة المستضعفين والمعذبين والمظلومين والمضطهدين في الأرض، وكان في تعطيله وتركه والقعود عنه ضياع وفقدان وخسارة لكل ذلك الخير العميم والفضل العظيم، فقد توعد الله عز وجل وهدد المهملين لهذا الركن العظيم من أركان الإسلام، والقاعدين والمتخلفين عنه بغير عذر شرعي بأفظع الأنكال والعقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات، وتوعدهم بالخزي والذل في الدنيا، وبالعذاب في الآخرة.

كما اعتبر التولّي يوم الزحف والفرار من المعركة خورا وجبنا، وكبيرة من أعظم الكبائر، ومن إحدى الموبقات السبع التي ترمي صاحبها في الهلاك، وتودي به الى البؤس والشقاء، وتدخله في غضب الله وسخطه، وذلك لما فيه من خذلان وإضعاف لجيش المسلمين، وإلقاء الرعب والبلبلة في صفوفه، مما قد يؤدي الى هزيمة الجيش وانكساره وهلاكه ودماره، وبالتالي الى ضعف المسلمين وضياعهم، وتفككهم وانهدام كيانهم.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحيوٰة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوٰة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم اذا

---

(١) سورة التوبة من آية ٣٨ ـ ٣٩ .

ضربوا في الأرض أو كانوا غزّىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار * ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ويقول الذين ءامنوا لولا نزّلت سورة فإذا أُنزلت سورة محكمة وذُكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشيّ عليه من الموت فأولى لهم * طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وما لكم لا تُقتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾[4].

وقال ﷺ: «إذا ضنّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله عليهم ذلا، لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»[5].

وقال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم»[6].

وقال ﷺ: «من لقي الله بغير أثر جهاد، لقي الله وفيه ثلمة»[7].

وقال ﷺ: «من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق»[8].

وقال ﷺ: «من لم يغز، ولم يجهز غازيا، أو يخلف غازيا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»[9].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٦.
(٢) سورة الأنفال من آية ١٥ - ١٦.
(٣) سورة محمد من آية ٢٠ - ٢١.
(٤) سورة النساء آية ٢١٦
(٥) رواه أحمد والطبراني والبيهقي - عن ابن عمر - حسن.
(٦) رواه أبو داود والبخاري - صحيح.
(٧) رواه الترمذي وابن ماجه.
(٨) رواه مسلم وأبو داود - صحيح.
(٩) رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا عمهم الله بالعذاب»[1].

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[2].

وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»[3].

وجاء في السيرة لابن كثير في غزوة تبوك: [فقال رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو في جهازه ذلك للجدّ بن قيس، أحد بني سلمة: «يا جدّ: هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله؛ أو تأذن لي؟ ولا تفتنّي، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجل بأشد عجبا من النساء مني، وإني اخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر.

فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك» ففي الجدّ أنزل الله هذه الآية:

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكفرين﴾[4].

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكًا في الحق، وإرجافا بالرسول ﷺ، فأنزل الله فيهم:

﴿فرح المخلّفون بمقعدهم خِلْف رسول الله وكرهوا أن يُجهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون﴾[5].

قال ابن هشام: حدثني الثقة عمن حدثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق عن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه عن جده قال: بلغ رسول الله ﷺ أن أناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلم اليهودي - وكان بيته عند جاسوم - يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فبعث اليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة، فاقتحم الضحاك بن خليفة

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي - صحيح.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد - صحيح.

(٤) سورة التوبة آية ٤٩.

(٥) سورة التوبة من آية ٨١ - ٨٢.

من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أولاده فأفلتوا، فقال الضحاك في ذلك:

كادت وبيت الله نار محمد
بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سُوَيْلم
أبوء على رجل كسير أو مِرْفق
سلام عليكم لا أعود لمثلها
أخاف تشمل به النار يحرق[1].

وفي قصة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك عبرة لمن يعتبر، وذكرى لأولي الألباب: وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمرْي، وهلال بن أمية الواقفي، وهاكها:

«عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب رضي الله عنه من بنيه حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث بحديثه، حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط، إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنه، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بد، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، فكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، أني لم أكن قط أقوى وأيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها من راحلتين قطّ حتى جمعتها في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّي بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا، واستقبل عددا كثيرا، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد بذلك الديوان ـ .

قال كعب: فقلّ رجل يريد أن يتغيب إلا أن ذلك سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا اليها أصعر، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدوا لكي أتجهز معه، فأرجع

(١) السيرة النبوية لابن هشام في غزوة تبوك جزء ٤ من صفحة ٥ ـ ٦ .

ولم أقض شيئا، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل يتمادى بي حتى استمر بالناس الجدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أنني لا أرى لي أسوة إلا رجلا مغموصا في النفاق، ورجلا ممن عذر الله تعالى من الضُعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عِطْفَيه، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله ﷺ، فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: كُن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع تمر حين لمزه المنافقون.

قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بم أخرج من سخطه غدا؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما، زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لم أنجُ منه بشيء أبدا، فأجمعت صدقة، وأصبح رسول الله ﷺ قادما.

وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعا وثمانين رجلا، فقبل منهم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت فلما سلّمت تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال: قلت: يارسول الله؛ إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلا ولكنني والله لقد علمت لئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه، إني لأرجو فيه عقبى الله عز وجل، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال: فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك.

وصار رجال من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمنا أنك أذنبت ذنبا قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت

ان أرجع الى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي، ثم قلت: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثلما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا، فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس، أو قال تغيروا لنا، حتى تنكرت لي نفسي في الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعدالصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس الي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة: أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ﷺ ؟ فسكت، فعدت فناشدته، فقال الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له اليّ، حتى جاءني، فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته، فإذا فيه:

أما بعد: فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت حين قرأتها: وهذه أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا، بل اعتزلها فلا تقربها، وأرسل الى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله أمره في هذا الأمر، فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت له: يا رسول الله؛ إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ فقال: لا، ولكن لا يقربنك، فقالت: إنه والله ما به من حركة الى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: لا استأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها،

وأنا رجل شاب، فلبثت بذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نُهي عن كلامنا، ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى عنا، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أو في سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجدا، وعرفت أنه قد جاء فرج، فآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشرون، وركض اليّ رجل فرسا وسعى ساعٍ مِنْ أسلم قِبلي، وأوفى على الجبل، فكان الصوت اسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوتهما إياه ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ، يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة، ويقولون لي: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، فقلت: أمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله عز وجل، وكان رسول الله ﷺ إدا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله، فقال ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، فقلت: إني أمسك بسهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله؛ إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت، فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما بلاني الله تعالى، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ الى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي، قال: فأنزل الله تعالى:

﴿لقد تاب الله على النبي والمهَجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسر. . .﴾ حتى بلغ ﴿. . . إنه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلَثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. . .﴾ حتى بلغ ﴿. . . اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[1].

قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في

---

(١) سورة التوبة من آية ١١٧ ـ ١١٩ .

نفسي من صدقي رسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال الله تعالى:

﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأوهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفَسقين ★﴾[1].

قال كعب: كنّا خُلِّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ، حين خلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرَنا حتى قضى الله تعالى بذلك:

قال الله تعالى: ﴿وعلى الثلثة الذين خُلِّفوا . . .﴾ وليس الذي ذُكِرَ مما خُلِّفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له، واعتذر اليه فقبل منه»[2].

وفي رواية: «أن النبي ﷺ خرج في غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس».

وفي رواية: «وكان لا يقدم من سفر إلا نهارا في الضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه».

[قال الحافظ: كان الشافعي رضي الله عنه يقول: إذا غزا المسلمون فلقوا ضِعْفَهم من العدو حُرم عليهم أن يولّوا إلا متحرفين لقتال، أو متحيزين الى فئة، وإن المشركون أكثر من ضِعْفِهم لم أُحب لهم أن يولّوا، ولا يستوجبون السَخط عندي من الله لو ولّوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز الى فئة، وهذا مذهب ابن عباس المشهور عنه، حيث جاء في تفسير ابن كثير: فقال محمد بن اسحاق: حدثني ابن أبي نجيح، عن عطاء بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائةٌ ألفا، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى فقال:

﴿الْئَنْ خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا . . .﴾[3] الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كان دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم][4].

فإذا التقى المسلمون والكفار وجب الثبات وحرم الفرار لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين

---

(١) سورة التوبة من آية ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٣) سورة الأنفال اية ٦٦.

(٤) تفسير ابن كثير في تفسير سورة الأنفال

Maktabatul 'ilmi

آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأوه جهنم وبئس المصير﴾[2].

وقد عد النبي ﷺ الفرار يوم الزحف من الكبائر كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما والذي مر آنفا.

وخبر النبي ﷺ عام، فلا يجوز التقييد والتخصيص إلا بدليل. . . وإنما يجب الثبات بشرطين:

أحدهما: أن يكون الكفار لا يزيدون على ضعف المسلمين، فإن زادوا عليهم جاز الفرار.

لقوله تعالى: ﴿الئن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يك منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾[3].

قال ابن عباس: نزلت: ﴿. . . إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . . .﴾[4] فشق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف.

فقال تعالى: ﴿الئن خفف الله عنكم . . .﴾[5] الآية، فلما خفف الله عنهم من العدد نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم من العدد»[6].

وقال ابن عباس: «من فر من اثنين فقد فر، ومن فر من ثلاثة فما فر»[7].

الثاني: أن لا يقصد بفراره التحيز الى فئة، ولا التحرف لقتال، فإن قصد أحد هذين الأمرين فهو مباح له.

لقوله تعالى: ﴿. . . إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة. . .﴾[8].

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٥.
(٢) سورة الأنفال آية ١٥ ـ ١٦.
(٣) سورة الأنفال آية ٦٦
(٤) سورة الأنفال آية ٦٥.
(٥) سورة الأنفال آية ٦٦.
(٦) رواه ابو داود.
(٧)
(٨) سورة الأنفال اية ١٦.

ومعنى التحرف للقتال: أن ينحاز إلى موضع يكون فيه القتل أمكن.

ومعنى التحيز إلى فئة: فهو أن يصير الى فئةٌ من المسلمين ليكون معهم فيقوى بهم على عدوهم.

● وإذا خشي الأسر: فالأولى له أن يُقاتل حتى يُقتل، ولا يسلم نفسه للأسر، وإن استأسر جاز.

لما روى أبو هريرة: «أن النبي ﷺ بعث عشرة عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فنفرت إليهم هذيل بقريب من مائة رجل رام، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا الى فدفد، فقالوا لهم: انزلوا فأعطونا أيديكم، ولكم العهد أن لا نقتل منكم أحدا، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصما في سبعة معه، ونزل إليهم ثلاثة على العهد والميثاق، منهم: خبيب، وزيد بن الدثنة، فلما استمكنوا منهم، أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها»[1].

فعاصم أخذ بالعزيمة، وخبيب وزيد أخذا بالرخصة، وكلهم محمود غير مذموم ولا ملوم رضي الله عنهم.

● وإن كان العدو أكثر من الضعف، وغلب على الظن الظفر فالأولى الثبات وإن غلب على الظن الهلاك في الحالين فالأولى الثبات، لنيل الشهادة، وقد تحصل الغلبة.

لقوله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصَّبرين﴾[2].

ولذلك صبر عاصم وأصحابه فقاتلوا حتى اكرمهم الله بالشهادة.

● وإذا حاصر العدو بلدا، فلأهلها التحصن منهم، ولا يكون ذلك توليا ولا فرارا، إنما التولي بعد لقاء العدو، وإن لقوهم خارج الحصن فلهم التحيز الى الحصن لأنه بمنزلة التحرف للقتال أو التحيز الى فئة.

وهذه خطبة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه في الحث على الجهاد:

[أما بعد فإن الجهاد من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد منه

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٦.

ومنع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا سرا وإعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم، وتخاذلتم، حتى شنت الغرات عليكم، وملكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد، قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجل منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلوا أن امرأ مسلما مات بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي جديرا، فيا عجبا عجبا، والله يميت القلب، ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم على حقكم، فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمارة القيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر، فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت لو أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندما وأعقبت سدما، قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نقت التهام أنفاسا، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا قد ذرفت على الستين، ولكنه لا رأي لمن لا يطاع][1].

---

(١) كتاب نهج البلاغة جزء ١ صفحة ٣٧ ـ وكتاب الترغيب والترهيب في الحاشية ـ باب الجهاد.

Maktabatul 'ilmi

شروط الجهَاد في سبيل الله

إن مما يميز الجهاد الاسلامي عن غيره من الحروب أنه مقرون بشروط وضوابط وقيود متى خرج عنها خرج عن صفته الإسلامية وعن كونه في سبيل الله، وأصبح كسائر الحروب والقتالات التي يشنها الناس أو الدول أو الشعوب بعضهم ضد بعض، إما للكسب المادي، أو الانتقام الشخصي، أو التوسع الدولي، أو للسيطرة والاستعلاء، والقهر والإذلال، الى غير ذلك من الأهداف الوضعية والغايات المنحطة، ولتحقيق هذه الأهداف يؤخذ بكل وسيلة مهما بلغت من الحيوانية والوحشية والهمجية، والنذالة والسفالة والانحطاط، إذ ليس لحروبهم ضابط إنساني، أو سلوك أخلاقي، أو قيد قانوني سوى أنهم يعتقدون أن الحق والحياة للأقوى، وأن الغاية تبرر الوسيلة، ولا غاية لهم سوى تحقيق أطماعهم الجشعة، وأنانيتهم الدنيئة..

أما شروط الجهاد في سبيل الله فمن أهمها ما يلي:

١ـ أن يكون الجهاد خالصا في سبيل الله واعلاء كلمته، لا رياء فيه ولا سمعة، ولا شرك ولا نفاق... فهو وسيلة من وسائل الدعوة إلى دين الله، وهو عبادة خالصة لله، لا تشوبها شائبة تشوهها، ولا يخالطها مخالط يعكرها، صافية صفاء ماء السحاب، نقية نقاء الصفحة البيضاء... وذلك ليتقبلها الله قبولا حسنا، وليضاعف فيها الأجر والثواب، إذ لا يتقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا له، وابتغى به وجهه:

قال ﷺ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغى به وجهه»[1].

لذا، فالجهاد الاسلامي مقرون بالاصطلاح ـ في سبيل الله ـ كلما ذكر في كتاب الله تعالى، أو في حديث الرسول ﷺ للتأكيد على تحقيق هذا الشرط.

---

(١) رواه النسائي ـ حسن.

قال تعالى: ﴿فليقتل في سبيل الله الذين يشرون الحيٰوة الدنيا بالآخرة ومن يقتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلبْ فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿الذين ءامنوا يُقتلون في سبيل الله والذين كفروا يُقتلون في سبيل الطّاغوت فقتلوا أولياء الشيطٰن إن كيد الشيطٰن كان ضعيفا﴾[2].

«جاء أعرابي الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، وفي رواية: يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، وفي رواية: يقاتل غضبا، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[3].

وقال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»[4].

وقال ﷺ: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد، فأتي به فعرّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى القي في النار» .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله؛ إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يُرى موطني؟ فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت:

﴿...فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صٰلحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾[5].

فالمجاهد في سبيل الله ينبغي أن يكون مجردا من كل هوى شخصي أو غرض دنيوي، أو شهوة نفسية، أو نزعة أرضية، فلا يقصد بجهاده جاها ولا مغنما ولا سمعة ولا شهرة ولا شهوة، كما لا يقصد إعلاء جنس على جنس، أو لون على لون، أو قبيلة على قبيلة، أو طبقة على طبقة... وإنما قصده رضوان الله تعالى، بإعلاء كلمته، وإظهار دينه، وإعزاز عباده المؤمنين.

---

(١) سورة النساء آية ٧٤ .

(٢) سورة النساء آية ٧٦ .

(٣) رواه البخاري ومسلم - صحيح .

(٤) رواه البخاري ومسلم - صحيح .

(٥) سورة الكهف آية ١١٠ .

٢ـ أن لا يباشر بالقتال إلا بعد إبلاغ الكفار دين الاسلام، ودعوتهم الى الايمان، فإذا أصروا على البقاء على دينهم ورفض دين الاسلام قوتلوا، ليعرفوا أنهم على ماذا يقاتلون، وإن لم يبلغوا الدعوة يحرم قتالهم، ويكفي بلوغ الدعوة قبل القتال، ولا يجب تجديده عند القتال بل يستحب.

[قال الامام مالك: بوجوب دعوتهم للإسلام، ولو بَلَغَتْهم، ما لم يبادرونا للقتال][1].

ومعنى بلوغ الدعوة: أن يسمعوا بأصل دعوة الاسلام أي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

ولا يشترط إمهالهم مهلة للنظر في صحة دين الاسلام، لأنه لم ينقل عن الرسول ﷺ أنه أمهل الكفار ساعة أو أكثر ليقتنعوا بصحة الدعوة، بل كانت دعوته اما مشافهة؛ بأن ينادي في مجتمعات المشركين بقوله: أيها الناس؛ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا... ونحو ذلك، مع إعلامهم بأنه رسول الله، وأما أن يبعث من يبلغ عنه...

وأما الملوك: فقد بعث إليهم رسلا من أصحابه بكتبه، تبلغهم الدعوة كتابة، فقد كتب النبي ﷺ الى هرقل ملك الروم كتابا مضمونه:

[بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، الى هرقل عظيم الروم: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين.

﴿قل يَا أهل الكتب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[2]][3].

فاعتبر الرسول ﷺ ذلك دعوة كافية يحل بها قتالهم إذا لم يتبعوا دين الإسلام، أو يدفعوا الجزية، وفي غزوة تبوك لم يجدد رسول الله ﷺ الدعوة للاسلام بعد كتابه المذكور.

وفي صحيح البخاري ومسلم: «أنه غزا بني المصطلق وهم غارّون، وهم يسقون مواشيهم فقتل مقاتليهم...»[4].

---

(١) كتاب بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ـ باب الجهاد.

(٢) سورة ال عمران آية ٦٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام.

(٤) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

وأخرج البخاري وابن حبان والبيهقي: «أن المغيرة بن شعبة قال لعامل كسرى بنهاوند: فأمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية»[1].

[وقال الامام أحمد، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنه انتهى الى حصن أو مدينة، فقال لأصحابه: دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم فقال: إنما كنت رجلا منكم، فهداني الله عز وجل للاسلام، فإن أسلمتم فلكم ما لنا، وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، وإن أبيتم نابذناكم على سواء.

﴿. . . إن الله لا يحب الخائنين﴾[2].

يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله][3].

وعن ابن عباس: «ما غزا رسول الله ﷺ قوماً حتى دعاهم الى الاسلام»[4].

والمذاهب الأربعة قالت بوجوب إبلاغ دعوة الاسلام الكفار قبل قتالهم ما لم يبادرونا القتال، ويستحب تجديدها عند القتال إذا لم يُخش ضرر.

وقال الإمام مالك: يجب تجديدها، ولو بلغتهم، ما لم يبادرونا للقتال، فإن أجابوا للاسلام وأسلموا تركوا بمحل أمن، وإن امتنعوا منه فالجزية، فإن قبلوا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإن أبوْا قوتلوا وقُتلوا.

٣ـ عدم وجود عهد أو ميثاق بين الكفار والمسلمين يقضي بعدم القتال، لأن الله أمر بإتمام العهود والوفاء بها. . . لكن إذا نقضوا العهد والميثاق قوتلوا.

قال تعالى: ﴿براءة من الله ورسوله الى الذين عٰهدتم من المشركين﴾[4] إلى قوله تعالى: ﴿إلا الذين عٰهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يُظٰهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وإن نكثوا أيمٰنهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقٰتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمٰن لهم لعلهم ينتهون﴾[6].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن حبان والبيهقي ـ صحيح.

(٢) سورة الأنفال آية ٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير سورة الأنفال.

(٤) سورة التوبة آية ١.

(٥) سورة التوبة آية ٤.

(٦) سورة التوبة آية ١٢

وجاء في كتاب السيرة: [أن النبي ﷺ اصطلح مع قريش في الحديبية على وضع الحرب عن الناس عشر سنين. . . ودخلت خزاعة مع النبي ﷺ في العهد، ودخلت بنو بكر مع قريش فيه. . .][1] وكان ذلك سنة ست من الهجرة النبوية الشريفة، [ولما نقض المشركون العهد مع رسول الله ﷺ، حين عدت بنو بكر ومعها رجال من قريش على بني خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا قاتلهم، وتم له فتح مكة][2].

[وقال محمد بن اسحاق: كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي الأمي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس. . .][3].

وقد كان هذا العهد في السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، ومما تضمنه هذا العهد:

- التعايش الآمن بين أهل العقد.
- التناصح فيما بينهم.
- التناصر فيما بينهم.
- النصرة للمظلوم.
- الدفاع المشترك عن المدينة اذا دهمت أو هوجمت.
- التحاكم الى رسول الله ﷺ في حال الاختلاف.

ولما نقض اليهود العهد يوم الأحزاب قاتلهم بعدها وأجلاهم.

والعهد أو الميثاق أو التحالف أو الهدنة أو الموادعة. . . لا يكون إلا بطريق الخليفة أو من يقوم مقامه أو من ينوب عنه إذا رأى مصلحة في ذلك، كأن يكون بالمسلمين ضعف عن قتال أعدائهم، أو أن يطمع في إسلامهم بمهادنتهم أو أخذ الجزية منهم، أو للتفرغ للقتال في جهة أخرى. . . الى غير ذلك مما يراه الامام من المصالح.

أما التعاهد بين آحاد من المسلمين مع جملة من الكفار فلا يصح وكذلك الإجارة والأمان. . . لأن في تصحيحه وتجويزه إفتئاتا على الامام أو نائبه، وتجاوزا وتطاولا عليه،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٣ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٤ .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ صفحة ٣٢٠

وتعطيلا للجهاد بالكلية. . . لكن التعاهد بين آحاد من المسلمين مع آحاد من الكافرين ـ عدد قليل منهم ـ فيصح بشرط: أن لا يتعطل بأمانهم وعهدهم الجهاد في سبيل الله بناحية، وأن لا يكون الكافر محاربا متآمرا على الاسلام والمسلمين.

قال ﷺ: «يجير على أمتي أدناهم»[1].

وقال ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم».

ولا يجير الذمي كافرا الا بإذن الإمام، لأن الأصل عند الكافر الحنين الى أهل ملته.

وإن خاف الامام أو نائبه نقض العهد بقرائن ودلائل تدل على ذلك جاز له أن ينبذ إليهم عهدهم على سواء ـ أي يستوي الطرفان في العلم بنقض العهد ـ بعدا عن الغدر والخيانة.

قال تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذْ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾[2])

ومعنى الآية: إذا خفت من قوم عاهدوك خيانة في عهدهم بإمارة تلوح لك، فانبذ واطرح عهدهم إليهم على سواء: أي: مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد، بأن تعلمهم به، لئلا يتهموك بالغدر والخيانة.

قال ﷺ: «ومن كان بينه وبين قوم عهد، فلا يحلن عقدة، ولا يشدها حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء»[3].

وقال تعالى: ﴿. . . والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من وَلْيتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثق والله بما تعملون بصير﴾[4].

[وتفسير هذه الآية: وإن استنصركم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال دينيّ على عدوّ لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم، لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق، أي مهادنة، فلا تخفروا ذمتكم،

---

(١) رواه أحمد والحاكم ـ صحيح.

(٢) سورة الأنفال آية ٥٨.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والطيالسي والترمذي والنسائي وابن ماجه ـ حسن صحيح.

(٤) سورة الأنفال آية ٧٢.

ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم] وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «من قتل مجاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد مسيرة أربعين عاما»(١).

وقال ﷺ: «من قتل معاهدا في غير كنهة حرم الله عليه الجنة»(٢).

٤ـ رجاء وترجيح الشوكة والنصرة والقوة والغلبة لأهل الاسلام، وذلك باجتهاد الأمير، أو باجتهاد من يعتقد في اجتهاده ورأيه، من أصحاب الخبرة والمعرفة في هذا الشأن، وأما إن كان لا يرجو ولا يرجح ذلك فإنه لا يحل له القتال، لما فيه من تعريض نفسه والمسلمين للتهلكة.

[ففي غزوة مؤتة، التقى المسلمون، وعددهم ثلاثة آلاف بقيادة زيد بن حارثة، بأعدائهم وعددهم مائتا ألف، من الروم والعرب بقيادة هرقل، واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قتل شهيدا، وكذلك جعفر بن أبي طالب، وكذلك عبد الله بن رواحة، فلما آلت الراية الى خالد بن الوليد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ بعد أن اصطلح الناس على قيادته، انحاز بالجيش واستطاع بحسن تدبيره وحنكته إنهاء القتال وسحب الجيش سالما، لأنه خشي على المسلمين الهلاك لقلة عددهم وعتادهم، ثم قفلوا راجعين الى المدينة، فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون يا فرار، فررتم في سبيل الله، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى، وفي قول: بل أنتم الكرارون وأنا فئتكم...]»(٣).

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بلغه قتل أبي عبيد بن مسعود وأصحابه ـ في بعض أيام القادسية ـ قال: هلّا تحيزوا إلينا فأنا فئة لكل مسلم.

[وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أبي عبيد بن مسعود لما قتل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية المجوس فقال عمر: لو تحيز اليّ لكنت له فئة](٤).

---

(١) رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجة ـ صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم ـ صحيح.

(٣) ملخص من السيرة النبوية لابن هشام جزء ٤.

(٤) تفسير ابن كثير في سورة الأنفال.

وقد أمر الله المؤمنين بقتال الكفار في الأول إذا كان عددهم عشرة أضعاف المؤمنين، وأن يثبتوا لهم، ثم خفف الله عن المؤمنين، فأمرهم بقتال الأعداء إذا كان عددهم ضعف عدد المؤمنين وأن يثبتوا لهم.

قال تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين * يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصبرين﴾[1].

[وجاء في تفسير ابن كثير: عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿... أن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين...﴾ شق ذلك على المسلمين، حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحدا من عشرة، ثم جاء التخفيف فقال:

﴿الآن خفف الله عنكم...﴾ الى قوله: ﴿... يغلبوا مائتين...﴾

قال: خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم، وروى البخاري من حديث ابن المبارك نحوه...][2].

[قال الحافظ: كان الشافعي رضي الله عنه يقول: إذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولّوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة، وإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولّوا، ولا يستجوبون السخط عندي من الله لو ولّوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز الى فئة، وهذا مذهب ابن عباس المشهور عنه].

[...وإن تترسوا بمسلم قوتلوا وقصد غيره - أي غير الترس المسلم - بالرمي ولا يجوز رمي الترس ولو خفنا على بعض المغازين، إلا تخوف على أكثر المسلمين فتسقط حرمة الترس ويرمى على الجميع...][3].

[فصل: وإن تترسوا في الحرب بنسائهم وصبيانهم جاز رميهم ويقصد المقاتلة لأن النبي ﷺ رماهم بالمنجنيق ومعهم النساء والصبيان، ولأن كف المسلمين عنهم يفضي الى تعطيل الجهاد...

---

(١) سورة الأنفال من آية ٦٤ - ٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير في سورة الأنفال.

(٣) كتاب بلغة السالك لأقرب المسالك في فقه الامام مالك باب الجهاد جزء ١.

فصل: وإن تترسوا بمسلم، ولم تدع حاجة الى رميهم، لكون الحرب غير قائمة، أو لإمكان القدرة عليهم بدونه، أو للأمن من شرهم لم يجز رميهم. . . وإن دعت الحاجة الى رميهم للخوف على المسلمين جاز رميهم لأنها حال ضرورة ويقصد الكفار. . .][1].

٥ـ إذن الإمام أو الخليفة بالجهاد إذا أمكن، لأنه أخبر بأحوال العدو وقواته وخططه ومكامنه ومسالكه، كما أنه أدرى بأحوال المسلمين وقوتهم وإمكاناتهم وواقعيتهم ومعنوياتهم. . . واجتهاده وتوقعه بالنصر أو عدمه أقرب إلى الصواب لسعة اطلاعه وخبرته. . .

فينبغي الرجوع الى رأيه وإذنه. . . إلا عند الضرورة: كمفاجأة عدو مغير، أو إتاحة فرصة يخشى فوتها، أو تعذر الاستئذان لبعد أو انقطاع أو غير ذلك. . . ويستأذنون إن أمكن.

[لما أغار الكفار على سرح المدينة، وأخذوا اللقاح، ذهب سلمة بن الأكوع وأبو قتادة في أثرهم، وقاتلاهم من غير إذن النبي ﷺ، فمدحهما النبي ﷺ وقال: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالنا سلمة»[2]].

كذلك لا يترك ولا يعطل ولا يؤخر لفقدان الخليفة أو تهاونه في شؤون الجهاد، لأن تركه أو تعطيله أو تأخيره يفوت مصلحته، ولا سيما إذا تعين الفساد والضرر في تركه أو تأخيره أو تعطيله، جاء في كتاب المغني لابن قدامة:

[وأمر الجهاد موكول الى الامام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه في ذلك. . . فإن عُدِم الامام لم يؤخر الجهاد، لأن مصلحته تفوت بتأخيره، وإن حصلت غنيمة قسمها أهلها على موجب الشرع. . . وإن بعث الامام جيشا وأمر عليه أميرا فقُتل أو مات فللجيش أن يؤمروا أحدهم، كما فعل أصحاب النبي ﷺ في جيش مؤتة، لما قُتِل أمراؤهم الذين أمرهم النبي ﷺ، أمروا عليهم خالد بن الوليد، فبلغ النبي ﷺ، فرضي أمرهم، وصوب رأيهم، وسمى خالداً يومئذ: «سيف الله». . .

وجاء فيه أيضا: . . . واجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا، المقل منهم

---

(١) كتاب المغني لابن قدامة جزء ٨ ص من ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(٢) رواه البخاري في حديث طويل عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

Maktabatul 'ilmi

والمكثر، ولا يخرجوا إلا بإذن الأمير، إلا أن يفجأهم عدو غالب يخافون كلبه، فلا يمكنهم استئذانه. . .][1].

وعلى هذا فإنه إذا أرادت فئة من المسلمين الجهاد في سبيل الله ولم يكن لها إمام يجمع أمرها، ويوجهها ويقودها، فعليها أولا أن تختار أكفأ رجالها وتبايعه قائدا لها ثم تمضي للجهاد.

٦ـ إذن الولد من والديه، والعبد من سيده، والمدين من دائنه، في حال كون الجهاد فرض كفاية، أما حين يكون الجهاد فرض عين، وفي النفير العام فلا يشترط ذلك، ولا استئذان من أحد، لأنه تعين، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ؛ أجاهد؟ فقال: ألك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد».

وروى الترمذي عن ابن عباس مثله قال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية: «جئت لأبايعك على الهجرة، وتركت أبوي يبكيان، فقال: ارجع فاضحكهما كما أبكيتهما».

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: «أن رجلا هاجر الى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: هل لك باليمن أحد؟ قال: نعم أبواي، قال: أذنا لك؟ قال: لا، قال: فارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرّهما»[2].

ولأن بر الوالدين فرض عين، والجهاد فرض كفاية، وفرض العين مقدم على فرض الكفاية. . .

وإن كان أبواه غير مسلمين فلا إذن لهما على الأرجح، لأن كثيرا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجاهدون وآباؤهم مشركون لا يستأذنونهم.

منهم: أبو بكر الصديق، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان يوم بدر مع النبي ﷺ وأبوه رئيس المشركين، قُتل ببدر، وأبو عبيدة قتل أباه في الجهاد فأنزل الله فيه وفي أمثاله رضي الله عنهم:

﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم

---

(١) كتاب المغني لابن قدامة.

(٢) رواه أبو داود.

أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمٰن وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[1].

٧ـ أما شروط وجوب الجهاد على الإنسان ـ أي شروط التكليف ـ فملخصها:

١ـ الإسلام: ليكون مخاطبا (خرج الكافر).

٢ـ البلوغ: ليكون مكلفا وقادرا جسميا (خرج الصبي).

٣ـ العقل: ليكون مكلفا وفاهما ومدبرا (خرج المجنون).

٤ـ الحرية: ليكون مالكا لنفسه (خرج العبد)

٥ـ الذكورة: لأنه أشد صبرا وجلدا وتحملا من المرأة.

٦ـ السلامة من الضرر: كالمرض والعمى والعرج . . . بعدا عن الحرج وإعاقة وإرباك وإشغال المجاهدين الآخرين به.

٧ـ وجود النفقة: حتى لا يكون عالة على الآخرين.

٨ـ القدرة على السلاح: حملا واستعمالا وإلا كان كالأعزل.

٩ـ إذن الوالدين للولد، وإذن الدائن للمدين، وإذن السيد للعبد.

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢ .

غاية الجهَاد في سَبيل الله

إن أهم ما يتميز به الجهاد الإسلامي أنه يحمل معه رسالة من الله الى جميع البشر، تضمن سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأنه يحمل طابع الرسالة، ويتسم بسمتها في كافة أحواله، وأشكاله وألوانه، ومرتبط بأصولها وقواعدها ومفاهيمها وقيمها في جميع تحركاته وسكناته وتقلباته وأطواره. لا ينفك عنها، ولا ينفرد دونها، وهذا ما جعل الجهاد الاسلامي مقرونا بالاصطلاح: ـ في سبيل الله ـ دائما.

والجهاد في سبيل الله ليس غاية في ذاته، ولا هدفا في نفسه، إنما هو وسيلة وسبيل شرعه الله لتحقيق أهداف وغايات كثيرة من أهمها:

١ـ لكسب رضوان الله عز وجل:

وذلك لسقوط الواجب المفروض عن ذمة المكلف، ولنيل المثوبة الكبرى والسعادة العظمى في الدار الآخرة التي اعدها الله للمجاهدين في سبيله.

قال تعالى: ﴿فليقتل في سبيل الله الذين يشرون الحيٰوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتَل أو يَغْلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾[1].

ملاحظة: يراجع في هذا موضوع: فضل الجهاد في سبيل الله، وموضوع: كرامة المجاهدين والشهداء في هذا الكتاب.

٢ـ لتبليغ دعوة الاسلام:

وذلك بنشر رسالته في بقاع الأرض كلها، دون أي عائق أو حائل يحول بين الداعي والمدعو، سواء أكانت العوائق اعتقادية فكرية، أو سياسية قانونية، أو مادية عسكرية... ولحماية المسلمين من أن يُفْتَنوا عن دينهم، أو يهددوا في حياتهم أو أعراضهم أو أموالهم أو عقولهم...

---

(١) سورة النساء آية ٤٧.

قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله والنبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ★﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[2].

وقال تعالى آمرا رسوله ﷺ والمؤمنين بالتبليغ: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكفرين﴾[3].

وقال تعالى مبينا إظهار دينه على جميع الأديان والعقائد والمباديء: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[4].

ولقد أعلم الله ـ عز وجل ـ في كتابه العزيز عن موقف الكفار ونواياهم من الاسلام والمسلمين، وبين أنه موقف الصدود والاعراض، والتكبر والعناد، والبغض والكراهية، والمكر والتآمر والمقاتلة والمحاربة، والشر والفساد...

قال تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتب ولا المشركين أن يُنَزَّل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق...﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليُثْبِتُوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[8].

وقال تعالى: ﴿...ولا يزالون يُقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا...﴾[9].

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٨.
(٢) سورة سبأ آية ٢٨.
(٣) سورة المائدة آية ٦٧.
(٤) سورة الصف آية ٩.
(٥) سورة البقرة آية ١٠٥.
(٦) سورة البقرة آية ١٠٩.
(٧) سورة البقرة اية ١٢٠.
(٨) سورة الأنفال اية ٣٠.
(٩) سورة البقرة آية ٢١٧.

وقال تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون﴾[1].

فإذا كان هذا موقفهم من الاسلام والمسلمين، وإذا كانت هذه ضمائرهم ونياتهم، ولا مناص من ذلك، إذن لا بد بالمقابل من موقف مناسب للحال، تسلم به الدعوة والداعية والرسالة والرسول ويأمن به الاسلام والمسلمون.

والموقف الذي اختاره الله وهو خير موقف، والسبيل الذي أراده وهو أفضل سبيل: أنه لا بد من دعم الدعوة والداعية، ولا بد من قطع جذور الجبروت والطغيان، والقضاء على منابع الشر والفساد...

ويكون ذلك بقوة الدعوة وإعلانها ووضوح بيانها وإفصاحها مع قوة السواعد والأبدان، ومضاء السيوف والسنان..

وبذلك تنطلق دعوة الله في الأرض كلها مشارقها ومغاربها، دون أي حائل يحول دونها، ولا أي عائق يعوق سيرها وانتشارها، وينفسح المجال ويتسع الطريق للناس جميعا للدخول في دين الله أو عدم الدخول، بمحض إختيارهم، وطوع إرادتهم، دون إلزام أو إكراه، ودون صد أو إبعاد.

قال تعالى: ﴿وما لكم لا تُقتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظلمين﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * وإن تولّوا فاعلموا أن الله مولكم نعم المولى ونعم النصير﴾[4].

وقال تعالى: ﴿... ولولا دَفْعُ اللّهِ الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العلمين﴾[5].

---

(١) سورة الأنفال اية ٣٦.

(٢) سورة النساء آية ٧٥.

(٣) سورة البقرة آية ١٩٣.

(٤) سورة الأنفال من آية ٣٩ - ٤٠.

(٥) سورة البقرة اية ٢٥١.

وقال تعالى: ﴿. . . ولولا دَفْعُ اللَّهِ الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيعٌ ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[1].

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أعطى عليا يوم خيبر الراية، فقال علي: يا رسول الله علامَ أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله»[3].

وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: أين عليّ؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به فبصق في عينيه، ودعا له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ يا رسول الله؛ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم الى الاسلام، وأخبرهم ما يجب عليهم من حق الله فيه»[4].

وعن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سريه، فلما بلغنا المغاز، استحثثت فرسي، فسبقت أصحابي، فتلقاني أهل الحي بالرنين، فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها، فلامني أصحابي، وقالوا: حرمتنا الغنيمة، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبروه بالذي صنعت، فدعاني فحسن لي ما صنعت، ثم قال لي: ألا إن الله تعالى قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر، وقال: أما إني سأكتب لك بالوصاة بعدي، ففعل وختم عليه، ودفعه إليّ»[5].

[. . . ولقد بعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان قائد جيش المسلمين في القادسية، الى رستم قائد جيش الفرس قبل بدء القتال، ثلاثة رسل على التوالي: في اليوم الأول بعث ربعي بن عامر، وفي اليوم الثاني بعث حذيفة بن محصن، وفي اليوم الثالث بعث المغيرة بن شعبة رضي الله عنهم، فكان جواب الرسل الثلاثة على سؤال

---

(١) سورة الحج آية ٤٠ ـ ٤١.

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ متواتر صحيح.

(٣) رواه مسلم ـ صحيح

(٤) رواه البخاري ـ صحيح.

(٥) رواه أبو داود.

Maktabatul 'ilmi

رستم حين كان يسأل: ما الذي جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي الى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قالوا: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي . . .][1].

٣ـ لتمكين المسلمين في الأرض، وتحقيق حكم الله فيها:

لقد جاء الاسلام ليقطع دابر الفساد والطغيان، ويستأصل شأفة الشرك والكفران، ويقضي على الآلهة الكاذبة، والأرباب المزعومة، سواء تمثلت بالشمس أو القمر، أو الشجر أو الحجر، أو البهائم أو البشر. . .

وهذا الهدف داخل في مضمون معنى كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله.

فليس لأحد من الناس سلطان على الناس في أن يستعبدهم ويتألّه عليهم، ويستذلهم ويستضعفهم، ويخضعهم لمشيئته وهواه. . . كما فعل فرعون وهامان وقارون والنمرود وغيرهم من المتألهين المتسلطين على البشر. . .

قال تعالى: ﴿هل أتك حديث موسى * إذ ناده ربه بالوادِ المقدس طوى * إذهب الى فرعون إنه طغى * فقل هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى * فأراه الآية الكبرى * فكذب وعصى * ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكالَ الآخرة والأولى * أن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾[2].

وقال تعالى: ﴿طسم * تلك آيات الكتب المبين * نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهٰمٰنَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[3].

وبالمقابل فليس للناس أيضا أن يرضوا ولا أن يقبلوا ربا يعبد من دون الله، ولا أن

---

(١) كتاب حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي جزء ١ صفحة من ٢١٤ ـ ٢١٥ بتصرف وإيجاز.

(٢) سورة النازعات من آية ١٥ ـ ٢٦.

(٣) سورة القصص من آية ١ ـ ٦.

ينقادوا له انقياد العميان الدالة أو البهائم الضالة، ولا أن يخضعوا ويركنوا الى ظلمه وجوره وجبروته، كما خضع قوم فرعون لفرعون، فاستخف بهم، ولم يعبأ بشأنهم، وجعلهم عبيدا أذلة صاغرين، وكل طاغية إذا لم يجد من يردعه أو يزجره أو يصرخ في وجهه ازداد طغيانا وظلما، قال تعالى في شأن فرعون وقومه:

﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقنهم أجمعين * فجعلنهم سلفا ومثلا للآخرين﴾[1].

وقال تعالى محذرا من الركون والميل للظالمين:

﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾[3].

وقال تعالى مبينا حال الطغاة مع أتباعهم يوم القيامة:

﴿إذ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعملهم حسرات عليهم وما هم بخرجين من النار﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قُل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوْا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[5].

لذا لا بد من كسر هذه الرؤوس اليابسة، ورضخ هذه العقول المتحجرة، وإسقاط هذه العروش الفاسدة، واستبدال هذه الأحكام الجائرة حيث وجدت في أي زمان ومكان، وإقامة حكم شرع الله على أيدي عباده المؤمنين...

وبذلك وحده لا بغيره يتحرر الانسان من ظلم الحكام وجور الأحكام، ويُنقذ

---

(١) سورة الزخرف من آية ٥٤ ـ ٥٦.

(٢) سورة هود آية ١١٣.

(٣) سورة الشعراء من آية ١٥٠ ـ ١٥١.

(٤) سورة البقرة آية ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٥) سورة آل عمران آية ٦٤.

المستضعفون في الأرض من أغلال الطواغيت، وعندها تحيا البشرية حياة الكرامة والسعادة والهناء، والأمن والسلام والرخاء.

ولقد أخضع الرسول ﷺ والصحابة والتابعون أولَ ما أخضعوا بلاد العرب لحكم الاسلام، ثم توجه الرسول ﷺ بالدعوة الى الملوك والرؤساء والأمراء في شتى البقاع، ليدينوا بدين الاسلام، ويذعنوا لأمر الله، فالذين آمنوا منهم انضموا الى دولة الاسلام، وأصبحوا من أهلها، والذين لم يؤمنوا ولم يذعنوا قوتلوا حتى أُخضعوا كما فعل بالفرس والرومان وغيرهم...

ولما استبان لأهل البلاد المفتوحة نزاهة المسلمين ونبل غايتهم وعدل حكمهم وحقيقة دينهم، شرعوا يدخلون في دين الله أفواجا بمحض اختيارهم، وطوع إرادتهم، وملء رغبتهم...

فإذا أقيم حكم الله في بقعة من الأرض، أو في قطر من الأقطار فينبغي ألا يقنع المسلمون بها دون غيرها، وينطووا على أنفسهم، ويقفلوا الأبواب دون غيرها، ويخلدوا الى الراحة والقعود، لأن دورهم لم ينته بعد، ومهمتهم لم تكتمل، إذ لا بد من متابعة الجهاد والكفاح، ومواصلة الزحف والسير حتى تخضع الأرض بمن فيها لحكم الاسلام، وتصبح بكاملها دار إسلام ـ دار الأمن والسلام ـ فليواصل المجاهدون جهادهم جيلا بعد جيل وحقبا إثر حقب حتى يتحقق وعد الله ويكون الدين كله لله.

٤ـ ابتلاء من الله لتمحيص المؤمنين:

فيظهر المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، ويبرز الشجاع المقدام من الخوار الجبان، ولتتفتق المواهب الحربية، وتتفتح العبقريات العسكرية، ومهارات وإمكانات وقدرات أخرى لم تتح لها الفرصة لتثبت وجودها وتبرهن عن حقيقتها وجوهرها... فإذا حضر الجهاد تفجرت ينابيع الخير والحياة...

ولتتمرس النفوس والأبدان على التضحية والفداء، وتحمل الشدائد والأعباء، واقتحام المخاوف والأهوال، ولتتمرن على الصبر والمصابرة، والثبات والمثابرة...

وليتخذ الله من المؤمنين شهداء سعداء في النعيم المقيم في جنات الخلود، ومن الكافرين أشقياء تعساء في العذاب المقيم في ويلات الجحيم...

وليشفي صدور المؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم، ويخزي ويمحق الكافرين أعداء الله والدين...

قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين ءامنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظلمين * وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكٰفرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جٰهدوا منكم ويعلم الصّابرين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قٰتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهبْ غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم * أم حسبتم أن تُتْركوا ولّما يعلم الله الذين جٰهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿. . . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليَبلوَ بعضكم ببعض والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يُضل أعمٰلهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرّفها لهم﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجٰهدين منكم والصّابرين ونبلو أخباركم﴾[5].

وجاء في السيرة النبوية لابن كثير: [وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين، وبين تعالى حكمه في ذلك فقال: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض. . .﴾[6].

وقال تعالى: ﴿قٰتلوهم يعذبْهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾[7].

---

(١) سورة آل عمران من آية ١٣٩ ـ ١٤٢ .
(٢) سورة النساء آية ١٠٤ .
(٣) سورة التوبة من آية ١٤ ـ ١٦ .
(٤) سورة محمد من اية ٤ ـ ٦ .
(٥) سورة محمد اية ٣١ .
(٦) سورة محمد آية ٤ .
(٧) سورة التوبة من اية ١٤ ـ ١٥ .

فكان قتل أبي جهل على يد شاب من الأنصار، ثم بعد ذلك وقف عليه عبد الله بن مسعود، ومسك بلحيته، وصعد على صدره حتى قال له: لقد رقيت مُرْتقىً صعبا يا رُوَيعيَ الغنم، ثم بعد هذا حزّ رأسه، واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فشفى الله به قلوب المؤمنين، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة، أو أن يسقط عليه سقف منزله، أو يموت حتف أنفه والله أعلم](١)

(١) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ صفحة ٤٥٦ .

مُقوّمَات الجهَاد في سَبيل الله

ليس الجهاد الاسلامي فورة مؤقتة يتبعها همود طويل، أو هزة عصبية يعقبها هدوء مديد، أو غضبة نفسية يردفها سكوت عميق، أو انتفاضة مادية يلحقها ركون الى المادة وخلود الى الراحة وتشبث بالحياة. . .

بل هو جهاد في سبيل الله ماضٍ وباقٍ ومستمر حتى قيام الساعة، له مقوماته ودعائمه وأسسه وركائزه التي تضمن استمراره ومواصلته ومتابعته، وتحفظ قيامه ووجوده وبقاءه. . .

وإن أهم ما يقوم عليه الجهاد الاسلامي الرجال المؤمنون الصادقون العاملون الصابرون، لأنه ليس قتالا همه الغلبة والنصر فحسب، وإنما هو جهاد يحمل رسالة من الله الى البشر، همه الأكبر تبليغ الرسالة ونشرها وإعلاؤها، وإيمان الناس بها، وحفظ أتباعها وأنصارها، وهذا لا يتحقق إلا على أيدي الرجال المؤمنين الصادقين العاملين الصابرين، الذين يحملون الرسالة عقيدة وإيمانا، أخلاقا وسلوكا، تفانيا واستماتا.

أما ضعاف الإيمان واليقين، من الفسقة الفجرة، ومن عشاق الحياة الدنيا الماضية وحطامها الفاني، فليس لهم مثقال في ميزان المعركة، ولا ذكر في ديوانها، ولا حساب في مقوماتها، بل إن غيابهم خير من وجودهم فيها، إلا إذا تابوا ورجعوا الى الله بصدق وعزيمة، وصاروا أهلا لحمل الراية والذود عنها.

وبالاضافة الى هذا القوام الأساسي، هناك مقومات أخرى يمكن تقسيمها الى نوعين اثنين:

١ـ مقومات الجهاد المعنوية.

٢ـ مقومات الجهاد المادية.

وإليك ملخصها:

Maktabatul 'ilmi

١ـ مقومات الجهاد المعنوية: من أهمها:

(ا) قوة الإيمان ويكون ذلك

- بالقلب العامر بالإيمان.
- والعقل المسلح بالعلم.
- والروح المتصلة بالله.

(ب) وحدة الصف: ويكون ذلك:

- بقوة الرابطة.
- والثقة المتبادلة.
- والتزام الطاعة.

(ج) التعاون: ويكون ذلك:

- بالرأي.
- والتخطيط.
- والتنفيذ.

(د) الصبر: ويكون ذلك:

- بالصبر على الطاعة.
- والصبر على المعصية
- والصبر على البلاء.

٢ـ مقومات الجهاد المادية: من أهمها:

(ا) اللياقة البدنية: ويكون ذلك:

- بالقوة العضلية.
- والرشاقة الجسمية.
- والنشاط والهمة.

(ب) الخبرة القتالية: ويكون ذلك:

- بأساليب القتال.
- وأنواع السلاح.
- وطرق الإعداد والامداد وغيرها.

(ج) التخطيط القتالي: ويكون ذلك:

- بتحديد الهدف.
- وإحكام الخطة.
- ودقة التنفيذ.

(د) التسلح القتالي: ويكون ذلك:

- بالتسلح البري.
- والتسلح البحري.
- والتسلح الجوي.

وهذان القوامان المعنوي والمادي مرتبطان فيما بينهما ارتباطا وثيقا، كارتباط الروح بالجسد، وارتباط الحياة بالماء، بحيث لايمكن فصل أحدهما عن الآخر وإلا تحقق الهلاك، وهما بالنسبة للمعركة أيضا كالجناحين بالنسبة للطائر: إذا قطع أو شل أحدهما سقط الطائر ولم يستطع الطيران.

وإليك بيان هذين القوامين وما اشتملا عليه من بنود بشيء من الايضاح والتفصيل:

١ ـ مقوّمات الجهاد المعنوية

(ا) قوة الإيمان: ويكون ذلك:

- بالقلب العامر بالإيمان.
- والعقل المسلح بالعلم.
- والروح المتصلة بالله.؟

فالقلب العامر بالإيمان القوي، واليقين العميق، والثقة المطلقة بالله القادر على كل شيء، وبصدق وعده لرسله وجنده المجاهدين بالنصر والتمكين في الحياة الدنيا، وبالجنة والنعيم المقيم في الحياة الآخرة، وأن النصر من عند الله، وأنه مرتبط برضوانه.

بهذا القلب يتأهل الجندي المجاهد لخوض غمار الحروب ومعامع القتال، واقتحام الموت والأهوال، دون تردد أو تلكؤ، ودون تخوف أو توجس...

وبهذا القلب يأتي المدد والغوث والنصر من عند الله.

قال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في

قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما﴾[1].

وقال تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ءالف من الملئكة مُسَوّمين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾[2]

وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجَٰهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصَّٰدقون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا في الحيَوٰة الدنيا ويوم يقوم الأشهَٰد﴾[5]. والآيات في هذا الشأن كثيرة.

وقال ﷺ: «إن الله تعالى لا ينظر الى صوركم، وأموالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم»[6].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل»[7].

«مر حارثة برسول الله ﷺ فقال له: «كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا، قال: انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر الى أهل النار يتضاغون فيها، فقال: عرفت يا حارثة فالزم»[8].

● والعقل المسلح بالعلم العميق والفهم الدقيق لمعاني الجهاد في سبيل الله وأهدافه ومراميه وغاياته، هو الذي يرفع الجندي المجاهد الى مستوى الإدراك والإبصار

---

(١) سورة الفتح من آية ١٨ ـ ١٩ .
(٢) سورة آل عمران من آية ١٢٥ ـ ١٢٦ .
(٣) سورة الحجرات آية ١٥ .
(٤) سورة محمد آية ٧ .
(٥) سورة غافر آية ٥١ .
(٦) رواه مسلم وابن ماجة ـ صحيح .
(٧) رواه أحمد وابو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان ـ صحيح .
(٨) رواه الطبراني بسند ضعيف.

Maktabatul 'ilmi

والنور والهدى، فتزن خطاه، وتثبت قدماه، ويحكم ضربته، ويحقق هدفه، فلا تعبث به الأهواء، ولا تستهويه الشهوات، ولا تجمده العقبات، ولا تزعزعه النكبات، لأنه قد عرف المبدأ والمنتهى وما بينهما.

قال تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زُيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وما يستوي الأعمىٰ والبصير * ولا الظلمٰت ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يُسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور﴾[2].

● والروح المتصلة بالله، والشاخصة الى رضاه، المتشوقة الى لقياه، المتطلعة الى جنته... هي الروح التي تؤهل المجاهد المسلم للتضحية والفداء والبذل والعطاء، والركض الى الله تعالى حبا به وشوقا اليه دونما تثاقل الى الأرض وزينتها، ولا انجذاب الى الدنيا ومفاتنها.

قال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا * ليجزي الله الصٰدقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيما﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قل إن كان ءاباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجرة تخشون كسادها ومسٰكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفسٰقين﴾[4].

بهذه الروح الهادئة المطمئنة الشفافة الصافية، وبهذه المعنويات العالية والعواطف السامية، كان أصحاب رسول الله ﷺ يتسابقون الى الاستشهاد في ساحات الجهاد في سبيل الله وفي مواطن الحق.

[قال ابن إسحاق - في شأن معركة بدر - . . . ثم خرج رسول الله ﷺ الى الناس، فحرضهم وقال: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتَل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة» فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يديه

---

(١) سورة محمد آية ١٤.
(٢) سورة فاطر من آية ١٩ - ٢٢.
(٣) سورة الأحزاب من آية ٢٣ - ٢٤.
(٤) سورة التوبة آية ٢٤.

تمرات يأكلهن: بخ بخ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قُتل.

قال ابن اسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله؛ ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غمسه يده في العدو حاسرا» فنزع درعا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه، فقاتل القوم حتى. قُتل](١).

وهذا معاذ بن عمر بن الجموح يضرب أبا جهل ضربة يقطع بها قدمه، فضربه عكرمة بن أبي جهل فقطع يده، لكنها بقيت معلقة بجلده من جنبه، ولم يتوقف عن القتال، بل تابع القتال وهو يسحبها خلفه، فلما آذته وضايقته، وضع قدمه عليها، ثم تمطى بها عليها حتى قطعها وطرحها...

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه: «أن رجلا من الأعراب جاء فآمن بالنبي ﷺ، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي بعض أصحابه، فكانت غزاة، غنم بها النبي ﷺ شيئا، فقسم وقسم له، فقال: ما هذا؟ فقال قسمته لك، فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى هٰهنا - وأشار بيده الى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة، قال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلا، ثم مضوا في قتال العدو، فأُتي به الى النبي ﷺ محمولا، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق فصدقه، ثم كفنه في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه، فكان مما ظهر في صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، فقُتل شهيدا وأنا شهيد على ذلك»(٢).

(ب) وحدة الصف: ويكون ذلك:

- بقوة الرابطة.
- والثقة المتبادلة.
- والتزام الطاعة.

فقوة الرابطة بالأخوّة الإيمانية القائمة على الايمان الصحيح واليقين الصادق بدين الاسلام...

وبالمحبة الربانية القائمة على حب الله وحب رسوله ﷺ، وحب من والاهما...

وبالاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه وبسنة نبيه ﷺ...

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٢ صفحة ١٩٦.

(٢) رواه النسائي.

وهـذه الـرابطة الايمانية هي أقوى الروابط، وأوثق العرى، لأنها ثمرة من ثمرات الإيمـان، وإشـراقـة من إشـراقات اليقين، ونفحة من نفحات الله تعالى، ومسـحة من مسحات الرسول ﷺ، تجعل المترابطين فيما بينهم كالجسـد الواحد. . .وكالبنيان المرصوص. . .

وقد قيل: لا رابطة أقوى من العقيدة، ولا عقيدة أقوى من الاسلام.

قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخَوَيكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءايته لعلكم تهتدون﴾(٣).

وقـال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا»(٤). وقال ﷺ: «المسـلم أخو المسـلم»(٥).

وقال ﷺ: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى»(٦).

وقال ﷺ: «المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينيه اشتكى كله»(٧).

وقال ﷺ: «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش»(٨).

وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله، فاجتمعا على ذلك، وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠.
(٢) سورة الأنفال آية ٦٣.
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٣.
(٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ـ صحيح.
(٥) رواه أبو داود ـ حسن.
(٦) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.
(٧) رواه أحمد ومسلم ـ صحيح.
(٨) رواه الطبراني ـ صحيح.

دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[1].

● وفي خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مع رسول الله ﷺ مهاجرا، ودخوله الغار المهجور قبله، وسيره مرة عن يمينه، ومرة عن شماله، ومرة خلفه، ومرة أمامه، خوفا عليه وحراسة وصيانة له، مسترخصا حياته ونفسه من أجل نجاة وسلامة حبيبه المصطفى ﷺ... وحين دعى للبذل لتجهيز جيش العسرة بذل جميع ماله...

● وكذلك في مبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ وغطائه ببردته حين خروجه ليلة الهجرة، والأعداء محيطون بحجرته، وذلك ليوهمهم بأن الرسول ﷺ ما زال في بيته، وتعريض نفسه للهلاك والقتل أو التعذيب من أجل نجاة وسلامة حبيبه المصطفى رسول الله ﷺ.

● وفي قصة الثلاثة الجرحى في معركة اليرموك، حين قدم الساقي قدح الماء للأول فسمع الأخر يقول: آه، فدفعه إليه ولم يشرب، وحين قدم الساقي للثاني سمع الثالث يقول: آه، فدفعه إليه ولم يشرب، فأتى الساقي إليه فوجده قد مات، فعاد للثاني فإذا به قد مات، ثم عاد للأول فإذا به قد مات...

وهكذا آثر كل واحد من الثلاثة حياة أخيه على حياته، وفي ذلك أعلى مراتب الإيثار والفداء.

والمجاهدون في سبيل الله بأحوج ما يكونون الى مثل هذه الأخوة والمحبة، والى مثل هذه التضحية والتفاني في ما بينهم.

● والثقة المتبادلة بين المجاهدين أفرادا وقيادة بحيث يحسنون الظن فيما بينهم، ويطرحون الشكوك التي يلقيها الشيطان في روعهم لينزع بينهم...

فالقيادة تثق بجنودها جميعا، وتسمع وتنصت لأي فرد منهم، ولا تهضمه حقه في إبداء رأيه أو وجهة نظره في أمر من الأمور.. وإذا نقل إليها عن بعضهم شيء مريب لا تبادر الى تصديقه سريعا، بل تتبين وتتثبت من صحته أو خطئه أولا، كذلك تضع كل فرد في مكانه المناسب مع احترام الجميع ومحبتهم...

وبالمقابل فالأفراد يثقون بقيادتهم وشرعيتها وإخلاصها وعلمها وحكمتها، ويعطونها

---

(١) رواه الترمذي ومالك وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي ـ صحيح.

دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[1].

● وفي خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مع رسول الله ﷺ مهاجرا، ودخوله الغار المهجور قبله، وسيره مرة عن يمينه، ومرة عن شماله، ومرة خلفه، ومرة أمامه، خوفا عليه وحراسة وصيانة له، مسترخصا حياته ونفسه من أجل نجاة وسلامة حبيبه المصطفى ﷺ... وحين دعى للبذل لتجهيز جيش العسرة بذل جميع ماله...

● وكذلك في مبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ وغطائه ببردته حين خروجه ليلة الهجرة، والأعداء محيطون بحجرته، وذلك ليوهمهم بأن الرسول ﷺ ما زال في بيته، وتعريض نفسه للهلاك والقتل أو التعذيب من أجل نجاة وسلامة حبيبه المصطفى رسول الله ﷺ.

● وفي قصة الثلاثة الجرحى في معركة اليرموك، حين قدم الساقي قدح الماء للأول فسمع الأخر يقول: آه، فدفعه إليه ولم يشرب، وحين قدم الساقي للثاني سمع الثالث يقول: آه، فدفعه إليه ولم يشرب، فأتى الساقي إليه فوجده قد مات، فعاد للثاني فإذا به قد مات، ثم عاد للأول فإذا به قد مات...

وهكذا آثر كل واحد من الثلاثة حياة أخيه على حياته، وفي ذلك أعلى مراتب الإيثار والفداء.

والمجاهدون في سبيل الله بأحوج ما يكونون الى مثل هذه الأخوة والمحبة، والى مثل هذه التضحية والتفاني في ما بينهم.

● والثقة المتبادلة بين المجاهدين أفرادا وقيادة بحيث يحسنون الظن فيما بينهم، ويطرحون الشكوك التي يلقيها الشيطان في روعهم لينزع بينهم...

فالقيادة تثق بجنودها جميعا، وتسمع وتنصت لأي فرد منهم، ولا تهضمه حقه في إبداء رأيه أو وجهة نظره في أمر من الأمور... وإذا نقل إليها عن بعضهم شيء مريب لا تبادر الى تصديقه سريعا، بل تتبين وتتثبت من صحته أو خطئه أولا، كذلك تضع كل فرد في مكانه المناسب مع احترام الجميع ومحبتهم...

وبالمقابل فالأفراد يثقون بقيادتهم وشرعيتها وإخلاصها وعلمها وحكمتها، ويعطونها

---

(١) رواه الترمذي ومالك وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي ـ صحيح.

الولاء والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، ولا يتصرفون بأمر ذي بال إلا بعد استشارتها وموافقتها. . . ويوفون بعهدهم معها، وبيعتهم إياها. . .

وهذه الثقة المتبادلة حصن منيع، تتحطم عند أسواره كل المؤامرات والحبائل والشائعات والأراجيف التي يدبرها ويحيكها ويطلقها الأعداء لزعزعة الثقة، وزلزلة وحدة الصف والكلمة. . .

وبذلك تسير الجماعة ويتقدم الجيش بخطى ثابتة متزنة، وعلى أرض صلبة ممهدة، دون تعثر ولا عرقلة، ودون تعكر ولا بلبلة.

[جاء في السيرة النبوية ما ملخصه:

استشار رسول الله ﷺ الصحابة بشأن قريش واللقاء معها في يوم بدر، وذلك حين أتاه الخبر بمسيرهم لمنع عيرهم، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله؛ امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿. . . فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[1] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك مقاتلون، فالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا الى برك الغماد - موضع باليمن - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه؛ فقال رسول الله ﷺ خيرا ودعا له.

ثم استشار الأنصار فقام سعد بن معاذ سيد الأنصار فقال له: . . . فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم. . .][2].

[. . . وفي صلح الحديبية، حين التأم الأمر، ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر؛ أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا

---

(١) سورة المائدة آية ٢٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٢.

وجه المعركة من نصر الى خسارة. . . في ذلك درس عظيم في أهمية الطاعة في نجاح الأمور. . .

إن قوة الالتزام بالطاعة والانضباط لدى أي جماعة منظمة أساس في اعتبارها وتكوينها واستقرارها وبقائها، إذ لا بد من قائد ومقود، ونظام وانتظام، ومبدأ والتزام، وهدف وسعي. . . وإلا أصبحت الجماعة قطيعا بلا راع، مصيرها التفرق والتمزق والضياع. . .

وهذا رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية يقسم الأنصار الى فرق، ويعين عليهم نقباء، كل نقيب مسؤول عن فرقته:

[قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم»، فأخرجوا اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس][1].

وقال ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»[2].

وقال ﷺ: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية»[3].

(ج) التعاون: ويكون ذلك:

- بالرأي.
- والتخطيط.
- والتنفيذ.

فبالرأي: حين تتبادل الآراء، وتتقابل النصائح، وتتداول المقترحات، وتناقش وتتشاور فيها مع أهل الخبرة والاختصاص. . . يتوفر لدى القيادة رصيد ضخم من المعلومات والوسائل والخطط والمشاريع والمعدات والطرق والحلول. . . و بذلك يمتد أمام مرآها الأفق، ويتسع لدى منظارها الفضاء، وتتضح لديها الرؤية، وتهون عندها الأمور. . .

قال تعالى. ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٢ .
(٢) رواه ابن ماجة ـ حسن.
(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم ـ صحيح.

﴿ينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿. . . وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[3].

وقال تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»[5].

وقال ﷺ: «المستشار مؤتمن، إن شاء أشار، وإن شاء لم يشر»[6].

وقال ﷺ: «المستشار مؤتمن، فإن استشيء فليشر بما هو صانع لنفسه»[7]

وقال ﷺ: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد»[8].

● وقد أشار أحد الصحابة الى رسول الله ﷺ بمكان بدر. . . فأخذ برأيه، وكان ذلك خيرا. . .

● وأشير عليه بحفر الخندق. : . فأخذ بالإشارة وكان ذلك خيرا. . .

● وأشير عليه يوم الحديبية بالتحلل من الإحرام قبل الناس، فأخذ بالإشارة وكان ذلك خيرا. . .

وقال ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[9].

وقال ﷺ: «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما» فقال رجل: أنصره إذا كان مظلوما، أرأيت

---

(١) سورة التوبة آية ٧١ .
(٢) سورة المائدة آية ٢ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(٤) سورة الشورى آية ٣٨ .
(٥) رواه الحاكم في المستدرك .
(٦) رواه الطبراني ـ صحيح .
(٧) راه الطيالسي ـ حسن.
(٨) رواه الطبراني في الأوسط ـ حسن.
(٩) رواه مسلم ـ صحيح .

إن كان ظالما، كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره»(١)

وقال ﷺ: «الدال على الخير كفاعله»(٢).

وبالتخطيط: توضع المشاريع والأهداف تحت المجهر، وقيد الدراسة، ويرسم لها الخطة الملائمة لتنفيذها بأقرب طريق وأحسنه، وبذلك تقل المفاجآت والصدمات، ويسهل التنفيذ والإنجاز، وبقدر ما تتسع دائرة الشورى في حبك الخطة فيما بين أهل الاختصاص بقدر ما تكون الخطة أقرب للإحكام والصواب. .

قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل. . .﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة. . .﴾(٤).

وغزوات الرسول ﷺ، والحروب التي خاضها الصحابة والتابعون مليئة بالخطط الحربية الرائعة التي يستفاد منها أيما فائدة، وتدرس في الكليات الحربية لدى الدول الإسلامية وكذلك الدول الأجنبية. . .

مما يدل على براعة قادة الجيوش الإسلامية في تخطيطهم وتكتيكهم الحربي. . . والحرب التي لا يخطط لها غالبا تؤول الى الفشل والهزيمة وأفدح الخسائر.

وبالتنفيذ: وهذا هو الأهم وعليه المعول الأكبر. . . إذ لا فائدة من الأوامر والاقتراحات والخطط ما لم تتوفر الهمم العالية، والسواعد القوية التي تتعاون في تنفيذها. . .

إذ بالتعاون وتضافر الجهود والقدرات في التنفيذ تهون الأمور، وتذلل الصعاب، ويخف الحمل، وتتحقق العجائب والمعجزات. . .

ولقد ندد الله بالذين يقولون ما لا يفعلون أشد تنديد وتوعدهم بحلول غضبه وعقابه فيهم:

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾(٥).

---

(١) رواه البخاري - صحيح.

(٢) رواه البزار والطبراني - صحيح.

(٣) سورة الأنفال آية ٦٠.

(٤) سورة التوبة آية ٤٦.

(٥) سورة الصف من آية ٢-٣.

Maktabatul 'ilmi

بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية ـ الذل ـ في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر؛ الزم غرزه ـ أمره ـ فإني أشهد أنه رسول الله، فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله؛ ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني، قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق مِنَ الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا](١).

● والتزام الطاعة لله ولرسوله وللقيادة يجعل الإيمان واقعا محسوسا، والكلام عملا محسوسا، والشعارات حقيقة حية، والخطط مسيرا حثيثا، والأهداف ثمارا مقطوفة وإنجازات منظورة، وجميع ما تقرره القيادة وتطلبه منفذا بدقة ويسر ونجاح...

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾(٢). وقال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله...﴾(٣).

وقال ﷺ: «من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٤).

وفي رواية: «ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية».

وقال ﷺ: «من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه»(٥).

وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٦).

وقال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»(٧).

وفي عصيان الرماة لأمر رسول الله ﷺ، في معركة أحد، يكمن السبب في تحول

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٣.

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

(٣) سورة النساء آية ٨٠.

(٤) رواه مسلم ـ صحيح.

(٥) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم ـ صحيح.

(٦) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٧) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

وقال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون﴾[1]

وقال تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾[2].

ولقد وصف الله المؤمنين الصادقين بالايثار فيما بينهم:

قال تعالى: ﴿... ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة...﴾[3].

وجاء في السيرة النبوية:

كان النبي ﷺ في سفر، وطلب الى أصحابه إعداد شاة للطعام، فقال رجل عليّ ذبحها، وقال الآخر: عليّ سلخها، وقال رجل ثالث: عليّ طبخها، فقال رسول ﷺ: «وعلّي جمع الحطب» فقالوا: يا رسول الله؛ نكفيك العمل، فقال: «علمت أنكم تكفونني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه»

وقال ﷺ: «من يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته»[4].

(د) الصبر: ويكون ذلك:

- بالصبر على الطاعة.
- والصبر على المعصية.
- والصبر على البلاء.

قال رسول الله ﷺ: «الصبر ثلاثة: فصبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرضين الى منتهى الأرضين، ومن صبر

---

(١) سورة البقرة آية ٤٤.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٨

(٣) سورة الحشر آية ٩.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا - صحيح.

على البلاء كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرضين الى منتهى العرش مرتين»[1].

فالصبر بأنواعه الثلاثة: قوة في الايمان، وضياء في الوجه، وصفاء في القلب، وهدوء في الضمير، وطمأنينة في النفس، وقرب من رحمة الله تعالى وتأييده ونصره، وبعد عن سخط الله وخذلانه... وهذا من أكبر أسباب النصر والفوز والفلاح...

● فينبغي على المجاهد أن يجتهد في الطاعات، ويواظب عليها وينتهز كل فرصة أو فسحة لشغلها وملئها بطاعة الله: من صلاة أو صيام أو دعاء، أو ذكر لله أو تفكر في مخلوقاته، أو تلاوة للقرآن وتدبر في آياته، أو فقه في الدين، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو نصح أو إصلاح... وغير ذلك من أنواع الطاعات والقربات والعبادات...

● وعليه أن يتجنب المعاصي ويبتعد عنها، وأن يفر منها فراره من الأسد، لأنها تسود الوجه، وتظلم القلب، وتعكر الضمير، وتخبل العقل، وتبعد عن الرب سبحانه، وتسبب سخطه وغضبه... وفي ذلك أكبر أسباب الفشل والهزيمة والخسران.

● وعليه أيضا أن يصبر على البلاء واللأواء، ويتحمل المكاره والكأداء، ويكابد الآلام والبأساء ويثبت في ساحات الجهاد والمعارك، ويصمد أمام الجيوش والجحافل، ويصدق في مواطن الحق دون خوف أو رهبة، ودون وجل أو خشية.

قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿... إنما يوفى الصَّابرون أجرهم بغير حساب﴾[3]

وقال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[4].

وقال تعالى: ﴿... والصَّابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[5].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[6].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا - في الصبر - وأبو الشيخ - في الثواب - ضعيف.

(٢) سورة الأنفال آية ٤٦.

(٣) سورة الزمر آية ١٠.

(٤) سورة السجدة آية ٢٤.

(٥) سورة البقرة اية ١٧٧.

(٦) سورة آل عمران آية ٢٠٠.

والآيات في هذا الشأن كثيرة.

وقال ﷺ: «. . . والصبر ضياء. . .»[1].

وقال ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد خيرا أوسع من الصبر»[2].

وقال ﷺ: «الصبر نصف الايمان، واليقين الإيمان كله»[3].

وقال ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى»[4].

وقال ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن امره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[5].

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة.

وقال ابن المبارك: إن المصيبة واحدة، فإذا جزع صاحبهما فهما اثنتان، لأن إحداهما المصيبة بعينها، والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة.

وقيل: الصبر مفتاح الظفر، والتوكل على الله تعالى رسول النجاح، ومن لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه.

وقال الشاعر:

أيا صاحبي إن رمت أن تكسب العلا
وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة
فما صابر فيما يروم بنادم

٢ ـ مقومات الجهاد المادية

(أ) اللياقة البدنية: ويكون ذلك:

- بالقوة العضلية.
- والرشاقة الجسمية.
- ونشاط الهمة.

---

(١) رواه مسلم ـ صحيح. (٢) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٣) رواه الطبراني في الكبير ـ صحيح، وضعفه البيهقي في شعب الايمان وأبو نعيم في الحلية.

(٤) رواه البزار وابو يعلي ـ صحيح. (٥) رواه مسلم واحمد ـ صحيح.

● لما كان الجهاد مشتقا من المجاهدة والمكابدة، لشدة ما فيها من المهام والأعباء والبأس والشدائد، والمشاق والمعاناة والمخاوف والمخاطر. . . من حمل سلاح وعتاد، وتأمين ذخيرة وزاد، ومشي طويل وركض وقفز، ومصادمات ومصارعات وكر وفر ومناورات. . . الى غير ذلك في أجواء الغبار واللهيب، والدخان، وفي جحيم الشظايا والقذائف والنيران، وبين الأشلاء والجثث والدماء. . . مع معاناة التعب والإرهاق والسهر والحرمان. . .

فالجهاد والحال هكذا يحتاج الى أجسام مرنة رشيقة قوية، وسواعد وعضلات فولاذية، وعزائم وهمم عالية ومتينة كالجبال، تتحمل كل هذه الألوان والأصناف من المشاق والمهام، لا تكل ولا تمل حتى نهاية المعركة، التي قد تقصر أو تطول، والتي قد تبرد أو تحمىٰ. . .

فلا بد إذن من انتقاء الأجسام المناسبة والملائمة للجهاد، ومن ثم تدريبها، قوة وعزيمة، خفةورشاقة، خشونة وقسوة. . . لتتمرس على الصعاب، وتتعود على المكاره، حتى لا تفاجأ بما لم يكن بالحسبان، فتتقاعص وتتثاقل وتبوء بالفشل والنكوص والخسران. . .

حين طلبوا بنو إسرائيل من نبي لهم أن يبعث لهم ملكا، يقاتلون معه في سبيل الله، بعث الله لهم طالوت ملكا حاكما وقائدا حربيا، ووصفه بمزيد العلم وقوة الجسم.

قال تعالى: ﴿. . .قال إن الله اصطفٰه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم. . .﴾[1].

وحين سألت بنت شعيب عليه السلام أباها أن يستأجر موسى عليه السلام عاملا عنده، وصفته بالأمانة والقوة. . . وخير الأجراء الأمناء الأقوياء.

قال تعالى: ﴿قالت إحداهما يٰأبتِ استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل. . .﴾[3].

وقال ﷺ: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف»[4].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٧ .
(٢) سورة القصص آية ٢٦ .
(٣) سورة الأنفال آية ٦٠ .
(٤) رواه مسلم ـ صحيح .

ب ـ الخبرة القتالية: ويكون ذلك:

- بأساليب القتال.
- وأنواع السلاح.
- وطرق الإعداد والإمداد.

من المعلوم أن التاجر في تجارته، والصانع في صناعته، والمزارع في زراعته، والموظف في وظيفته، وكل عامل في عمله، يحتاج الى خبرة فيما يقوم به من عمل، وإلا كان الفشل والإخفاق، وبقدر ما يكون عنده من خبرة وحذاقة ومهارة يحقق تفوقاً وفوزاً ونجاحاً...

والحرب حياة أو موت، عز أو ذل، حق أو باطل، كما أنها تسابق في الإمكانات والقدرات والقوى والخبرات، وقد تطورت أساليبها وطرقها وأحوالها، ودخل في صلبها شتى العلوم والمعارف والخبرات، واستخدمت فيها أنواع الصناعات والحرف والاختراعات، وسخرت فيها كافة الطاقات والقدرات والإمكانات، وأصبحت عملية متشابكة متداخلة متناسقة...

إذن لا بد في الحرب من الخبرة والاختصاص بأساليب القتال والحرب، سواء أكانت هجومية، أو دفاعية، أو كانت حرب كمائن، أو قتال شوارع، أو تنفيذ عمليات، أو كانت حربا برية أو جوية أو بحرية، أو كانت حربا إعلامية أو دعائية أو نفسية، أو كانت حربا سياسية أو اقتصادية أو فكرية ... أو غير ذلك.

ولا بد في الحرب أيضا من الخبرة والاختصاص بأنواع السلاح وكيفية استعماله واستخدامه وإصلاحه والحفاظ عليه، ولا بد في الحرب كذلك من الخبرة والاختصاص بطرق ووسائل الإعداد والإمداد لمتطلبات الحرب وحاجياتها، أضف الى ذلك أنه صار للأجهزة الأمنية، والخبرة فيها وبوسائلها المتطورة في الاتصال والكشف والاستطلاع دور فعال في نجاح الحرب وتحقيق النصر فيها...

كل ذلك مطلوب وينبغي إعداده وتهيئته، ولأهمية هذا الجانب أنشئت الكليات الحربية، والمدارس التخصصية، وأقيمت الدورات التدريبية في معظم دول العالم...

هذا وينبغي أن تعد الأمة بكل طاقاتها، وتهيأ بكل إمكاناتها، لتكون على أهبة الاستعداد لساعة النفير العام إذا دعا الداعي أو نادى المنادي.

Maktabatul 'ilmi

قال تعالى: ﴿. . . وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[1].

وقال ﷺ: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا»[2].

وقال ﷺ: «من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني»[3].

وعن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ قال: مر النبي ﷺ على قوم ينتضلون، فقال: ارموا بني اسماعيل، فإن أباكم كان راميا، وأنا مع بني فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ قال ﷺ: «ارموا وأنا معكم كلكم»[4].

وقال ﷺ: «ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمي الرجل بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإنهن من الحق، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فقد كفر الذي علمه»[5]

وكان النبي ﷺ كثيرا ما يشاور أصحابه، وخاصة أصحاب الخبرة في قتاله مع الأعداء وغيره، مع أنه حاذق فيها وأنه وحي يوحى.

(ج) التخطيط القتالي: ويكون ذلك:

- بتحديد الهدف.
- وإحكام الخطة.
- ودقة التنفيذ.

المقصود بالخطة القتالية: رسم مخطط كامل شامل واضح لميدان القتال وعرضه وعمقه، يوضح فيه مواقع الصديق ومواقع العدو، بما في هذه المواقع من تحصينات وإمكانات وجنود وأسلحة ومؤونة . . . وغيرها

كما يبين فيه مراحل المعركة وأساليبها واحتمالاتها، والحلول والردود على كل توقعاتها. . .

وبذلك تقل المفاجآت والمباغتات، وتتجنب الحلول الارتجالية السريعة إلا في

---

(١) سورة التوبة آية ٣٦ .

(٢) رواه مسلم ـ صحيح .

(٣) رواه ابن ماجة .

(٤) رواه البخاري وغيره ـ صحيح .

(٥) رواه أحمد والترمذي والبيهقي ـ حسن.

بعض الأحيان والحالات والمواقف التي يرى القائد العسكري بمعطياته ومرئياته وحنكته وذكائه تغيير الخطة بخطة أحكم، واستبدال الأسلوب بأسلوب أقوم لصالح المعركة.

وينبغي في وضع الخطة اشتراك جميع الاختصاصات والخبرات، مع التشديد في كتمانها وسريتها، حتى لا تتسرب أية معلومات عنها للعدو، مما يؤدي الى فقدان جدواها وبطلان فاعليتها، وإلى فشلها وإخفاقها.

ولقد كان رسول الله ﷺ يرسم الخطة لكل معركة يريد خوضها:

ففي معركة أحد: بين ﷺ أرض المعركة وحدد مواقع الرماة والمقاتلين، ووزع المهمات وأعطى الوصايا والتنبيهات، حتى لا تفشل الخطة وتقع الخسارة، ولقد بين ذلك القرآن فقال تعالى:

﴿وإذ غدوت من أهلك تبوّيء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم * إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾[1].

وفي غزوة خيبر: كان اليهود قد حالفوا غطفان على معاونتهم ضد المسلمين، إذا داهموهم في بلدهم خيبر، وأخبر النبي ﷺ بذلك التحالف، فتحرك الى أرض غطفان، موهماً إياها بأنه عازم على حربها ثم عاد إلى خيبر، بعد أن بعث مفرزة من أصحابه لمباغتة ديار غطفان، التي تركتها قواتها وحماتها لمعاونة يهود خيبر ضد المسلمين، فألقت المفرزة الرعب في ديار غطفان، مما اضطر وأجبر قواتها في خيبر الى الانسحاب من خيبر والرجوع الى ديارهم لحمايتها من تهديد وهجمات المسلمين.

وهكذا نجحت خطة الرسول ﷺ وحيلته في عزل وفصل يهود خيبر عن حليفتها غطفان، فانقض عليهم جيش المسلمين وتم فتح خيبر.

وفي غزوة الأحزاب: أشير الى النبي ﷺ بحفر خندق في الجهة الوحيدة التي يمكن للعدو الدخول منها الى المدينة ـ لأن المدينة محصنة طبيعيا بالحرة الشرقية والحرة الغربية ومن الجنوب بالبساتين ـ فأخذ بالإشارة، وأمر بحفر الخندق فحفر، مما اضطر العدو الى التوقف عند الخندق والتعسكر خلفه، لا يستطيع تجاوزه الى أن ساءت حال الجيش واضطر الى الانسحاب، وكفى الله المؤمنين القتال...

وكان لنعيم بن مسعود رضي الله عنه دور فعال في إحباط التحالف الذي تم بين يهود المدينة وبين جيش الأحزاب، وذلك بحسن حيلته.

---

(١) سورة آل عمران من آية ١٢١ ـ ١٢٢.

وقد قال الله تعالى في هذه الغزوة:

﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظهروهم من أهل الكتب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا﴾(١).

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «كان ﷺ إذا أراد غزوة ورّى بغيرها»(٢).

وعنه أيضا قال: «لم يكن رسول الله ﷺ، يريد سفرة إلا ورّى بغيرها»(٣).

وقال ﷺ: «الحرب خدعة».

وقال ﷺ: «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث:

- الرجل يكذب في الحرب فإن الحرب خدعة.
- والرجل يكذب المرأة فيرضيها.
- والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما»(٤).

وروي أن عمرو بن ود العامري بارز عليا رضي الله عنه، فلما أقبل عليه قال: ما برزت لأقاتل اثنين، فالتفت عمرو، فوثب عليه فضربه، فقال عمرو: خدعتني، فقال علي رضي الله عنه: الحرب خدعة.

ولقد برع المسلمون الأولون في تحديد أهدافهم العسكرية، وإحكام خططهم القتالية، وتوزيع تشكيلاتهم وتنظيماتهم الحربية حتى فاقوا جميع جيوش زمانهم، وتغلبوا على جيوش فارس، وجيوش الروم، التي كانت أقوى جيوش زمانها، ترتيبا وتنظيما وتسليحا.

(د) التسلح القتالي: ويكون ذلك:

- بالتسلح البري.
- التسلح البحري.

---

(١) سورة الأحزاب من آية ٢٥ - ٢٧.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخاري ومسلم - صحيح.

(٤) رواه الطبراني وابن السني - حسن.

● التسليح الجوي.

السلاح آلة الحرب وعدة القتال، وبدونه لا تكون ولا يحصل قتال، والجيش الأعزل قطيع من غنم، والأمة العزلاء ليس لها بقاء، وإن بقيت فذليلة ضعيفة كالنعجة الجمّاء.

ولقد تطورت الأسلحة الحربية الحديثة وتنوعت بشكل عجيب ورهيب، يهدد العالم بالدمار.

والتسابق في تطوير وابتكار الأسلحة الحربية ـ وهو ما يسمى الحرب الباردة ـ على قدم وساق، وأن يرصد لها أضخم الميزانيات المالية، نو أن حربا عالمية ثالثة قامت، واستعملت فيها هذه الأسلحة، لدمرت العالم وقضت على حضارته، وأحالته إلى خراب ودمار.

لذا، ينبغي أن يحسب لهذا الجانب حسابه، ويعطى غاية الاهتمام والانتباه، وأن يعد للمعركة أحدث وأجود وأقوى أنواع الأسلحة، حتى لا تكون الأمة فريسة لأسلحة الأعداء، إذ ليس من المعقول ولا من المقبول: مقابلة الحديد بالخشب، والرصاص بالسهام، والقنابل بالحجارة...

فلا بد لنجاح أية حروب من التقارب في السلاح إن لم نقل التكافؤ فيه، وهذا أقل ما يمكن لتقوم الحرب على قدميها، وإلا كانت حربا انتحارية، مآلها في الغالب الهزيمة والهلاك...

وهذا داخل في معنى قوله تعالى:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين مِنْ دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تُظلمون﴾[1].

[جاء في تفسير القرطبي ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بإعداد القوة للأعداء، بعد أن أكد تقدمة التقوى، فإن الله سبحانه وتعالى لو شاء لهزمهم بالكلام، والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ، ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق، وقضائه النافذ، وكل ما تعده لصديقك من خير، أو لعدوك من شر، فهو داخل في عدتك.

---

(١) سورة الأنفال اية ٦٠.

قال ابن عباس: القوة ههنا السلاح والقسيّ.

وفي صحيح مسلم: عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. . .﴾ «ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي» رواه مسلم. وهذا نص رواه عن عقبة أبو علي ثمامة بن شفي الهمذاني، وليس له في الصحيح غيره.

وحديث آخر في الرمي عن عقبة أيضا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكهم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بسهمه» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنه من الحق».

فإعداد العدة للحرب يقوي المسلمين، ويخيف أعداء الله ومَنْ وراءهم ممن يساعدونهم على الاسلام، وهم الاعداء غير الظاهرين والمقصودين في قوله جل وعلا: ﴿. . . وءاخرين مِن دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. . .﴾[1].

ويعتبر التجهيز للقتال في سبيل الله والإنفاق فيه بمثابة القتال في سبيل الله، والمجهز كالمقاتل. . .

قال ﷺ: «من جهز غازيا حتى يستقل، كان له مثل أجره، حتى يموت أو يرجع»[2].

وقال ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم الواحد الجنة: صانعه يحتسب في صناعته الخير، والممد به، والرامي به، وارموا، واركبوا، وإن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا، وكل شيء يلهو به الرجل فباطل، إلا رميه لقوسه، إو تأديبه فرسه، وملاعبة امرأته، ومن علمه الله الرمي ثم تركه رغبة عنه فنعمة كفرها»[3].

وقال تعالى: ﴿انفروا خفافا وثقالا وجٰهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[4].

وقد كان تطور التسلح العسكري ايجابيا وباستمرار لدى المسلمين السابقين.

ففي عهد النبي ﷺ استعمل المسلمون المنجنيق والعرادات والدبابات في الحصار وفي دك الحصون والأسوار.

---

(١) تفسير القرطبي ـ سورة الأنفال آية ٦٠.
(٢) رواه ابن ماجه ـ حسن.
(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.
(٤) سورة التوبة آية ٤١.

وقد بعث رسول الله ﷺ رجالا من المسلمين الى جرش ـ في الشام ـ لتعلم صناعة الأسلحة، ثم صنعها المسلمون، واستخدمها رسول الله ﷺ في حصار الطائف وحصار خيبر. . .

وتطور عدد الفرسان باستمرار: ففي غزوة بدر الكبرى كان عدد الفرسان في جيش الرسول ﷺ إثنين فقط من أصل ٣١٤ مقاتلا، بينما تطور العدد في غزوة تبوك فبلغ عدد الفرسان عشرة آلاف فارس، من أصل ٣٠ ألف مقاتل، ودخل التسلح البحري، وأقيمت دور لصناعة السفن الحربية من قبل مختصين من المسلمين. . .

وكذلك فتحت مدارس حربية لتعليم فنون القتال في البحار.

وتطور التسلح البحري لدى المسلمين، حتى أصبح أقوى أسطول بحري في زمانه، وتغلب على اساطيل الرومان التي كانت أقوى اساطيل زمانها، وكانت هذه الأساطيل ـ كما يقول ابن خلدون ـ تهرب أمام البحرية الاسلامية التي ضربت عليها كضراء الأسد على فريسته.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، خرج الروم لقتال المسلمين بأسطول بحري قوامه خمسمائة سفينة بحرية، بقيادة قسطنطين بن هرقل ملك الروم، وتحرك الأسطول نحو المسلمين ببلاد المغرب، فخرج له المسلمون بأسطول بحري قوامه مائتا سفينة بحرية، بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح. . .

والتقى الجيشان في معركة بحرية ضارية سميت موقعة ذات الصوار ـ لكثرة ما فيها من السفن ـ أصيب خلالها قسطنطين بجراح شديدة، وحلت الهزيمة في جيشه، وانطلق هاربا بمن بقي معه من الجنود وكان النصر حليف المسلمين، وبهذا الانتصار أصبح حوض البحر الأبيض المتوسط حوضا إسلاميا يسيطر عليه المسلمون، وتمخر فيه سفنهم حيث شاءت بحرية وأمان.

Maktabatul 'ilmi

آدابُ الجهَاد في سَبِيل اللهِ

للجهاد الاسلامي آداب، يتقيد ويتحلى بها الجيش الاسلامي، تميزه في سائر الحروب التي تخوضها الجيوش غير الاسلامية، ونذكر من أهمها عشرة آداب هي:

١ـ دعوة الكفار الى اعتناق دين الاسلام قبل البدء بقتالهم مع بيان حقيقة الدين الإسلامي، ليعرفوا غاية المسلمين من قتالهم.

هذا هو المطلب الأول، فإن أبوا اعتناق الإسلام لايكرهون على ترك دينهم والدخول في دين ا لاسلام، بل يطالبون بمطلب آخر، هو دفع الجزية للمسلمين، ليكونوا في ذمة المسلمين وتحت حكمهم وفي حمايتهم، كسائر المسلمين مع بقائهم على دينهم.

هذا هو المطلب الثاني فإن أبوا، قوتلوا وحوربوا في ديارهم حتى يخضعوا لحكم الإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...﴾[1].

وقال تعالى: ﴿...حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صٰغرون...﴾[2].

ولقد بين ذلك آنفا في موضوع شروط الجهاد في سبيل الله، وفي مراحل نزول الأمر بالجهاد بالنسبة لأهل الكتاب وغيرهم... فليرجع إليه.

٢ـ الوفاء بالعهود والمواثيق المبرمة بين المسلمين والكافرين والنهي عن الغدر والخيانة...

وقد بين ذلك آنفا في موضوع شروط ألجهاد في سبيل الله ... فليرجع إليه.

٣ـ عصمة دم الإنسان إلا بحق، وصيانة دماء الضعفاء من أهل دار الحرب، وعدم التعرض لهم بأذى، كالنساء والأطفال والشيوخ والمقعدين وعبّاد الصوامع وأمثالهم.

---

(١) سورة البقرة آية ٥٦.

(٢) سورة التوبة آية ٢٩.

فقد نهى الاسلام عن قتل هؤلاء في الحرب، ما لم يشاركوا فيها بسلاح أو معونة أو رأي أو توجيه أو تحريض أو تخطيط . . .

قال تعالى: ﴿. . . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلك وصّاكم به لعلكم تعقلون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياهم فكأنما أحيا الناس جميعا. . .﴾[2].

وروى ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ: «نهى عن قتل النساء والصبيان»[3].

وروي أن النبي ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا ولا امرأة»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«مر النبي ﷺ بامرأة مقتولة يوم الخندق، فقال: من قتل هذه؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله، قال: ولِمَ؟ قال: نازعتني قائم سيفي، قال: فسكت».

وروي أن النبي ﷺ وقف على امرأة مقتولة فقال: «ما بالها قتلت وهي ولم تقاتل».

وروي عن يحيى بن سعيد: (أن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، أوصى يزيد بن أبي سفيان، حين وجهه الى الشام فقال: لا تقتلوا صبيا ولا امرأة ولا هرما، وستمرون على قوم في صوامع لهم، احتبسوا أنفسهم فيها، فدعهم حتى يميتهم الله على ضلالتهم)[5].

وروي: (أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أوصى سلمة بن قيس، فقال: لا تقتلوا امرأة ولا صبيا ولا شيخا ولا هرما).

ومن وصاياه أيضا: (لا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا، وتوقوْا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات)

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٢) سورة المائدة اية ١٣٢ .

(٣) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه أحمد .

٤ـ النهي عن التمثيل بالقتلى:

[قال ابن اسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، في غزوة أُحد، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي، قد بُقر بطنه عن كبده، ومثل به فجُدع أنفه وأذناه.

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله ﷺ، قال حين رأى ما رأى: «لولا أنْ تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ، على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظهرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: لن أُصاب بمثل ذلك أبدا؛ ما وقفتُ موقفا قط أغيظ من هذا، ثم قال: جاءني جبريل، فأخبرني. أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وكان رسول الله ﷺ، وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب ـ هي ثويبة ـ.

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد ابن كعب القرظي، وحدثني مَنْ لا أتهم، عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل في ذلك، مِن قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه:

قال تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصبرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1].

فعفا رسول الله ﷺ، وصبر، ونهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: ما قام رسول الله ﷺ، في مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة][2].

[وجاء في التعليق:

---

(١) سورة النحل من آية ١٢٦ ـ ١٢٨

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جزء ٣ .

فإن قيل: فقد مثل رسول الله ﷺ، بالعرنيين، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم بالحرة؟

قلنا: في ذلك جوابان:

أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصا، لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسملوا أعينهم، روي ذلك في حديث أنس.

وقيل: إن ذلك قبل تحريم المثلة، فإن قيل: فقد تركهم يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا عطشا؟

قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل النبي ﷺ، تلك الليلة. روي في حديث مرفوع: أنه عليه السلام لما بلغه.. بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن، فقال: «اللهم عطش من عطش أهل بيت نبيك» وقع هذا في شرح ابن بطال، وقد خرجه النسوي].

[وحين نزلت الآية: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم...﴾ الى آخر الآية، قال رسول الله ﷺ:

«نصبر ولا نعاقب» وكفر وأمسك][1].

وعن بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ، إذا أمّر الأمير على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى، وبمن معه من المسلمين خيرا، ثم قال له: أغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا، ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا»[2].

وعن عبد الله بن يزيد الأنصاري، رضي الله عنه، قال: «نهى رسول الله ﷺ، عن النهب والمثلة»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «أعف الناس قِتْلة أهل الإيمان»[4].

٥ـ النهي عن الإتلاف:

كالحرق والغرق، والتخريب، وقطع الأشجار، وذبح البهائم لا لأكلها... إلا إذا رأى قائد الجيش في ذلك مصلحة، كإضعاف نفوس الأعداء، وإنهيار معنوياتهم، وتيئيسهم وإخزائهم... فإنه جائز.

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة النحل.
(٢) رواه مسلم ـ صحيح.
(٣) رواه البخاري ـ صحيح.
(٤) رواه أبو داود.

قال تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفسقين﴾[1].

روى الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد: (أن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، بعث الجيوش الى الشام، وبعث يزيد بن أبي سفيان أميرا، فقال وهو يمشي، ويزيد راكب، فقال يزيد: إما أن تركب، وإما أن أنزل، فقال الصديق: «ما أنا براكب، وما أنت بنازل، إني أحتسب خطاي في سبيل الله، إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم في الصوامع، فدعهم وما زعموا، وستجد قوما قد فحصوا أوساط رؤوسهم من الشعر، وتركوا منها أمثال العصائب، فاضربوا ما فحصوا بالسيف، وإني موصيك بعشر:

لا تقتلن إمرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا ولا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا نخلا، ولا تحرقنها، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لمأكلة، ولا تجبن، ولا تغلل»[2].

ومن وصيته أيضا لجيش أسامة: «لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد حبسوا أنفسهم بالصوامع للعبادة، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له» .

ومن وصايا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ،لجيوشه:

«لا تغلبوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدا، واتقوا الله في الفلاحين» .

٦- النهي عن الغلول:

الغلول: هو اغتصاب شيء من الغنائم، أو أخذ شيء منها بغير إذن الامام، وقبل أن تقسم بين الغانمين، وهو من كبائر الذنوب والآثام.

فقد روي: أن المسلمين فقدوا قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ، أخذها، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿وما كان لنبي أن يَغُل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيٰمة ثم تُوفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[3].

---

(١) سورة الحشر آية ٥ .

(٢) رواه أحمد .

(٣) سورة آل عمران آية ١٦١ .

قال ابن عباس: «وما ينبغي لنبي أن يخون ويخص نفسه بشيء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال:

«قام فينا رسول الله ﷺ، ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال:

«لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول: يا رسول؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك من الله شيئا، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك من الله شيئا، قد أبلغتك.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله؛ أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا، قد أبلغتك»[1] صامت: ذهب أو فضة.

وعن عبدالله عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال:

«كان على ثقل رسول الله، ﷺ، رجل يقال له: كَرْكَرَه، فمات، فقال رسول الله: هو في النار، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها»[2].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر، ففتح علينا، فلم نغنم ذهبا ولا وَرِقا، غنمنا المتاع والثياب، ثم انطلقنا الى الوادي - يعني وادي القرى - ومع رسول الله ﷺ، عبد، وهبه له رجل من جذام - يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيب - فلما نزلنا - الوادي - قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله، فرمي بسهم، فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئا له بالشهادة يا رسول الله، فقال ﷺ: كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه نارا، أخذها من الغنائم، لم تصبها المقاسم، قال: ففزع

---

(١) رواه مسلم - صحيح.

(٢) رواه البخاري - صحيح.

الناس، فجاء رجل بشراك أو شراكين ـ فقال: أصبت يوم خيبر ـ فقال رسول الله ﷺ: شراك أو شراكان من نار»[1].

وقال ﷺ: «من يكتم غالا فإنه مثله»[2].

[الحنفية والمالكية والشافعية قالوا: عقوبة الغال ـ الغال الذي وُجد مال من الغنائم في متاعه ـ يعزره الإمام.

والحنابلة قالوا: عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق بما فيه، ويجلد دون حد المملوك، ويحرم نصيبه من الغنائم.

لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من وجدتم في متاعه غلولا فاحرقوه، وأحسبه قال: واضربوه» .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا؛ إني رأيته في النار في بردة غلها، أو عباءة»][3].

٧ـ إجارة المستجير والمراسل:

فمن طلب من الأعداء الأمان على نفسه من القتل، ليسمع كلام الله، ويعرف شرائعه، وجب أن يؤمن، ثم يرد الى مأمنه وديار قومه إن لم يؤمن..

لقوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ★﴾[4].

[لما جاء رسولا مسيلمة الكذاب بكتاب مسيلمة الى رسول ﷺ، قال لهما حين قرأ الكتاب: «فما تقولا أنتما؟ قالا: نقول كما قال، فقال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»][5].

وقال ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه»[6].

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري جزء ٥.
(٤) سورة التوبة آية ٦
(٥) ملخص من السيرة النبوية لابن هشام جزء ٤.
(٦) رواه احمد وأبو داود ـ صحيح.

وقال ﷺ: «من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[1].

٨ـ الإحسان الى الأسير:

الأسرى من أهل الحرب على ثلاثة أضراب:

(أ) النساء والصبيان ومن في حكمهم ـ كما مر آنفا ـ فلا يجوز قتلهم، ويصيرون رقيقا للمسلمين يحسن إليهم، أو يمن عليهم الإمام فيعتق رقابهم ويطلق سراحهم، أو يأخذ فداءهم بمال أو بأسرى المسلمين ويطلقهم، حسب ما يراه من المصلحة.

(ب) الرجال من أهل الكتاب والمجوس، فيخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء: القتل، أو المن، أو المفاداة، أو الاسترقاق.

(ج) عبدة الأوثان وغيرهم من المشركين، فيخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء: القتل، أو المن، أو المفاداة.

وفي ذلك تفصيل في الذاهب ـ عند أهل العلم ـ يراجع في مصادره.

قال تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها. . .﴾[2].

وعلى كل فالأسير حال كونه أسيرا ينبغي الإحسان إليه والرفق به ومعاملته بالطيب والمعروف رغبة بإسلامه.

قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ★ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا ★﴾[3].

[قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب، أخو بني عبد الدار، أن رسول الله ﷺ، حين أقبل بالأسارى ـ أي يوم بدر ـ فرقهم بين أصحابه وقال: «استوصوا بهم خيرا». . . فكانوا يقدمونهم على أنفسهم بأطيب الطعام عند الغداء. . .][4].

روى الإمام أحمد: أن أبا عزيز بن عمير قال: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم ـ حسن.

(٢) سورة محمد آية ٤.

(٣) سورة الإنسان آية ٨ ـ ٩.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ ص ٤٧٥.

من الأنصار يأسرني، فقال له: شدّ يديك به فإن أمه ذات متاع، قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ، إياهم بنا، ما يقع في يد أحد منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها على أحدهم، فيردها علي ما يمسها][1].

«قيل: إن ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسيلمة الحنفي سيد أهل اليمامة، جيء به اسيرا، فربط بسارية المسجد، فجاء اليه رسول الله ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: عندي يا محمد خير؛ إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، وفي كل يوم يأتي إليه فيسأله مثل هذه الأسئلة، ويجيبه ثمامة بمثل إجابته تلك، وبعد اليوم الثالث أمر بفك أساره، فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا محمد؛ والله ما كان على الأرض أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، وإن خيالتك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: صبوت؟ فقال: لا بل أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتينكم من يمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[2].

ومن الإحسان الى الأسرى أيضا عدم التفريق بين الأم وولدها، والأب وولده.

[. . . وكان ﷺ يمنع التفريق في السبي بين الوالدة وولدها ويقول: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[3].

وكان يؤتى بالسبي فيعطي أهل البيت جميعا كراهية أن يفرق بينهم][4].

٩ـ العدل مع أهل الذمة والرفق بهم:

أهل الذمة: هم الكفار المقيمون على ما عوهدوا عليه، فلهم حق الأمان على أنفسهم وعلى أموالهم وأعراضهم ودينهم، وعدم التعرض لهم بأي أذى، لأنهم في ذمة المسلمين وأمانهم، مقابل إعطائهم الجزية، والتزامهم أحكام الإسلام التي يحكم بها عليهم: من أداء حق أو ترك محرم. . . ولهم الرجوع فيما بينهم الى أحكام شرائعهم فيما

---

(١) كتاب مجمع الزوائد جزء ص ٨٦ .

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح .

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم ـ صحيح .

(٤) كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية جزء ٢ ص ٧٦ .

Maktabatul 'ilmi

لهم به شرع في أحوالهم الشخصية، وإلا فيرجعون الى حكم الإسلام وشرعه كسائر المسلمين.

[لا يلزم الذمي بكل أحكام الاسلام، وإنما يلزم فقط بما لا يتعارض مع معتقده الديني، فيؤخذ بأحكام الاسلام: في ضمان النفس والمال والعرض، وتقام الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة، دون ما يعتقدون حله كشرب الخمر][1].

كما أنهم ملزمون بعدم إجراء معاملاتهم على الطرق الفاسدة المحظورة في الشرع التي تعود على المجتمع بالشر والفساد والضرر، وإن كانوا قد درجوا عليها وتعودوا من قبل: كالربا والميسر ودور البغاء...

كما أنهم ملزمون بالتزام الحياء والحشمة وستر العورات وعدم التبرج...

كل ذلك حفظا لسلامة المجتمع وكرامته...

كذلك يهيأ لهم فرص الازدهار والتقدم في نواحي الدنيا.

قال تعالى: ﴿... فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿... فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ...﴾[3].

وليس لهم أن يتدخلوا أو يشاركوا المسلمين في تسيير دفة الحكم وفي مجال القيادة والزعامة والولاية، لأنه لا ولاية لهم على المسلمين، بل ان المسلمين هم الأولياء عليهم...

قال تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿لا ينهكم الله عن الذين لم يقتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾[5].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد

---

(١) [الشرح الكبير جزء ١٠ ص ٦١١ - بدائع الطالع جزء ٧ ص ١٠١١] من كتاب التشريع الجنائي في الاسلام لعبد القادر عودة.

(٢) سورة المائدة اية ٤٢.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) سورة النساء آية ١٤١.

(٥) سورة الممتحنة آية ٨.

قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ إنّ أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»[1].

وقال ﷺ: «من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[2].

وقال ﷺ: «من أمّن رجلا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرا»[3].

وجاء في رسالة خالد بن الوليد رضي الله عنه: (. . . وجعلت لهم ـ أي أهل الذمة ـ أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام، فإن خرجوا الى غير دار الهجرة ودار الإسلام، فليس على المسلمين النفقة على عيالهم. . .)[4].

ولقد عاش أهل الذمة قرونا في ظل الدولة الاسلامية مع المسلمين آمنين على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ودينهم ومعاملاتهم متاحة لهم جميع فرص الحياة والمعاش. . . ولم يذكر في التاريخ أنهم تعرضوا لظلم أو تعد أو أذى. . .

لا كما حصل للمسلمين على أيدي الغاصبين الكافرين في الديار الاسلامية التي اغتصبتها الكفار وحكموها، خيث أذاقهم الكفار أبشع أنواع الاضطهاد والتعذيب والقتل والإجهاز والتشريد. . .

كما فعلت النصرانية حين استولت على بلاد الأندلس واغتصبها حيث أجبرت المسلمين على ترك دينهم، واعتناق النصرانية ومن لم يرض أُحرق بالأفران. . . وما محاكم التفتيش التي أقامتها النصرانية في بلاد الأندلس عن ذاكرة التاريخ بغائبة أو في طي النسيان.

كذلك المجازر الجماعية والفردية التي ارتكبتها روسيا الشيوعية ضد المسلمين في الأقطار الاسلامية التي اغتصبتها واستولت عليها كسمرقند وبخارى وأذربيجان وتركستان وكردستان. . .وغيرها حيث قتلت عشرات الملايين من المسلمين، وحرقت المصاحف والكتب الاسلامية، وحولت المساجد التي كان يعبد فيها الله، وترفع من فوق مآذنها كلمة

---

(١) أخرجاه.

(٢) رواه الخطابي عن ابن مسعود ـ حسن.

(٣) رواه النسائي ـ صحيح.

(٤) كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٤٤.

التكبير، حولتها الى زرائب واسطبلات للبهائم والحيوانات وأجبرت الناس على الإلحاد، وأن الدين أفيون الشعوب، كذلك فلسطين وما حل بأهلها المسلمين داخل فلسطين وخارجها حين اغتصبها اليهود المجرمون، حيث قتلوا المسلمين وهجّروهم وانتزعوا أملاكهم وأراضيهم وحولوها الى مستعمرات صهيونية وحكموا من بقي من المسلمين فيها بسوط الإرهاب والحديد والنار. . .

وغيرها من الأقطار الاسلامية التي يحكمها الكفر، يذوق المسلمون فيها أنواع العذاب والتقتيل والتشريد، وما ذنبهم إلا أنهم مسلمون، وصدق الله العظيم حيث قال:

﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فسقون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾[2].

١٠ـ الشدة في الحرب والرحمة في السلم:

الشدة في الحرب على الكفار إذا كانوا محاربين، والعدل واللين معهم في السلم إذا كانوا مسالمين.

إذ لا بد في حالة الحرب من الشدة والغلظة والقسوة والإرهاب وإرعاب الأعداء وتخويفهم وكسر شوكتهم وتحطيم معنوياتهم للتغلب عليهم. . . وإرهاب من تسول له نفسه في حرب المسلمين، أما في حالة السلم وفي حال كون الكفار مسالمين فينبغي العدل معهم والرفق بهم والإحسان إليهم، رغبة في إسلامهم واملا بإيمانهم. . .

قال تعالى: ﴿فإما تثقفنّهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذّكرون﴾[3] ومعنى هذه الآية:

[قال ابن عباس والحسن البصري والضحاك والسدي وعطاء الخرساني وابن عيينة: غلّظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا، ليخاف من سواهم من الأعداء العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة][4].

---

(١) سورة التوبة آية ٨ .

(٢) سورة البروج آية ٨ .

(٣) سورة الأنفال آية ٥٧ .

(٤) تفسير ابن كثير لسورة الأنفال .

Maktabatul 'ilmi

قال تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها. . .﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها النبي جٰهد الكفار والمنٰفقين واغلظ عليهم ومأوٰهم جهنم وبئس المصير﴾[2].

وقال ﷺ: «أُعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب، وأُعطيت مفاتيح الأرض، وسُميت أحمد، وجعل لي التراب طهورا، وجعلت أُمتي خير الأمم»[3].

وقد مر آنفا العدلُ مع أهل الذمة والرفق بهم، وكذلك الإحسان الى الأسير وإجارة المستجير. . .مع الأدلة على ذلك في هذا الباب.

هذه بعض آداب الاسلام في الجهاد في سبيل الله، وقد تبين بوضوح عظمةُ الاسلام، ونبل غايته وشرف وسيلته، وصدق معاملته، وعدل أحكامه، وسعة رحمته، ورفعة آدابه، وحسن سلوكياته، وجمال أخلاقه.

وقديما قيل: (حقا ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب).

فأين هذه المعاني والمثل والأخلاق والآداب الجهادية الاسلامية من الحروب الأخرى، وما فيها من خيانات واعتداءات وجرائم وانتهاكات وفظائع وسفالات يندى لنذالتها وانحطاطها جبين الانسانية، حيث أنها لا تليق حتى بالحيوان. . .

فهي لا تتقيد بشيء ولا تَعْتَبر من شيء وتدمر كل شيء. . .

---

(١) سورة محمد اية ٤.

(٢) سورة التحريم آية ٩.

(٣) رواه أحمد ـ صحيح.

آدابُ المجَاهِدِ في سَبيل الله

أعظم بمن رقى من الإسلام ذروة السنام، وحلّق في أجواء الإيمان إلى أعلى مقام، وتذوق قلبه حلاوة الإيمان، وبزغت في روحه شمس الإحسان، وإشراقة اليقين والإطمئنان. . . وانكشفت له الحجب حتى كأنه يرى الله جهرة بالعيان، فاستوى عنده في رضا الله وحبه الذهب والتراب، والراحة والعذاب، والسراء والضراء، والبقاء والفناء. . .

فكان مجاهدا في سبيل الله حقا، يركب المنايا، ويقود السرايا، ويجوب البرايا، ويخوض البلايا، غير خائف ولا هيّاب، ودون تردد أو ارتياب، فأعظم وأكرم به أي إعظام وإكرام. . .

وحين نكتب في آداب المجاهد في سبيل الله، لا يعني حصرَها وإحصاءها، واستقصاءها والإحاطة بها، وإنما نذكر بعضا منها للذكرى وعلى سبيل المثال. . .

وإليك بعضا من آداب المجاهد في سبيل الله ملخصة، ثم مفصلة بشيء من البيان:

١ـ أدب المجاهد مع ربه: ويكون ذلك:

(أ) بالاحتساب.

(ب) والرجاء.

(ج) والتوكل.

٢ـ أدب المجاهد مع نفسه: ويكون ذلك:

(أ) بالتزكية.

(ب) والتحلية.

(ج) والتخلية.

٣ـ أدب المجاهد مع إخوانه: ويكون ذلك:

(أ) بالحب.

(ب) والتعاون.

(ج) والرحمة.

٤ـ أدب المجاهد مع قيادته: ويكون ذلك:

(أ) بالثقة.

(ب) والولاء.

(ج) والطاعة.

٥ـ أدب القيادة مع المجاهدين: ويكون ذلك:

(أ) بالعدل بينهم.

(ب) والرفق بهم.

(ج) والمشورة معهم.

٦ـ أدب المجاهد في السير للقتال: ويكون ذلك:

(أ) بالبراءة.

(ب) والتجهيز.

(ج) وملازمة الذكر.

٧ـ أدب المجاهد عند القتال: ويكون ذلك:

(أ) باستحضار عظمة الله.

(ب) والصدق والاحتساب.

(ج) والصبر والمصابرة.

٨ـ أدب المجاهد بعد انتهاء القتال: ويكون ذلك:

(أ) حال النصر.

(ب) حال الفشل.

(ج) المحاسبة والتقويم.

٩ـ أدب المجاهد مع سلاحه: ويكون ذلك:

Maktabatul 'ilmi

(أ) بالتعهد والصيانة.

(ب) والحفظ والوقاية.

(ج) وجودة الحمل والاستعمال.

١٠ـ أدب الناس مع المجاهد: ويكون ذلك:

(أ) بالإكرام والتقدير.

(ب) والإعانة والتجهيز.

(ج) والخلافة بخير في الأهل والمال والولد.

وإليك بيان هذه الآداب بشيء من الإيضاح:

١ـ أدب المجاهد مع ربه: ويكون ذلك:

(أ) بالاحتساب.

(ب) والرجاء.

(ج) والتوكل.

(أ) بالاحتساب:

وذلك بإخلاص جهاده لله وحده، واحتساب الأجر منه وحده، لأن الجهاد عبادة، وكل عبادة: لا ترفع ولا يكتب لها القبول إلا إذا كانت خالصة لله وحده، مع الاعتراف بفضل الله على توفيقه إياه لهذا الشرف العظيم، وتوشيحه إياه بهذا الوسام الرفيع حيث جعله في زمرة المجاهدين، مجاهدا بماله ودمه وروحه لإعلاء كلمة الله.

وعلى المجاهد أن يحذر من أن يناله الشيطان بعجب أو غرور، أو تكبر أو تطاول أو منّ على الآخرين، فيحبط عمله ويهبط جهاده ويحرم الأجر والثواب.

وليعلم أن الإنسان مهما أدى من عمل أو بذل من جهد أو أنفق من مال، فلن يوفي حق الله عليه، إذا حق الله أكبر وأعظم من قدرة الإنسان على وفائه كاملاً، وأن الفضل منه وإليه سبحانه.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطن ومن يتّبع خطوات الشيطن فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾[1].

(١) سورة النور آية ٢١.

وقال تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صٰدقين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديٰرهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط * وإذ زين لهم الشيطٰن أعمٰلهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون إنـي أخاف الله والله شديد العقاب﴾[2].

فعلى المجاهد أن يتواضع ويسجد لله شكرا على ما أولاه، وتفضل عليه، وأن يسأله حسن القبول وجزيل الثواب، وأن يحشره في زمرة المجاهدين الصادقين، تحت لواء سيد الجهاد محمد ﷺ، مع يقينه بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

قال تعالى: ﴿... والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمٰلهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾[3].

(ب) وبالرجاء:

بعقد الرجاء والأمل بتوفيق الله له ولإخوانه المجاهدين لإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، مع يقينه بأن الله صادق وعده وناصر جنده.

قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادة المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾[4].

وقال تعالى: ﴿... وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾[5].

وقال تعالى: ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون﴾[6].

(ج) بالتوكل:

والاعتماد على الله وحده في الجهاد، دون النظر إلى كثرة عدد أو عتاد أو قوة أو زاد، ويوم كان المسلمون قلة ببدر، وكانوا متكلين ومعتمدين على الله وحده نصرهم على عدوهم مع كثرة عدده وعتاده...

---

(١) سورة الحجرات آية ١٧.
(٢) سورة الأنفال من آية ٤٧ - ٤٨.
(٣) سورة محمد من آية ٤ - ٦.
(٤) سورة الصافات من آية ١٧١ - ١٧٣.
(٥) سورة الروم آية ٤٧.
(٦) سورة التوبة آية ٥٢.

وقال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله»[1].

(ب) بالتحلية:

أي بالتحسُّن والتجمُّل والتزيُّن بفعل الخيرات والمبرات والحسنات، والمسارعة والمسابقة إليها، وبالاستكثار من زاد التقوى.

قال تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾[2].

وقال تعالى: ﴿. . . فاستبقوا الخيرات. . .﴾[3].

وقال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض. . .﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يا أيها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾[5].

وقال تعالى: ﴿. . . وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾[6].

(ج) بالتخلية:

أي بالفراغ من حب الدنيا والميل إليها والطمع فيها والتعلق بحطامها. . . وبالرغبة في الآخرة والتطلع إليها، والتشوق إلى نعيمها، وبكلمة موجزة مفيدة: خلاء النفس من كل شيء سوى الله وما والاه، وما يحبه ويرضاه.

قال تعالى: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾[7].

وقال تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى﴾[8].

٣ـ أدب المجاهد مع إخوانه: ويكون ذلك:

(أ) بالحب.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة ـ صحيح.

(٢) سورة فاطر آية ٣٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٤٨.

(٤) سورة الحديد آية ٢١

(٥) سورة الفجر من آية ٢٧ ـ ٣٠.

(٦) سورة البقرة آية ١٩٧.

(٧) سورة الضحى آية ٤.

(٨) سورة الأعلى من آية ١٤ ـ ١٧

قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾[1].

بينما في يوم حنين كان المسلمون كثرة، فحين أعجب بعضهم بكثرتهم واعتمدوا عليها وقالوا: (لن نغلب اليوم من قلة) خذلهم الله ووكلهم إلى أنفسهم وكانت الهزيمة في أول المعركة، ثم لما صاروا قلة بل أنفارا والتفوا حول النبي ﷺ واعتمدوا على الله وتقدم بهم النبي ﷺ في خضم المعركة وهو يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» حتى حقق الله على أيديهم النصر في ختام المعركة.

قال تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكفرين﴾[2].

وقال تعالى: ﴿. . . قال الذين يظنون أنهم ملقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصبرين﴾[3].

أدب المجاهد مع نفسه: ويكون ذلك:

(أ) بالتزكية.

(ب) والتحلية.

(ج) والتخلية.

(أ) بالتزكية:

أي بالتطهّر من الخطايا والذنوب والمعاصي والآثام، عن طريق التوبة الجابّة والمكفرة لما قبلها، وفعل المحسنات المذهبات الماحيات للسيئات، والبعد عن المعاصي ومزالقها حتى تتلوث مرة أخرى، وبالمجاهدة في ترقية النفس من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة على فعل السوء إلى نفس مطمئنة. . . قال تعالى: ﴿ونفس وما سوّيها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢٣.

(٢) سورة التوبة من آية ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٩.

(٤) سورة الشمس من آية ٧ ـ ١٠.

(ب) والتعاون.

(ج) والرحمة.

(أ)بالحب:

في الله المتغلغل في أعماق قلبه، المسيطر على ذريات كيانه، لإخوانه المجاهدين الذين شاركوه طريق الإيمان والكفاح والجهاد، فلا يأنس إلا إليهم، ولا ينبسط ويسر إلا معهم، ولا يرتاح ويطمئن إلا لجلساتهم، وحلقاتهم واجتماعاتهم...

قال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فئازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصلحت منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾[1].

وقال تعالى: ﴿... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكفرين يجهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[2].

وقال ﷺ: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء، لا يحبه إلا لله»[3].

وقال ﷺ: «المرء مع من أحب»[4].

وقال ﷺ: «لن تنالوا البر حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»

وقال ﷺ: «أحبُّ الأعمال إليّ الحب في الله والبغض في الله»[5].

وقال ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه»[6].

(ب) وبالتعاون:

مع إخوانه المجاهدين على الخير والبر والتقوى... تتضافر الجهود، وتتعاضد

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩.

(٢) سورة المائدة آية ٥٩.

(٣) رواه البخاري والحاكم - صحيح.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد - صحيح.

(٥) رواه أحمد - حسن.

(٦) رواه أحمد والبخاري في الأدب، وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم - صحيح

القوى، وتتوسع المدارك والأفكار، وتتنوع العلوم والخبرات، وتتحول القلة إلى كثرة، والضعف إلى قوة، والعجز إلى قدرة. . . فتهون المعضلات، وتخف المثقلات، وتتحقق المعجزات. . .

وقد أمر الله تعالى بالتعاون على الخير ليقوى فاعلوه وتعظم منجزاته وابتكاراته. . .

وبالمقابل نهى عن التعاون على الشر. . .

يراجع موضوع: التعاون السابق في موضوع مقومات الجهاد المعنوية.

(ج) وبالرحمه:

بإخوانه المجاهدين، وذلك بأداء حقوقهم، وستر عيوبهم، وإقالة عثراتهم، وإغاثة ملهوفهم، ومداواة جريحهم، وإطعام جائعهم، وسقي عَطِشِهم، ومواساة مصابهم، وتفقد أحوالهم، والدعاء لهم في ظهر الغيب، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، بل يؤثرهم به على نفسه ولو كان محتاجا إليه

قال تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾[1].

وقال ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[2].

وقال ﷺ: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا، فلم يفضحه، ستره الله يوم القيامة»[3].

وقال ﷺ: «من أقال مسلما أقال الله تعالى عثرته»[4].

وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الله تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[5]. وقال ﷺ: «الدال على الخير كفاعله»[6].

---

(١) سورة الحشر من آية ٩ - ١٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم - صحيح.

(٣) رواه أحمد - صحيح.

(٤) رواه أبو داود والترمذي والحاكم - صحيح.

(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم - صحيح. (٦) رواه البزار والطبراني - صحيح.

Maktabatul 'ilmi

وقال ﷺ: «ما من امرىء يخذل امرأ مسلما في مواطن ينتقص فيه من عِرضه، وينتهك فيه حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عِرضه، وينتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[1].

٤ـ أدب المجاهد مع قيادته: ويكون ذلك:

(أ) بالثقة.

(ب) والولاء.

(ج) والطاعة.

(أ) بالثقة التامة بقيادته:

فلا تنتابه الشكوك الفاسدة، ولا تعتريه الظنون الآثمة، ولا تسيطر عليه الأوهام الخاطئة، ولا تزعزع ثقته الأراجيف الكاذبة... لأنه يعلم يقينا أن القيادة لم تقفز إلى رتبة القيادة قفزا، ولم تصل إليها اعتباطا، ولم تحصل عليها اغتصابا... وإنما انبثقت من خلال تزكية خيار الإخوة المجاهدين العاملين، وما حصلت التزكية لدى هؤلاء إلا نتيجة احتكاك وتجارب وحياة طويلة، وسنين عديدة مع أولئك، فهي خيار من خيار، بل هي صفوة الخيار،

فينبغي أن تبقى الثقة قوية راسخة لا تتزعزع ولا تتزلزل مهما كانت أرجف المرجفون أو طعن المغرضون، أو أشاع المنافقون وأصحاب الأهواء، كما ينبغي أن تبقى الثقة مستمرة في كافة الأحوال ـ في حال النجاح أو الإخفاق ـ طالما أنها تسير على النهج القويم والطريق المستقيم، وتعمل جادة مجتهدة للوصول إلى الهدف المنشود، والغية المرجوة، فإن أصابت كان لها ولجميع الأفراد أجران، وإن أخطأت كان لها ولجميع الأفراد أجر.

ولا تنزع الثقة إلا في حال الكفر الصريح أو الجنون أو الاستهتار المفرط، وعن طريق مجلس الشورى الإسلامي الذي لديه الرؤية الواضحة والصورة البينة، والمعرفة الحقيقية بها.

يراجع الموضوع نفسه في بحث مقومات الجهاد المعنوية السابق.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود ـ صحيح.

(ب) والولاء لقيادته :

بتأييدها ونصرها ومؤازرتها ومساندتها بكل ما أوتي من قوة وطاقة . . .

لأن قوة القيادة من قوة الأفراد ـ القاعدة ـ فإن قووها ونصروها قويت وانتصرت بإذن الله ، وإن تواكلوا عليها وخذلوها ضعفت وفشلت . . .

ولا يتصرف المجاهد بشأن من شؤون الجهاد إلا بعد استئذانها ، ولا يكتمها ما سمعه عنه وعن خططها من ريب وافتراء . . .

ويكون معها في السراء والضراء ، واليسر والعسر ، ويجتهد ما استطاع في تخفيف الأعباء والأثقال عنها . . . كما لا يشغلها بأمور جانبية يمكن حلها عن غير طريقها . . . لتتفرغ لمهمات الأمور.

قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم إن الله غفور رحيم﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغلبون﴾[2] .

(ج) وبالطاعة لقيادته :

بكل ما تأمره به ، ما لم تأمره بمعصية ، فلا ينفرد دونها برأي ، ولو غلب على ذلك ظنه أن رأيه هو الصواب ، إنما يعرضه عليها ، ومن ثم لم يلتزم برأيها ، سواء وافق رأيه أو خالفه ، لأنها أعرف بحال الجهاد والمجاهدين وحال العدو ومكامنه ومواضعه وخططه ومناوراته . . .

وبغير السمع والطاعة والالتزام والانضباط تدب الفوضى ويحدث الاختلاف وينفرط عقد الجماعة المجاهدة أو الجيش المجاهد ويفشل وتذهب ريحه .

قال تعالى : ﴿ويقول الذين ءامنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورةٌ محكمة وذُكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم * طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾[3] .

يراجع موضوع الطاعة في بحث مقومات الجهاد المعنوية السابق من هذا الكتاب .

---

(١) سورة التوبة آية ٦٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٥٦ .

(٣) سورة محمد من آية ٢٠ ـ ٢١ .

● أدب القيادة مع المجاهدين: ويكون ذلك:

(أ) بالعدل.

(ب) والرفق.

(ج) والمشورة.

(أ) بالعدل:

فالعدل هو الأساس المكين الذي تقوم عليه القيادة وإلا فمصيرها الفشل والسقوط والزوال...

فيجب على القيادة أن تهتم بأمر الجميع، وتحرص عليهم جميعا وتقدرهم، دون تمييز فرد عن فرد أو فئة عن فئة: كأن تميز مثلا الأقرباء لها، أو أهل بلدها أو أصحاب المال أو الجاه على غيرهم بمهمة أو تكليف أو عطاء أو قسمة... وغير ذلك، حتى لا تقع في سخط الله وفي سخط الناس... وعندها لا تنصر من الله ولا من الناس...

قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين شهداء بالقسط ولا يَجْرِمَنَّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿... وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى...﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿... والظلمين أعد لهم عذابا أليما﴾(٤).

وقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(٥).

وقال ﷺ: «ما من أمير عشيرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور»(٦).

وقال ﷺ: «ما من أمير يؤمّر على عشيرة إلا سئل عنهم يوم القيامة»(٧).

---

(١) سورة النحل آية ٩٠.
(٢) سورة المائدة آية ٨.
(٣) سورة الأنعام آية ١٥٢.
(٤) سورة الإنسان آية ٣١.
(٥) رواه أحمد والطبراني والبيهقي في شعب الايمان ـ صحيح.
(٦) رواه البيهقي في السنن ـ صحيح.
(٧) رواه الطبراني ـ حسن.

Maktabatul 'ilmi

وقال ﷺ: «العدل حسن ولكـــن في الأمراء أحسن. . .»[1].

وقال ﷺ: «خير أمراء السرايا زيد بن حارثة: أقسمهم بالسوية، وأعدلهم بالرعية»[2].

(ب) والرفق:

فينبغي في القيادة أن تتقي الله في نفسها، وأن ترفق في أفرادها وجنودها، وترحمهم وتعطف عليهم، وتسير بهم سير أضعفهم، لئلا يشق عليهم فيملوا ويضجروا، إلا إذا دعت الحاجة والضرورة إلى المشقة أو العنف أو الشدة فلا بأس عندئذ ولا حرج.

[فإن النبي ﷺ في غزوة المريسيع جدّ في السير عائدا إلى المدينة، وسار يومه وليلته والغد، حتى مع النهار، ثم نزل، ثم هجر الناس مثلها، حتى صبح بالمدينة في ثلاث، وذلك حين بلغه قول عبد الله بن أُبي بن سلول: (ليخرجن الأعز منها الأذل. . .) ليشغل الناس عن الخوض فيه][3]. وقال ﷺ: «سيروا على أضعفكم».

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»[4].

وقال ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته»[5].

وقال ﷺ: «هلك المتنطعون»[6].

وقال ﷺ: «روّحوا القلوب ساعة فساعة»[7].

وجاء في كتاب الأحكام السلطانية للماوردي، باختصار وتصرف:

[ادب القيادة مع الجيش:

١ـ الرفق بهم: لقوله ﷺ: «هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى، وشر السير الحقحقة».

وقوله ﷺ: «المضعف أمير الركب».

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس ـ ضعيف.

(٢) رواه الحاكم ـ صحيح.

(٣) ملخص من تفسير ابن كثير لسورة المنافقين.

(٤) رواه عبد حميد والضياء عن أنس ـ صحيح، في الجامع الصغير.

(٥) رواه أحمد وابن حبان والبيهقي ـ صحيح.

(٦) رواه أحمد ومسلم وأبو داود ـ صحيح.

(٧) رواه أبو داود مرسلا ورواه أبو بكر والديلمي في الفردوس.

٢ـ تفقد مراكبهم التي يمتطونها، والتأكد من صلاحيتها وجودتها.

٣ـ تعيين عرفاء ونقباء على الجيش، ليتعرف عن طريقهم أحوال الجيش.

٤ـ أن يتصفح الجيش ويتفقد ما فيه، فيخرج المخذِّلين والمرجفين «فقد ردّ رسول الله ﷺ عبد الله بن أُبي بن سلول في بعض غزواته لتخذيله المسلمين»[٧].

٥ـ أن يعدل ويسوي بين الجميع فلا يماليء فئة على فئة أو ناسا على ناس إلا حسب الكفاءة... خشية التنازع والتقاطع والمخاصمة.

٦ـ حراسة الجيش من غارات الأعداء ومفاجآتهم...

٧ـ أن تتخير مواضع النزول، وساحات القتال، بحيث تكون أعون لهم على القتال والمرابطة.

٨ـ إعداد ما يحتاجه الجيش من زاد وعتاد.

٩ـ أن تقف على أخبار العدو لتسلم من مكره.

١٠ـ أن تقوي نفوسهم ورجاءهم بالنصر... ليزدادوا جرأة وهذا من اسباب النصر.

لقوله تعالى: ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر﴾[١].

١١ـ أن تعد أهل الصبر منهم بثواب الله إن كان من أهل الآخرة وبالنفل إن كان من أهل الدنيا.

لقوله تعالى: ﴿... ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها...﴾[٢] ثواب الدنيا الغنيمة، وثواب الآخرة الجنة، فجمع الله في الترغيب بين أمرين، ليكون أرغب للفريقين.

١٢ـ أن تشاور ذوي الراي وأهل الحزم لتسلم من الخطأ.

لقوله تعالى: ﴿... وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ..﴾[٣]

وبذلك يستقر الرأي الصحيح لقوله ﷺ:

«ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأوسط أمورهم».

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٣.

(٢) سورة آل عمران اية ١٤٥.

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩.

وكذلك تؤلف بذلك قلوبهم ونفوسهم.

١٣ـ وقاية الجيش من الفساد والمعاصي، فيأخذ على أيدي العابثين المفسدين.

روى حارث بن نبهان، عن أبان بن عثمان عن النبي ﷺ أنه قال:

«إنهوا جيوشكم عن الفساد، فإنه ما فسد جيش قط إلا قذف الله في قلوبهم الرعب، وانهوا جيوشكم عن الغلول فإنه ما غل جيش قط، إلا سلط الله عليهم الرجلة، وانهوا جيوشكم عن الزنا، فإنه ما زنا جيش قط إلا سلط الله عليه المؤتان».

وقال أبو الدرداء: (أيها الناس؛ اعملوا صالحا قبل الغزوة، فإنما تقاتلون بأعمالكم)](١).

فينبغي على القيادة أن تشفق على الأفراد إشفاق الوالد على أولاده، فهم أمانة لديها، وهي مسؤولة عنهم يوم القيامة، فلا توردهم موارد المهالك، ولا تسمح بتعريضهم، وإذا كام ولا بد، ودعت الضرورة للمخاطرة دعمتهم بما يدرأ عنهم ويحفظهم ويضمن سلامتهم ما أمكن...

(ح) والمشورة:

يراجع هذا البحث في موضوع: التعاون بالرأي في مقومات الجهاد المعنوية في هذا الكتاب.

[وجاء في كتاب المبسوط للسرخسي: وعلى إمام المسلمين في كل وقت، أن يبذل مجهوده في الخروج بنفسه، أو يبعث الجيوش والسرايا من المسلمين، ثم يثق بجميل وعد الله تعالى في نصرته.

لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾(٢).

فإذا بعث جيشاً ينبغي أن يؤمر عليه أميرا، هكذا كان يفعل رسول الله ﷺ، ولأن به يجتمع كلامهم، وتتألف قلوبهم وبذلك ينصرون.

---

(١) كتاب الأحكام السلطانية للماوردي باب تقليد الإمارة والجهاد ـ بتصرف.

(٢) سورة محمد آية ٧.

قال تعالى: ﴿. . . هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألّف بين قلوبهم﴾[1].

وإنما يؤمر عليهم من يكون صالحا لذلك، بأن يكون حسن التدبير في أمر الحرب، ورِعا مشفقا عليهم، سخيا شجاعا. . .

(ويحكى عن نصر بن سيار رحمه الله تعالى قال: اجتمع عظماء العجم وغيرهم على أن قائد الجيش ينبغي أن يكون فيه عشرة خصال من خصال البهائم:

- شجاعة كشجاعة الديك.
- وتحنّن كتحنن الدجاجة.
- وقلب كقلب الأسد.
- وروغان كروغان الثعلب ـ أي صاحب مكر وحيلة ـ
- وغارة كغارة الذئب.
- وحَذَر كحذر الغراب.
- وحرص كحرص الكركي.
- وصبر على الجراح كالكلب.
- وحملة كالجبهة.
- وسمن كما يكون لدابة بخرسان لا تهزل بحال).

وإذا أمر عليهم بهذه الصفة، فينبغي له أن يوصيه بهم، كما بدأ الكتاب بيانه، ورواه عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى، عن علقمة بن مرثد، عن عبد الله بن بريدة، عن ابيه رضي الله عنهم قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشا أو سرية أوصى صاحبهم بتقوى الله في خاصة نفسه» . . .][2].

وعن بريدة رضي الله عنه قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله

---

(١) سورة الأنفال من آية ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) كتاب المبسوط للسرخسي جزء ١٠ ص ٤ .

تعالى، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال: . . . »[1].

[كتب ابو بكر الصديق رضي الله عنه إلى بعض قواد جيشه قال: إذا سرت فلا تعنت أصحابك في السير، ولا تغضبهم، وشاور ذوي الآراء منهم، واستعمل العدل، وباعد عنك الجور، فإنه ما أفلح قوم ولا نُصروا على عدوهم، وإذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله، وإذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، ولا تحرقوا زرعا، ولا تقطعوا شجرا، ولا تذبحوا بهيمة إلا ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا إذا هادنتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم، وستمرون على أقوام في الصوامع رهبان ترهبوا لله، فدعوهم وما انفردوا إليه وارتضوه لأنفسهم، فلا تهدموا صوامعهم، ولا تقتلوهم والسلام][2].

٦ـ أدب المجاهد في السير للقتال: ويكون ذلك:

(أ) بالبراءة.

(ب) والتجهيز.

(ج) وملازمة الذكر.

(أ) بالبراءة:

براءة النفس من العيوب والذنوب، وذلك بالإقلاع عن المعاصي، وبالتوبة إلى الله من جميع الذنوب، وبإخلاص النية في الجهاد لله وحده، وببراءة الذمة من أصحاب الحقوق التي عليه، فيوفيها أو يستسمح أو يستأذن من أصحابها.

قال ﷺ: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»[3].

وقال ﷺ: «شهيد البر يغفر له كل ذنب إلا الدين، والأمانة، وشهيد البحر يغفر له كل ذنب والدين والأمانة»[4].

---

(١) رواه مسلم ـ صحيح.

(٢) كتاب جمهرة وصايا العرب.

(٣) رواه أحمد ومسلم ـ صحيح.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ـ حسن.

(ب) وبالتجهيز:

بإعداد وتهيئة ما يحتاج إليه في خروجه للجهاد في سبيل الله؛ من طعام وشراب وثياب وأدوات... وغيرها إذا لم يتكفل الأمير بذلك...

وإذا تكفل الأمير بذلك؛ شكل جهازا متكاملا للتموين من أهل الخبرة، يرتب ويهيء كل حاجيات المجاهدين كما يؤمن طرق إيصال المؤن لكل فرد من أفراد الجيش أينما سار وحيثما كان... وإلا هلك الجيش بفقدان ذلك...

كذلك؛ يجهز سلاحه وذخيرته ومركبته، ويتأكد من صلاحيتها وجودتها وكفايتها...

كما يشكل الأمير جهازا للإصلاح والصيانة والتذخير يمد المجاهدين بالسلاح ويصلح ما تعطب منه، كما يمدهم بالذخيرة والعتاد بشكل مستمر ومنظم...

وهذا كله داخل في الخطة القتالية التي بينت سابقا في مقومات الجهاد المادية.

(ج) وبملازمة الذكر:

فيبقى المجاهد ذاكرا لله تعالى، مستعينا به، متوكلا عليه، عاقدا الآمال عليه، في كل تقلباته، وسائر أحواله...

لأن المدد والقوة والنصر منه وحده، وهو القادر على كل شيء، فيحرص المجاهد أول ما يحرص، على أداء الصلوات المكتوبة، وعلى تلاوة القرآن والتفقه في أمور الدين، وخاصة فقه الجهاد في سبيل الله، كما يحرص على الصلوات المسنونة، والأذكار والأدعية المأثورة، كذلك يجتهد في تزهيد نفسه بالدنيا، وترغيبها بالآخرة، فيقطع كل تفكير يمت إلى المال والأهل والولد وملذات الدنيا وشهواتها، وزخارفها بصلة... حتى يقطع على الشيطان سبيله، ويسد في وجهه الطريق إلى النفس بالوسوسة والإغراء والخداع... وليبقى خالصا صافيا مع ربه، يعبده ويستعين به ويرجوه ويطمع بما عنده سبحانه...

كذلك يجتهد في تطبيق الآداب الإسلامية في جميع أموره: في حله وترحاله، ومشيه وركوبه، وطعمه وشرابه، ونومه واستيقاظه، وأخذه وعطائه، وأمره ونهيه، ونصحه وإرشاده، ولقائه ومفارقته، وجلساته وأحاديثه.

ولا يرفع صوته بالذكر أثناء القتال لغير حاجة ولا يتمنى لقاء العدو، بل يسأل الله العافية والثبات والصبر والشهادة، والفضل في الجنة...

Maktabatul 'ilmi

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾[1].

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «طوبى لمن أكثر في الجهاد من ذكر الله، فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة، كل حسنة منها عشرة أضعاف مع الذي له عند الله من المزيد»[2].

وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا...»[3]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ وهو في قبته: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد الححت على ربك، فخرج وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر» وفي رواية «كان ذلك يوم بدر»[4].

هذا لفظ رواية البخاري وأما لفظ مسلم فقال: «استقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه، مادا يديه، حتى سقط رداؤه»[5].

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: أيها الناس؛ لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب وهازم الأحزاب: اهزهم وانصرنا عليهم» وفي رواية: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[6].

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٥.
(٢) رواه الطبراني في الكبير.
(٣) رواه أحمد والطبراني.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه مسلم ـ صحيح.
(٦) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

[والحكمة في النهي عن تمني لقاء العدو:

قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: حكمة النهي: أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر؛ وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصديق: لأن أعافى وأشكر أحب إليّ من أن ابتلى وأصبر، وقال غيره: إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على القُوى والوثوق بالقلة وقلة الاهتمام بالعدو، وكل ذلك مباين للاحتياط والأخذ بالحزم ـ زاد المصنف: وهو نوع بغي وقد وعد الله من بُغي عليه أن ينصره ـ انتهى][1].

وعن قيس بن عباد التابعي رحمه الله قال:

«كان أصحاب رسول الله ﷺ، يكرهون الصوت عند القتال»[2].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:

«رأيت النبي ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فإنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال:

«جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق، وينقلون التراب على متونهم ـ أي ظهورهم ـ ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا على الإسلام، وفي رواية: على الجهاد، ما بقينا أبدا، والنبي ﷺ يجيبهم: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة»[4].

٧ـ أدب المجاهد عند القتال: ويكون ذلك:

(أ) باستحضار عظمة الله.

(ب) والصدق والاحتساب.

---

(١) كتاب الأذكر للنووي في كتاب الجهاد.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٤) رواه البخاري ـ صحيح.

(ج) والصبر والمصابرة.

إن ساعة اللقاء مع الأعداء، وخاصة عند التقاء الصفين، وتلاحم الجيشين ساعة رهيبة لها ما بعدها، ولها ثقلها العظيم في ميزان المعارك، وحسابها الكبير في مقاييس الحروب، فكل خصم يحاول إذهال خصمه وتحطيم معنوياته وإلقاء الرعب والوهن والخور في روعه، بضرباته القاسية الشديدة وتكتيكه الفائق العجيب، ومفاجآته المدهشة المروعة.

والذي يفوز بقصب السبق في هذا المضمار يستطيع أن يمسك بزمام المعركة، يحميها متى شاء، ويبردها حيث أراد، ويرفع من معنويات صفه، ويشحذ من عزمه، يشد في أزره، ويعلي من همته... وبناء النصر على النصر أيسر، وأقرب من بناء النصر على الهزيمة.

والصدمة الأولى خطوة رائدة، تتبعها خطوات من جنسها سلبا أو إيجابا هزيمة أو انتصارا...

لذا، ينبغي التركيز على ساعة اللقاء، بشحن الجيش بقوة إيمانية عظيمة، ومعنويات عالية رفيعة، وحماس مُهيب دافع جياش...

وذلك بإلقاء الكلمات الحماسية المؤثرة، والتوجيهات الإيمانية المذكرة بالله المصبرة على البلاء، المشوقة إلى الجنة، المرغبة في الشهادة، المحببة إلى لقاء الله.

قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال... ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فقتل في سبيل الله لا تُكلف إلاّ نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾[2].

ومن ذلك:

● التكبير عند الهجوم للتذكير بعظمة الله، لأن من استحضر عظمة الله هان عليه كل ما سواه، ومن استحضر خشية الله لم يخش أحدا سواه.

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٥.

(٢) سورة النساء آية ٨٤.

Maktabatul 'ilmi

● والتذكير أن الموت حق لا مندوحة عنه ولا مفر منه وأنه بأجل محدود لا يتأخر ولا يتقدم، وأنه موتة واحدة لا تثنى، وأن أشرف موتة يموتها المؤمن موتة الشهادة في سبيل الله.

● والتذكير بأن وعد الله حق، ووفاءه حق، وأن الله على كل شيء قدير.

● وأن يهجم على الأعداء حين الإيعاز له بالهجوم دون تأخر أو تباطؤ أو تلكؤ، مستعينا بالله، متوكلا عليه، بشجاعة وبسالة، وصدق واحتساب، وصبر وثبات، وبرغبة بما عند الله من الرضى والأجر العظيم والنعيم المقيم، عن ما في الدنيا الفانية من الحطام الحائل والركام الزائل...

● وليصبر ويصابر على لأواء الحرب وشدائدها وأهوالها ومخاوفها حتى النهاية، وليعلم أن بين النصر والهزيمة صبر ساعة أحيانا، وليكثر من التضرع أثناء القتال لأنه مستجاب.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصّابرين * ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديرهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط * وإذ زين الشيطن أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايماناً وتسليماً﴾[2].

لما بعث النبي ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أُحد، فشكوا الجراحات أنزل الله تعالى قوله:

﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال من آية ٤٥ ـ ٤٨.

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٢.

(٣) سورة النساء آية ١٠٤.

قال ﷺ: «ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، وقلما ترد على داع دعوته: عند حضور النداء، والصف في سبيل الله، وفي لفظ: ثنتان لا تردان، أو قال: ما تردان: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعض بعضاً»[1].

وقال ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى»[2].

وقال ﷺ: «الصابر الصابر عند الصدمة الأولى»[3].

[وفي غزوة بدر: قال النبي ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فقال عمير بن الحمام: جنة عرضها السموات والأرض؟ بخ بخ، فقال له النبي ﷺ: ما يحملك على قول بخ بخ؟ فقال: رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، فألقى عمير تمرات كن بيده، وهو يقول: أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ وألقى بالتمرات قائلا: لئن بقيت حتى آكلها إنها لحياة طويلة... ثم تقدم وهو يقول:

ركضا إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وقاتل حتى قُتل].

[وهذا عبد الله بن رواحة، حين آلت إليه الراية، واستلمها في معركة مؤتة... خلا إلى نفسه، وراح يمنّيها ثم يمنعها حتى اطمأنت: يا نفس بماذا ترغبين في الدنيا؟ بالبستان؟... فهو لوجه الله تعالى، بالغلمان؟... فهم أحرار، بالزوجة؟... فهي طالق... حتى إذا قطع حبال الدنيا عن النفس واطمأنت، حينئذ تقدم إلى القتال يقود المعركة بصدق وبثبات حتى استشهد... ولقد رآه النبي ﷺ في الجنة مع صاحبيه: زيد وجعفر رضي الله عنهم أجمعين...].

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان - صحيح.

(٢) رواه البزار - صحيح.

(٣) رواه البخاري في التاريخ - صحيح.

٨ـ أدب المجاهد بعد انتهاء القتال: ويكون ذلك:

(أ) حال النصر. (ب) حال الفشل.

(ج) المحاسبة والتقويم.

كل قتال مآله إلى أحد أمرين: إما النصر أو الفشل، وللمجاهد المسلم سلوكيات وأخلاق وآداب حيال كل منهما.

(أ) فإذا كان نصر:

فالمجاهد لا تدفعه نشوة النصر وفرحته إلى العجب والغرور والبطر والكبرياء، وإنما يتذكر تفضل الله عليه وعلى إخوانه المجاهدين بهذا النصر، فيحمده ويشكره بتواضع وتذلل وخشوع.

[قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ، لما انتهى إلى ذي طوى، وقف على راحلته معتجزا بشقه بُرْد حبرة حمراء، وإن رسول الله ﷺ، ليضع رأسه تواضعا لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثنونه ـ أي أطراف لحيته ـ ليكاد يمس واسطة الراحل.

وقال الحافظ البيهقي: «عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعا».

وعن ابن مسعود أن رجلا كلم رسول الله ﷺ، يوم الفتح فأخذته الرعْدة فقال: «هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»...

وهذا التواضع، في هذا الموطن، عند دخول رسول الله ﷺ، مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العَرمْرَم، بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل، حين أُمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ـ أي ركّع ـ يقولون: حطّة، فدخلوا يزحفون على أستاهم وهم يقولون: حنطة في شَعره][1].

قال تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾[2].

(ب) وإذا كان الفشل:

فإن المجاهد يعزو سبب الفشل إلى نفسه وما جنت من تقصير وإهمال

(١) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٣. (٢) سورة النصر من آية ١ ـ ٣.

وتفريط . . . فيفتشها ويمحصها ويعرضها على السنة الشريفة والقرآن الكريم، ويزنها بميزان الإسلام والإيمان، ليلتمس مواطن الضعف والمرض، وليتعرف على مواضع التفريط والتقصير . . . ويرجع إلى الله بالتوبة والاستغفار على ما جنته نفسه واقترفته يداه، ما علم منها وما لم يعلم . .

كما يحتسب الأجر عند الله على ما بذل من جهد وقدم من خير وأفرغ من وسع . . .

كذلك لا يعتريه اليأس والقنوط من رحمة الله ومدده وتمكينه في الجولات الأخرى القادمة، لعلمه وإيمانه ويقينه أن الأمور تجري بالمقادير، وأن عليه بذل الجهد والطاقة، وليس عليه إدراك النجاح، لأنه من عطاء الله وتفضله وتكرمه . . .

قال تعالى: ﴿ . . . ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمٰلهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ . . . ولا تيأسوا من رَوحْ الله إنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكٰفرون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسٰن أعرض ونئا بجانبه وإذا مسّه الشر كان يؤوسا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿لا يسئم الإنسٰن من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾[4].

(ج) المحاسبة والتقويم:

لا بد بعد انتهاء القتال، مهما كانت النتيجة: في حال النصر أو في حال الفشل وعلى أي حال، من التقويم والمحاسبة:

فبالتقويم يتعرف على المحاسن والمساوىء وما حصل من خير أو شر أو صواب أو خطأ، وعلى المسببين لذلك ثم محاسبتهم على ذلك:

فمن كان لهم مواقف جيدة وبارزة شجعوا وكوفئوا عليها وكانوا قدوة للآخرين، ليقتفوا أثرهم، ويسيروا على منوالهم، ومن كان لهم مواقف سيئة ومشينة، حوسبوا عليها وأُنبوا

---

(١) سورة محمد من آية ٤ ـ ٦ .
(٢) سورة يوسف آية ٨٧ .
(١) سورة الإسراء آية ٨٣ .
(٤) سورة فصلت آية ٤٩ .

ووبخوا، على حسب مواقفهم، وكانت عبرة للآخرين حتى لا يقعوا بمثلها في المعارك القادمة.

٩ـ أدب المجاهد مع سلاحه: ويكون ذلك:

(أ) بالحفظ والصيانة.

(ب) والتعهد والإصلاح.

(ج) وجودة الحمل والاستعمال.

من المعلوم أن السلاح في القتال قرين الروح وعديل الحياة، لأنه أداة القتال وآلة الحرب، وبدونه لا تكون، فإذا فقد ولم يعوض، وتعطل ولم يصلح، فقد صفته القتالية وخاصيته الحربية، وتحول حامله إلى جندي أعزل كالشاة الجلحاء التي لا قرن لها، لا يستطيع قتالا ولا ثباتا ولا دفاعا.

فينبغي تجاه السلاح ما يلي:

(أ) أن يحفظ السلاح:

في المكان المخصص، بحيث لا يتعرض للضياع أو السرقة أو العبث، وينبغي أن يصونه من التلف أو العطب، وعلى قيادة الجيش، أن تحفظ وتصون ما بحوزتها من سلاح بمستودعات خاصة مهيأة بوسائل الحفظ والصيانة: كأن تكون نظيفة من الأوساخ، بعيدة عن الرطوبة، نقية من الغبار، وأن تكون متينة قوية البناء، خفية مستورة عن أعين الأعداء، محروسة من أيدي العابثين والمغرضين.

(ب) وأن يتعهد سلاحه:

وذلك بالاطلاع عليه، وتفقده، والتأكد من سلامته من الاعطاب، ومن صلاحيته للاستعمال، بكافة قطعه وأجزائه.

وأن يقوم بإصلاحه إذا احتاج إلى ذلك وأن يقوم بتنظيفه وتزييته.

وعلى القيادة أن تقيم أجهزة إصلاح لتعهد الأسلحة وصيانتها وإصلاحها لتبقى جيدة قوية.

(ج) وأن يجيد حمل واستعمال السلاح:

وذلك بالتدرب المتواصل على أصول حمله واستعماله بخفة ومهارة ومرونة ورشاقة،

وأن يكون على معرفة واطلاع بكافة أنواع الأسلحة وبكيفية استعمالها، لاحتياجه إلى ذلك أحيانا . . .

وعلى قيادة الجيش أن تقيم دورات ومعسكرات تدريبية للاطلاع والتدريب على الأسلحة، وخاصة ما جد منها، ليحافظ الجندي على أهليته لحمل السلاح واستعماله.

ويجب أن لا يشهر السلاح في وجه الإخوان، وأن لا يشار به اليهم ولو عن مزاح، كما ولا يوجه إليهم اثناء التنظيف والإصلاح وغيرها، بعدا عن وقوع خطأ غير متعمد، قد يودي بحياة إنسان أو أناس كثيرين.

وعموما: من خدم سلاحه خدمه وأُجر عليه.

قال ﷺ: «من احتبسَ فرسا في سبيل الله إيمانا بالله، وتصديقا بوعده، فإن شبعه وريّه وروثه وبوله في ميزاته يوم القيامة من حسنات»[1].

وقال ﷺ: «الخيل ثلاثة: هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر: ـ فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها من المرج والروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كان ذلك آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت ولم يرد أن يسقيها كانت له حسنات ـ ورجل ربطها تغنيا وسترا وتعففا، ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها فهي ستر له.

ـ ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي له وزر»[2].

وقال ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها»[3].

ومثل تعهد الفرس وصناعته السهم والتدرب عليهما كمثل أي سلاح آخر في الصناعة والتعهد والتدرب، سواء أكان مسدسا أو بندقية، أو مدفعا أو دبابة أو طائرة.

وقال ﷺ: «من اشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخيه لأبيه وأمه»[4].

---

(١) رواه البخاري والنسائي وغيرهما ـ صحيح.

(٢) رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ـ صحيح ـ .

(٣) رواه ابو داود والنسائي والحاكم .

(٤) رواه مسلم والترمذي ـ صحيح.

Maktabatul 'ilmi

وقال ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»[1].

وقال ﷺ: «قتال المسلم أخاه كفر، وسبابه فسوق»[2].

وقال ﷺ: «قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[3].

وقال ﷺ: «من أشار بحديدة إلى أحد المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه»[4].

١٠ـ أدب الناس مع المجاهد: ويكون ذلك:

(أ) بالإكرام والتقدير.

(ب) والإعانة والتجهيز.

(ج) بالخلافة بخير في المال والأهل والولد.

إن المجاهد في سبيل الله قد باع أثمن ما يملك، وضحى بأغلى ما عنده لله تعالى، ورهن حياته كلها من أجل إعلاء كلمة الله، وحماية الإسلام والمسلمين وديارهم وأعراضهم وأموالهم وكرامتهم من أن يغمز فيها أو تنال بأذى، ويخوض المنايا ويقتحم الصعاب ويتحمل المشاق والأعباء الثقال من أجل ذلك... يستحق من المسلمين...

(أ) الإكرام والتقدير:

وكل ثناء جميل وذكر عطر، وكيف لا وقد أحبه الله ورضي عنه وأكرمه أيما إكرام...

يرجع في هذا إلى موضوع «كرامة المجاهدين والشهداء» من هذا الكتاب.

(ب) الإعانة والتجهيز:

بأن يمد المجاهد بكل ما يحتاج إليه من مال وزاد وعتاد وغيرها، أي تجهيزه تجهيزا كاملا وافيا، إما لشخصه مباشرة إذا كان الجهاد فرديا، وإما عن طريق القيادة إذا كان جماعيا، وذلك ليستمر الجهاد ماضيا، ولتبقى راية الإسلام عالية، وتعيش الأمة الإسلامية في عز وأمن وأمان.

(ج) الخلافة بخير في المال والأهل والولد:

أثناء غيبته وانشغاله في أمور الجهاد، وذلك: بكفالتهم وإعالتهم وإعانتهم وسد حاجاتهم وتطييب خاطرهم، ودفع الشر والأذى عنهم، والحفاظ على كرامتهم وأموالهم

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ـ صحيح.
(٢) رواه الترمذي والنسائي ـ صحيح.
(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ـ صحيح.
(٤) رواه الحاكم في مستدركه.

وأعراضهم من أن تمس، أو تخدش بأذى، وبذلك تطمئن أسرة المجاهد، ويطمئن المجاهد عليها في غيبته عنها. . .

علما بأن من دعاء المجاهد في سبيل الله عند خروجه: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في المال والأهل والولد، اللهم أني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد. . .

قال ﷺ: «من لم يغز، أو لم يجهز غازيا، أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»(١).

وقال ﷺ: «من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان، فقال: «لينبعثْ من كل رجلين أحدُهما، والأجر بينهما» وفي رواية «ليخرجْ من كل رجلين رجل، ثم قال للقاعد: أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج»(٣).

وقال ﷺ: «من فطر صائما أو جهز غازيا فله مثل أجره»(٤).

وقال ﷺ: «من أعان مجاهدا في سبيل الله، أو غارما في عسرته، أو مكاتبا في رقبته، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»(٥).

وقال ﷺ: «من اغتاب غازيا فكأنما قتل مؤمنا»(٦).

---

(١) رواه أبو داود ـ صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البيهقي ـ صحيح.

(٥) رواه أحمد والحاكم ـ صحيح.

(٦) رواه الشيرازي عن ابن مسعود ـ ضعيف.

فضل الجهاد في سبيل الله

حث الإسلام على الجهاد في سبيل الله، وحض على خوض المعارك والحروب لإعلاء كلمة الله، شجع على اقتحام الأهوال والصعاب إرضاء لله، ورغب بمقابلة الموت والردى بصدر رحيب، وقلب جريء، ونفس مطمئنة رغبة بما عند الله، وقد أعظم في ذلك الأجر والثواب، وأجزل فيه الفضل والعطاء.

وإليك بعضا مما جاء في فضل الجهاد في سبيل الله:

١ـ الجهاد في سبيل الله ركن عظيم من أركان الإسلام، وفرض كبير من فرائضه... وقد بينت ذلك في فرضية الجهاد المطلق من هذا الكتاب، وأضيف إليه ما يلي:

وجهاد البحر أفضل من جهاد البر، لما فيه من شدة الخطر والهول، ويقاس عليه ـ والله أعلم ـ جهاد الجو؛ لأنه يحمل نفس المخاطرة والأهوال...

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «كان يدخل على أُم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فدخل عليها رسول الله ﷺ، فأطعمته، ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: ناس من أُمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أُمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، كما قال في الأولى، قالت: فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين، فركبت أُم حرام بنت ملحان البحر في زمن

Maktabatul 'ilmi

معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت، رضي الله عنها»[1].

وقال ﷺ: «حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات، وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج، وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها، والمائد فيه كالمتشحط في دمه»[2]. وقال ﷺ: «غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر»[3].

قال ﷺ: «من غزا في سبيل الله في البحر ـ والله أعلم بمن يغزو في سبيله ـ فقد أدى إلى طاعة الله كلها، وطلب الجنة كل مطلب، وهرب من النار كل مهرب»[4].

وقال ﷺ: «من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأته عن رباط سنة»[5].

وقال ﷺ: «شهيد البر يغفر له كل ذنب إلا الدَّيْن والأمانة، وشهيد البحر يغفر له كل ذنبه والدين والأمانة»[6].

٢ـ والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام: أي أعلى مراتب الإسلام ـ هذا من جهة الأجر والثواب.

قال ﷺ: «ذروة سنام الإسلام الجهاد، لا يناله إلا أفضلهم»[7].

قال ﷺ: «رأس هذا الأمر الإسلام، ومن أسلم سلم، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، لا يناله إلا أفضلهم»[8].

٣ـ والجهاد في سبيل الله أفضل العبادات والقربات والأعمال بعد الإيمان، حتى ولو اجتمعت.

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.
(٢) رواه الطبراني والبيهقي.
(٣) رواه الحاكم.
(٤) رواه الطبراني في الأوسط.
(٥) رواه أحمد.
(٦) رواه أبو نعيم في الحلية ـ حسن.
(٧) رواه الطبراني
(٨) رواه الطبراني ـ صحيح

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجرة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتُجٰهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذٰلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنت تجري من تحتها الأنهٰر ومسٰكن طيبة في جنٰت عدن ذٰلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: «قلت: يا رسول الله؛ أي الأعمال أفضل؟ قال. الإيمان بالله والجهاد في سبيله»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «سئل رسول الله ﷺ؛ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد»[4].

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، وجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها عليّ يا رسول الله، فأعادها عليه، ثم قال: «وأُخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله»[5].

وعند الترمذي: تفسير الدرجة بمائة عام.

---

(١) سورة الصف من آية ١٠ ـ ١٣.

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ـ صحيح.

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة ـ صحيح.

(٥) رواه مسلم وأبو داود والنسائي ـ صحيح.

وعند النسائي: تفسير الدرجة بخمسمائة عام.

وقال ﷺ: «مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة»(١).

وقال ﷺ: «لغدوة الرجل في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»(٢).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده، لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم احيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل»(٣).

وقال ﷺ: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»(٤).

وعنه ﷺ: «أن رجلا قال له: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وقراءة القرآن، فإنه روحك في السماء وذكر لك في الأرض»(٥).

وروى الذهبي: [أن ابن المبارك لما كان مرابطا بطرطوس سنة سبع وسبعين ومائة، أرسل إلى الفضيل بن عياض رسالة فيها هذه الأبيات:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب

---

(١) رواه الحاكم - صحيح على شرط البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم - صحيح. (٣) رواه البخاري ومسلم - صحيح.

(٤) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي - صحيح. (٥) رواه أحمد.

Maktabatul 'ilmi

لا يستوي غبار خيل الله في
أنف امريء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلما قرأها ذرفت عيناه، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح](١).

٤ـ والشهادة في ساحة الجهاد أفضل أنواع الاستشهاد:

قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما ءاتهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾(٢).

وقال ﷺ: «ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله؛ من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إنّ شهداء أمتي إذن لقليل؟ قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد، ومن مات من البطن فهو شهيد، قال ابن مقسم: أشهد على أبيك ـ يعني أبا صالح ـ أنه قال: والغريق شهيد»(٣).

وقال ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»(٤).

وقال ﷺ: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد»(٥).

وقال ﷺ في حديث شريف: «... وفي النفساء يقتلها ولدها جمعا شهادة»(٦).

وفي حديث آخر: «... وذات الجنب شهادة»(٧).

---

(١) كتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك.

(٢) سورة آل عمران من آية ١٦٩ ـ ١٧١.

(٣) رواه مسلم ـ صحيح.

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ـ حسن.

(٥) رواه النسائي والضياء ـ صحيح.

(٦) رواه أحمد والطبراني.

(٧) رواه الطبراني.

وفي حديث آخر: «. . . وسادن بيت المقدس، والحرق والسل. . .»[1].

وفي حديث آخر: «والمرأة تموت بجمع شهيد»[2].

وقال ﷺ: «موت الغريب شهادة»[3].

وقال ﷺ: «من فصل في سبيل الله فمات، أو قتل فهو شهيد، أو وقصه فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد، وإن له الجنة»[4].

ومعنى فصل: خرج، وقصه: رماه فقتله، الحتف: الموت.

وقال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[5].

وأمثال هؤلاء في شهادة الآخرة كثير: كمن مات عالما، أو في طلب العلم أو مرابطا، أو حاجا، أو بالحمى، أو بالهدم، ومن قتل مظلوما. . . وغيرهم.

وقال ﷺ في حديث شريف: «أما بعد . . . وأشرف الموت قتل الشهداء . . .»[6].

[وقد قسم الفقهاء الشهيد إلى ثلاثة أقسام، على تفصيل في المذاهب . . . لكن عموما:

(أ) شهيد الدنيا والآخرة: وهو من قتل بسبب قتال الكفار، لإعلاء كلمة الله من غير نفاق ولا رياء ولا غلول من الغنيمة. . . وهذا هو الشهيد الكامل، وهو أفضل أنواع الشهادة وله أعظم الأجر.

(ب) شهيد الدنيا فقط: وهو من قاتل للغنيمة أو رياء أو نفاقا. . . وهذا غير مأجور وتُجرى عليه أحكام الظاهر.

وهذان الصنفان من الشهداء تجري عليهم أحكام الشهيد.

- فعند الأحناف: لا يغسل، ولا يكفن، ويصلى عليه.

- وعند الحنابلة: لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه.

---

(١) رواه أحمد - حسن.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان.

(٣) رواه ابن ماجة.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٦) رواه البخاري وغيره - صحيح.

- وعند المالكية: لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه.

- وعند الشافعية: لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه.

(ج) **وشهيد الآخرة فقط**: وهو من مات بهدم أو غرق أو نحوهما كما ثبت بالأحاديث النبوية الشريفة. . . وهذا يغسل، ويكفن، ويصلى عليه؛ على تفصيل في المذاهب: يرجع إليها من يرغب في الاطلاع][1].

(١) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، جزء بتصرف.

كرامة المجاهدين والشهداء

لقد أعد الله تبارك وتعالى للمجاهدين والشهداء في سبيله من الكرامة والفضل ورفعة المقام وعلو المنزلة ما لا يدرك بأي عبادة أُخرى حتى بالصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر العبادات والقربات.

ولهذا كان تسابق المسلمين الصادقين في كل زمان ومكان إلى ساحات الجهاد وحلبات القتال متى سمعوا النداء للجهاد، تاركين وراءهم كل أعراض الدنيا الفانية وحطامها الزائل.

ومما جاء في كرامة المجاهدين والشهداء في سبيل الله ما يلي:

١ ـ لهم أعظم الأجر

لهم أعظم الأجر، وخير المنازل، وأعلى الدرجات.

قال ﷺ: «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ، خرج عليهم وهم جلوس في مجلس لهم فقال: ألا أخبركم بخير الناس منزلا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: رجل أخذ برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يُقتل. ألا أُخبركم بالذي يليه؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: امرؤ معتزل في شعب، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعتزل شرور الناس. ألَا أخبركم بشر الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الذي يُسأل بالله ولا يعطي»[٢]

وقال ﷺ: «أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر، ببيت في ربض الجنة، وببيت في

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهما.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة في صحيحه ورواه مالك عن عطاء بن دينار.

وسط الجنة، وأنا زعيم لمن امن بي، وأسلم، وجاهد في سبيل الله، ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك، لم يدع للخير مطلبا، ولا من الشر مهربا، يموت حيث شاء أن يموت»[1].

وقال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، قالا لي: أما هذه فدار الشهداء»[2].

وعن نعيم بن عمار، رضي الله عنه، أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: «أي الشهداء أفضل؟ قال: الذين إن يُلْقَوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه»[3]وقال ﷺ: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو، فصدق الله حتى قُتل، فذاك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا، ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته، فلا أدري قلنسوة عمر أراد، أم قلنسوة النبي ﷺ، قال: ورجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن، أتاه سهم غرب فقتله، فهو في الدرجة الثانية، ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو، فصدق الله حتى قُتل، فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل مؤمن أسرف على نفسه، لقي العدو فصدق الله حتى قُتل، فذلك في الدرجة الرابعة»[4].

وقال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»[5].

؟ وقال ﷺ: «مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادة ستين سنة»[6].

٢ ـ عملهم جَارٍ وهو أفضل الأعمال

عملهم أفضل الأعمال، ويجري عليهم يوم القيامة، وقد بين ذلك في بحث «فضل الجهاد في سبيل الله» في هذا الكتاب.

---

(١) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه.
(٢) رواه البخاري في حديث طويل.
(٣) رواه أحمد وأبو يعلى.
(٤) رواه الترمذي وأحمد.
(٥) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم ـ صحيح.
(٦) رواه الطبراني والحاكم ـ صحيح.

وقال ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجري عليه رزقه، وأَمِن مِنَ الفتّان»(١).

وفي رواية للطبراني زاد: «وبعث يوم القيامة شهيداً».

وقال ﷺ: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر»(٢).

وقال ﷺ: «كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُنّمى له عمله، ويُجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة»(٣).

وقال ﷺ: «من رابط ليلة في سبيل الله، كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها»(٤).

وقال ﷺ: «من خرج حاجا فمات كتب الله له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرا فمات كتب الله له أجر المعتمر إلى يوم القيامة»(٥).

وعن عامر بن سعد، رضي الله عنه، عن أبيه: «أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ، فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم آتني فضل ما تؤتي عبادك الصالحين، فلما قضى النبي ﷺ، قال: من المتكلم آنفا؟ فقال الرجل: أنا يا رسول الله، قال: «إذن يعقر جوادك وتستشهد»(٦).

وقال ﷺ: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر فريضة من فرائض الله»(٧).

٣ـ أحياء يرزقون

أحياء عند ربهم يرزقون إلى يوم القيامة، ولهذا فالشهيد لا يغسل ولا يكفن ـ يبقى في ثيابه ـ ولا يصلى عليه كما بين سابقا.

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي والطبراني.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والحاكم وابن حبان.

(٣) رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية ـ حسن.

(٤) رواه ابن ماجة ـ صحيح.

(٥) رواه أبو يعلى.

(٦) رواه أبو يعلى والبزار وابن ماجة والحاكم.

(٧) رواه الترمذي.

وعن مسروق، رضي الله عنه، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية:
﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1].

فقال: أما أنا فقد سألت رسول الله ﷺ، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوْا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب؛ نريد أن ترد أرواحنا في أجسامنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركُوا»[2].

وقال ﷺ: «من مات مرابطا في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأُجري عليه رزقه، وأُمِنْ من الفتّان، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الأكبر»[3].

وزاد الطبراني: «والمرابط إذا مات في رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة، وغُدي عليه وريح برزقه، ويزوج سبعين حوراء، وقيل له: قف، اشفع، إلى أن يفرغ من الحساب».

٤ـ محجوبون عن نار جهنم

حجبون عن نار جهنم بسبع خنادق، كل خندق كسبع سموات وسبع أرضين...

قال ﷺ: «من رابط يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق، كل خندق كسبع سموات وسبع أرضين»[4].

وقال ﷺ: «لا يلج النار رجل بكىٰ من خشية النار حتى يعود اللبن في المضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[5].

وقال ﷺ: «ومن اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»[6].

وروى النسائي والترمذي في حديث ولفظه: «... ومن اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار».

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩.
(٢) رواه مسلم واللفظ له، والترمذي، وغيرهما
(٣) رواه ابن ماجة والطبراني في الأوسط
(٤) رواه الطبراني.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) رواه البخاري ـ صحيح.

وقال ﷺ: «لا يجمع الله عز وجل في جوف عبد غبارا في سبيل الله ودخان جهنم، ومن اغبرت قدماه في سبيل الله باعد الله منه النار يوم القيامة مسيرة ألف عام للراكب المستعجل، ومن جرح جراحة في سبيل الله ختم له بخاتم الشهداء، له نور يوم القيامة لونها مثل لون الزعفران، وريحها مثل ريح المسك، يعرفه به الأولون والآخرون، يقولون: فلان عليه طابع الشهداء، ومن قاتل في سبيل الله فُواق ناقة وجبت له الجنة»[1].

وقال ﷺ: «لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا»[2].

وقال ﷺ: «عينان لا تمسها النار أبدا: عين باتت تكلأ في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله»[3]

وقال ﷺ: «ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله»[4].

وقال ﷺ: «ثلاثة أعين لا تمسهما النار: عين فقئت في سبيل الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله»[5].

٥ـ عملهم مضاعف عن غيرهم

عملهم الصالح مضاعف عن عمل غيرهم بآلاف الدرجات والحسنات: قال ﷺ: «صلاة في مسجدي تُعْدَل بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام تُعْدَل بمائة ألف صلاة، وصلاة بأرض الرباط بألفي صلاة»[6].

وقال ﷺ: «إن صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة، ونفقة الدينار والدرهم منه أفضل من سبعمائة دينار، ينفقه في غيره والله أعلم»[7].

قال ﷺ: «طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله، فإن له بكل كلمة سبعين ألف حسنة، كل حسنة بعشرة أضعاف مع الذي عند الله من المزيد»[8]

---

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.
(٣) رواه أبو يعلى والطبراني.
(٤) رواه الطبراني.
(٥) رواه الحاكم ـ صحيح.
(٦) رواه ابن حبان.
(٧) رواه البيهقي.
(٨) رواه الطبراني.

وقال ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف»[1].

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: «لما نزلت: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يُضعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[2]. قال رسول الله ﷺ: «ربِّ زِدْ أُمتي» فنزلت: ﴿. . . إنما يُوفى الصَّابرون أجرهم بغير حساب﴾[3]»[4]. وقال ﷺ: «الخيل مقعود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة»[5].

٦ـ وفود الله وأجرهم مضمون

وفود الله، دعاهم فأجابوه، وضمن لهم العون والأجر والجنة، قال ﷺ: «الغازي في سبيل الله، والحاج إلى بيت الله، والمعتمر، وفد الله، دعاهم فأجابوه»[6].

وقال ابن ماجة في آخره: «. . . إن دَعَوْه أجابهم، وان استغفروه غفر لهم».

وقال ﷺ: «تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برسلي، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما كَلْم يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق على أُمتي ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددْت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل»[7]

ورواه مالك والبخاري والنسائي ولفظهم: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله، وتصديق بكلماته، أن يدخله الجنة، أو يرده إلى مسكنه، بما نال من أجر أو غنيمة. . .» الحديث.

---

(١) رواه الحاكم ـ صحيح.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦١

(٣) سورة الزمر آية ١٠.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي

(٥) رواه الطبراني والحاكم ـ صحيح.

(٦) رواه ابن ماجة وابن حبان والبيهقي وابن خزيمة.

(٧) رواه مسلم.

وقال ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله؛ رجل خرج غازيا في سبيل الله، فهو ضامن على الله حتى يتوفاه، فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله»(١).

وقال ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم؛ المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»(٢).

وقال ﷺ: «من فصل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصه فرسه أو بعيره، أو لدغته هامّه، أو مات على فراشه بأي حتف شاء، فإنه شهيد، وإن له الجنة»(٣).

فصل: خرج، وقصه: رماه فكسر عنقه، الحتف: الموت.

وقال ﷺ: «من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات أو قُتل فإن له أجر الشهيد، ومن جُرح جُرْحا في سبيل الله، أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها لون الزعفران، وريحها ريح المسك»(٤).

ورواه ابن ماجة بنحوه إلا أنه قال: «ومن سأل الشهادة مخلصا أعطاه أجر شهيد وإن مات على فراشه».

فُواق ناقة: هو ما بين رفع يدك عن الضرع حال الحلب ووضعها، وقيل: هو ما بين الحلبتين.

وقال ﷺ: «من رمىٰ بسهم في سبيل الله كان له نورا يوم القيامة»(٥).

وقال ﷺ: «من رمىٰ رمية في سبيل الله قصر أو بلغ كان له مثل أجر أربعة أناس من بني إسماعيل أعتقهم»(٦).

وفي حديث: «... من رمىٰ بسهم في سبيل الله قصر أو بلغ كان له نورا يوم القيامة»(٧).

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان والحاكم - صحيح.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان والحاكم.

(٣) رواه أبو داود

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

(٥) رواه البزار.

(٦) رواه البزار.

(٧) رواه الطبراني.

٧ـ يغفر لهم ويستجاب دعاؤهم

يغفر لهم جميع ذنوبهم، وتفتح لدعائهم أبواب السماء:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذب، فأعجبته، فقال، لو اعتزلت الناس، فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال:

«لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة؟ أغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة وجبت له الجنة»[١].

وقال ﷺ: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين»[٢].

[وجاء في حاشية ابن عابدين في ـ مطلب تكفير الشهادة مظالم العباد ـ في كتاب الجهاد: «أنه ﷺ دعا لأمته بعرفات فاستجيب له إلا المظالم، ثم دعا بالمشعر الحرام فاستجيب له حتى المظالم، فنزل عليه جبريل عليه السلام يخبره أنه تعالى يقضي عن بعضهم حق بعض» فلا يبعد ذلك في حق الشهيد المديون. . .][٣].

وعن أبي قتادة، رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله؛ أرأيت إن قُتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، ثم قال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، إن قُتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّين فإن جبرائيل قال لي ذلك»[٤].

وقال ﷺ: «ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، وقلما ترد على داع دعوته؛ عند حضور النداء والصف في سبيل الله» وفي لفظ: «ثنتان لا تردان، أو قال: ما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعض بعضا»[٥].

---

(١) رواه الترمذي والحاكم.

(٢) رواه مسلم وأحمد ـ صحيح.

(٣) حاشية ابن عابدين جزء ٤ كتاب الجهاد.

(٤) رواه مسلم وغيره ـ صحيح.

(٥) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وفي رواية لابن حبان: «ساعتان لا ترد على داع دعوته؛ حين تقام الصلاة، وفي الصف في سبيل الله»[1].

وقال ﷺ: «... إذا صف الناس للصلاة، وصفوا للقتال، فتحت أبواب السماء، وأبواب الجنة، وغلقت أبواب النار...»[2].

٨ـ يحبون الاستشهاد مرات...

يحبون الاستشهاد مرات لما يرون من فضل الشهادة:

قال ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة» وفي رواية: «لما يرى من فضل الشهادة»[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما قُتل عبد الله بن عمر بن حرام يوم أحد، قال رسول الله ﷺ: «يا جابر: ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قلت: بلىٰ، قال: ما كَلَّمَ الله أحدا إلا من وراء حجاب، وكَلَّمَ أباك كفاحا، فقال: عبد الله؛ تمنَّ عليّ أعطك، قال: يا رب؛ تحييني فأُقتل فيك ثانية، قال: إنه سبق مني إنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب؛ فأبلغ من ورائي، فأنزل الله هذه الآية:

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما ءاتٰهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم مِنْ خَلْفِهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾[4]»[5].

وقال ﷺ: في حديث: «... والذي نفس محمد بيده لَوَدِدْت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل»[6].

٩ـ تظلهم الملائكة ولهم حلل

تظلهم الملائكة، ولهم حلل وتيجان:

---

(١) رواه ابن حبان.
(٢) رواه الطبراني والبيهقي.
(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(٤) سورة آل عمران من آية ١٦٩ ـ ١٧١.
(٥) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم.
(٦) رواه البخاري ومسلم في حديث:

Maktabatul 'ilmi

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جيء بأبي إلى النبي ﷺ، وقد مثل الأعداء به، فوضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه، فنهاني قومي، فسمع صوت صائحة، فقيل: ابنة عمرو أو أخت عمرو، «فقال: لم تبكي؟ أو: لاتبكي، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها»[1].

وقال ﷺ: «الشهداء ثلاثة»:

● رجل خرج بنفسه وماله في سبيل الله، لا يريد أن يقاتل ولا يقتل، يكثّر سواد المسلمين، فإن مات أو قُتل، غفر له ذنوبه كلها، وأُجير من عذاب القبر، ويؤمن من الفزع، ويزوج من الحور العين، وحلت عليه حلة الكرامة، ويوضع على رأسة تاج من الوقار والخلد.

● والثاني: خرج بنفسه وماله محتسباً، يريد أن يقتُل ولا يُقتل، فإن مات أو قتل كانت ركبته مع إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وبين يدي الله تبارك وتعالىٰ في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

● والثالث: خرج بنفسه، وماله محتسباً، يريد أن يقتُل ويُقتل، فإن مات أو قتل جاء يوم القيامة شاهراً سيفه، واضعه علىٰ عاتقه، والناس جاثون علىٰ الركب، يقول: ألا افسحوا لنا، فإنا قد بذلنا دماءنا وأموالنا لله تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو قال ذلك لإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، أو لنبي من الأنبياء لزحل لهم عن الطريق لما يرى من واجب حقهم. حتىٰ منابر من نور تحت العرش فيجلسوا عليها، ينظرون كيف يقضى بين الناس، لا يجدون غم الموت، ولا يغتمّون في البرزخ، ولا تفزعهم الصيحة، ولا يهمهم الحساب ولا الميزان ولا الصراط، ينظرون كيف يُقضىٰ بين الناس، ولا يسألون شيئا إلا أعطوا، ولا يشفعون في شيء إلا شُفّعوا فيه، ويعطون من الجنة ما أحبوا، ويتبوؤن من الجنة حيث أحبوا»[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ذكر الشهيد عن النبي ﷺ فقال: لا تجف الأرض من دم الشهيد حتىٰ تبتدره زوجتان كأنهما ظئران في براج من الأرض، وفي يد كل واحدة منهما حلة خير من الدنيا وما فيها»[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البزار والبيهقي.

(٣) رواه ابن ماجة.

- ويجار من عذاب القبر.

- ويأمن من الفزع الأكبر.

- ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين من الحور العين.

- ويشفع في سبعين من أقاربه»[1].

وجاء في حديث: «. . . لا يجدون غم الموت، ولا يغتمون في البرزخ، ولا تفزُعهم الصيحة، ولا يهمهم الحساب ولا الميزان ولا الصراط، ينظرون كيف يُقضى بين الناس. . . »[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أنه سأل جبرائيل عليه السلام عن هذه الآية:

﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله. . . ﴾[3] مَن الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم شهداء الله»[4].

وقال ﷺ: «سألت جبريل عن هذه الآية:

﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله. . . ﴾[5] - من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء ثنية الله تعالى، متقلدون أسيافهم حول عرشه»[6].

وعن راشد بن سعد رضي الله عنه، وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفىٰ ببارقة السيوف على رأسه فتنة»[7].

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي .

(٢) رواه البزار والبيهقي والاصبهاني .

(٣) سورة الزمر اية ٦٨ .

(٤) رواه الحاكم .

(٥) سورة الزمر اية ٦٨ .

(٦) رواه أبو يعلى والدارقطني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة - صحيح .

(٧) رواه النسائي - صحيح .

١١ ـ أرواحهم في أجواف طير

أرواحهم في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت:

قال ﷺ: «إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، تلعق من ثمر الجنة أو شجر الجنة»(١).

وقال ﷺ: «لما أُصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلىٰ قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلّغ إخواننا عنا أنّا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يكلّوا عن الحرب؟ فقال: الله تعالىٰ: أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً. . .﴾(٢) الآية»(٣).

وفي حديث: «. . . أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تَسْرِحُ من الجنة حيث شاءت. . .»(٤).

١٢ ـ يبعثون على نجائب وجرحهم ينزف

يبعثون على نجائب متقلدي سيوفهم وجرحهم ينزف:

قال ﷺ: «إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم علىٰ رقابهم، تقطر دماء، فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين»(٥).

وجاء في حديث: «. . . هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه، فتأتيهم الملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت، أزمتها الدر الأبيض برجال الذهب، أعنتها السندس والاستبرق، ونمارقها ألين من الحرير، مدّ خطاها أبصار الرجال، يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه»(٦).

---

(١) رواه الترمذي

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

(٣) رواه أبو داود والحاكم .

(٤) رواه مسلم والترمذي وغيرهما ـ صحيح .

(٥) رواه الطبراني .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا .

Maktabatul 'ilmi

وجاء في حديث: «. . . فإن أول قطرة تنضح من دمه تكفّر عنه كل شيء عمله، وينزل إليه زوجتان من الحور العين، يمسحان التراب عن وجهه، ويقولان: فدانا لك، ويقول: فدانا لكما، ثم يُكسىٰ مائة حلة من نسج بني آدم ولكن من نبت الجنة، لو وضعهن بين أُصبعين لوسعن، وكان يقول: نبئت أن السيوف مفاتيح الجنة»(١).

١٠ ـ القتل لديهم كمس القرصة ولا يعذبون في قبورهم

القتل لديهم كمس القرصة، ولا يعذبون في قبورهم، ويؤمّنون من الفزع الأكبر ومن الصعق، ويرُون مقاعدهم من الجنة:

قال ﷺ: «ما يجد الشهيد من مسّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مسّ القرصة»(٢).

وفي حديث: «. . . وأمن الفتّان، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الأكبر»(٣).

وقال ﷺ: «إن للشهيد عند الله سبع خصال:

ـ أن يغفر له أول دُفعة من دمه.

ـ ويرىٰ مقعده من الجنة.

ـ ويحلىٰ حلة الإيمان.

ـ ويجار من عذاب القبر.

ـ ويأمن من الفزع الأكبر.

ـ ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.

ـ ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه»(٤).

وقال ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال:

ـ يغفر له في أول دفعة.

ـ ويرىٰ مقعده من الجنة.

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

(٣) رواه ابن ماجه والطبراني.

(٤) رواه أحمد والطبراني.

وقال ﷺ: «من جُرح جرحا في سبيل الله جاء يوم القيامة ريحه كريح المسك، ولونه لون الزعفران، عليه طابع الشهداء، ومن سأل الشهادة مخلصاً أعطاه الله أجر شهيد، وإن مات على فراشه»[1].

وقال ﷺ: ما من مكلوم يُكْلَم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى، اللون لون دم، والريح ريح مسك»[2].

وقال ﷺ: «كل كَلْم يكلمه المسلم في سبيل الله تعالى تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت، تفجر دما، واللون لون الدم، والعرف عرف المسك»[3].

١٣ ـ يزوجون بالحور العين ويشفعون

جاء في الحديث: «... ويزوج اثنتين وسبعين منهن، ويشفع في سبعين من أقاربه»[4].

وجاء في الحديث: «... فإن أول قطرة تقطر من دم أحدكم يحط الله عنه بها خطاياه، كما يحط الغصن من ورق الشجر، تبتدره اثنتان من الحور العين، وتمسحان التراب عن وجهه، وتقولان: فدانا لك، ويقول: فدانا لكما...»[5].

وقال ﷺ: «الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته»[6].

١٤ ـ من تحت سلاحهم جنات الخلود

من تحت أسيافهم وسهامهم وخيولهم جنات الخلود:

قال ﷺ: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[7].

وقال ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»[8].

وقال ﷺ: «... إن السيف محاء الخطايا...»[9].

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد والطبراني
(٥) رواه البزار والطبراني.
(٦) رواه أبو داود وابن حبان.
(٧) رواه البخاري ومسلم وأبو داود ـ صحيح.
(٨) رواه مسلم والترمذي وأحمد ـ صحيح.
(٩) رواه أحمد والطبراني وابن حبان.

وقال ﷺ: «من رمىٰ بسهم في سبيل الله كان كمن أعتق رقبة»[1].

وقال ﷺ: «من رمىٰ بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر»[2].

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل يُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر إلى الجنة؛ صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والذي يجهز به في سبيل الله، والذي يرمي به في سبيل الله»[3].

وقال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير والأجر والمغنم إلى يوم القيامة»[4].

١٥ ـ هم خير الناس يحبهم الله ويضحك إليهم

هم خير الناس يحبهم الله ويضحك إليهم، ويعجب منهم، ويستبشر بهم، ورضي عنهم ورضوا عنه:

قال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يُقتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾[5].

وقال ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم ويستبشر بهم:

ـ الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يُقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه فيقول: أُنظروا إلى عبدي هذا، كيف صبر لي بنفسه...»[6].

وقال ﷺ: «ثلاثة يضحك الله لهم:

ـ الرجل إذا قام من الليل يصلي.

ـ والقوم إذا صفوا للصلاة.

ـ والقوم إذا صفوا للقتال».

وقال ﷺ: «عجب ربنا سبحانه وتعالى من رجل غزا في سبيل الله، فانهزم ـ يعني أصحابه ـ فعلم ما عليه، فرجع حتى أُهريق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: أُنظروا إلى عبدي، رجع رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي، حتى أُهريق دمه».

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٥) سورة الصف آية ٤.

(٦) رواه الطبراني.

Maktabatul 'ilmi

وقال أنس رضي الله عنه: «أُنزل في الذين قُتلوا في بئر معونة قرآن قرأناه، ثم نسخ بعد، بلّغوا قومنا: أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا، ورضينا عنه».

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس.

- إن من خير الناس رجلا عمل في سبيل الله على ظهر بعيره، أو على قدمه حتى يأتيه الموت.

- وإن من شر الناس رجلا يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوي بشيء منه».

اللهم أكرمنا بشرف الجهاد والاستشهاد في سبيلك يا أعظم من سُئل وأكرم من أعطي، ويا خير مدعو ويا خير مجيب.

التعاهد مع الكفار

تعريف:

التعاهد مع الكفار: هو إبرام عقد بين المسلمين وبين الكافرين، على شروط وبنود يتفق عليها الطرفان، ويتعاهدان بالتزامها، بشأن من الشؤون: كالمسالمة أو المعايشة أو المناصرة أو الأمان. . . أو غيرها.

ويطلق على هذا العقد أيضا: الصلح أو الموادعة أو التحالف أو الميثاق أو المهادنة أو المعاهدة.

جاء في كتاب المغني: [ومعنى الهدنة: أن يعقد لأهل الحرب عقد على ترك القتال مدة بعوض وبغير عوض، وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة، وذلك جائز بدليل قوله تعالى:

﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عٰهدتم من المشركين﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها. . .﴾[2]. . . .][3].

حكمه: التعاهد مع الكفار يحتمل جميع الأحكام:

الكراهة والتحريم. . . والجواز والوجوب.

وذلك على حسب ما يدفع من مفاسد ويجلب من مصالح. . . وعلى حسب الضرورة التي ألجأت اليه.

ودليله ثابت في القرآن والسنة وإجماع الأئمة.

---

(١) سورة التوبة آية ١ .

(٢) سورة الأنفال آية ٦١ .

(٣) كتاب المغني لابن قدامة المقدسي جزء ٨ ص ٤٥٩ .

قال تعالى: ﴿إلا الذين عهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يُظهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلىٰ مدتهم إن الله يحب المتقين﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وإن نكثوا أيمٰنهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقٰتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمٰن لهم لعلهم ينتهون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قٰتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتٰب حتىٰ يُعطوا الجزية عن يد وهم صٰغرون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثٰق. . .﴾[4].

وقال تعالى: ﴿. . . وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثٰق. . .﴾[5].

وقال تعالى: ﴿. . . وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثٰق والله بما تعملون بصير﴾[6].

وعن أنس بن مالك قال: «حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري»[7].

وجاء في السيرة النبوية لابن كثير: [وقال محمد بن إسحاق: كتب رسول الله، ﷺ، كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي الأمي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على رِبْعتهم - حالهم التي أتىٰ الإسلام وهم عليها - يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار، وأهل كل دار: بني ساعدة، وبني جشم، وبني النجار، وبني عمر بن عوف، وبني النبيت، إلى أن قال: وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرحا

---

(١) سورة التوبة آية ٤.
(٢) سورة التوبة اية ١٢.
(٣) سورة التوبة آية ٢٩.
(٤) سورة النساء آية ٩٠.
(٥) سورة النساء آية ٩٢.
(٦) سورة الأنفال آية ٧٢.
(٧) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود.

ـ المثقل بالدِّين كثير العيال ـ بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء [أ] وعقل، ولا يحالف مؤمن مولىٰ مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغىٰ منهم أو ابتغىٰ دسيعة ـ عظيمة ـ ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعهم، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كان غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبيء ـ يمنع ـ بعضهم بعضا، بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قَوَد به إلى أن يرضىٰ ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ ـ يهلك ـ إلا نفسه وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جُشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة، وجفنة، وبني الشطيبة، مثل ما ليهود بني عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ولا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه [فتك وبأهل بيته] إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم، وإنه لا تُجار حُرمة إلا بإذن أهلها.

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى

الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه، وأنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على أُناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلهم.

وإنه لا يَحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلَم أو أثم، وإن الله جار لمن برّ واتقى» كذا أورده ابن إسحاق بنحوه وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الغريب وغيره بما يطول][1].

وقد كان هذا العهد في السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة [وصالح رسول الله ﷺ قريشا يوم الحديبية على وضع الحرب على الناس عشر سنين][2].

وكان ذلك سنة ست من الهجرة النبوية الشريفة.

وصالح رسول الله ﷺ، ملك أيلة، وأهل جرباء، وأذرُح في تبوك.

[قال ابن إسحاق: ولما انتهى رسول الله ﷺ، إلى تبوك، أتاه يُحنّه بن رؤبة صاحب أيلة، وأتاه أهل جرباء، وأذرح، فأعطوه الجزية.

وكتب لهم رسول الله ﷺ، كتابا، فهو عندهم. . .][3].

وكان ذلك سنة تسع من الهجرة النبوية الشريفة.

«وعاهد رسول الله ﷺ، بني ضمرة، من قبائل العرب، وجاء في هذه المعاهدة: «هذا كتاب محمد رسول الله لبني ضمرة: بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصرة على من رامهم، إلا أن يحاربوا في دين الله، مايل بحر صوفه، وأن النبي إذا دعاهم إلى النصرة أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله، ولهم النصرة من برّ منهم واتقىٰ» .

«وعاهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أهل إيلياء ـ بيت المقدس ـ عهد أمان هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطىٰ عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٣ وذكرها البخاري وغيره .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٤ ص ٢٩ .

الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم، ولا من شيء، من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منها فإنه آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب أهل من إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان بها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء صار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان» .

وجاء [وتجوز مهادنة الكفار إذا رأى الإمام المصلحة فيها..][1].

شروط التعاهد مع الكفار:

التعاهد مع الكفار منوط بشروط شرعية لا يصح ولا يجوز إلا بها وهي:

١ـ أن لا يكون على حساب الدين:

بانتقاص أو حطٍ أو مساسٍ بسوءٍ في شأن الدين، أو بعضٍ منه، أو بالتخلي أو بالتنازل عن جزء منه أو تعطيله، أو بالتزام شروط أو بنود غير شرعية:

قال تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك...﴾[2].

[أي: واحذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور، فلا تغتر بهم...][3].

---

(١) كتاب العدة في شرح العمدة في المذهب الحنبلي ـ باب الجهاد.

(٢) سورة المائدة آية ٤٩.

(٣) تفسير ابن كثير لسورة المائدة.

Maktabatul 'ilmi

[وقيل: لما دعا كفار قريش رسول الله ﷺ، إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنه، فأنزل الله هذه السورة:

﴿قل يا أيها الكٰفرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عٰبدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عٰبدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين﴾[1].

وقال البخاري: [﴿لكم دينكم﴾ الكفر، ﴿ولي دين﴾ الإسلام][2].

إنها المفاصلة التامة، والمباعدة في شأن الدين، فلا مهادنة، ولا مداهنة، ولا أنصاف حلول، ولا أي تنازل أو أي تغاضٍ.

قال ﷺ: «المسلمون على شروطهم ما وافق الحق من ذلك»[3].

وقال: «كل شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل، وإن كان مائة شرط»[4].

وجاء في كتاب المغني لابن قدامة: [والمأخوذ في أحكام الذمة...

القسم الثاني: ما فيه غضاضة على المسلمين، وهو ذكر ربهم أو كتابهم أو دينهم أو رسولهم بسوء...][5] فهذا لا يصح.

أما قوله تعالى:

﴿من كفر بالله بعد إيمٰنه إلاّ مَنْ أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان...﴾[6].

فهذه تتعلق بمن أُكره على التلفظ بكلمة الكفر من أفراد المسلمين، أما أن يجري اتفاق بين إمام المسلمين أو نائبه وبين الكافرين باسم الدين وعلى حساب الدين، فلايصح أبدا.

وفي قول النبي ﷺ لعمه أبي طالب ما يبين ذلك بوضوح وجلاء:

«والله يا عم؛ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذ الأمر، حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»[7].

٢ـ أن يحقق وجهة نظر المسلمين:

كأن يكون لدفع ضرر: خشية هلاك، أو هزيمة، لضعف في قوة المسلمين،

---

(١) سورة «الكافرون».
(٢) تفسير ابن كثير «لسورة الكافرون».
(٣) رواه الحاكم ـ صحيح.
(٤) رواه البزار والطبراني.
(٥) كتاب المغني لابن قدامة المقدسي جزء ٨ ص ٥٣٢.
(٦) سورة النحل آية ٦.
(٧) السيرة النبوية لابن هشام جزء ١.

وقدرتهم على الحرب، أو يكون لجلب مصلحة؛ كرجاء إسلامهم، أو التفرغ لحرب أخرى، أو أمر أهم.

جاء: [لا بد من توافر المصلحة المشروعة في عقد الصلح، وإلا لم يجز العقد][1].

وجاء: [هادن النبي ﷺ صفوان بن أمية أربعة أشهر أيام الفتح، وقد كان رسول الله ﷺ، مستظهرا عليه، ولكنه فعل ذلك رجاء إسلامه، فأسلم قبل مضيها][2].

وقال تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾[3].

وقد روي عن عبد الرزاق في المغازي عن عمر عن الزّهري قال:

«أرسل رسول الله ﷺ، إلى عيينة بن محصن، وهو مع أبي سفيان يوم الأحزاب، أرأيت إن جعلت لك ثلث تمر الأنصار، أترجع بمن معك من غطفان، وتخذل بين الأحزاب؟ فأرسل عيينة: إن جعلت لي الشطر فعلت. فامعر.

فحدثني ابن أبي نجيح: أن سعد بن معاذ وسعد بن أبي عبادة قالا: يا رسول الله؛ والله لقد كان يجر سرمه في الجاهلية في عام السنة حول المدينة، ما يطيق أن يدخلها، فالآن حين جاء الله بالإسلام نعطيهم ذلك؟ فقال النبي ﷺ: فنعم إذن».

ولولا أن ذلك جاهز ما بذله النبي ﷺ.

وجاء: [وإذا رأى الإمام أن يصالح أهل الحرب، أو فريقا منهم، وكان في ذلك مصلحة أو دفع للمسلمين فلا بأس به لقوله تعالى:

﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله...﴾[4].

ووادع النبي ﷺ أهل مكة عام الحديبية على أن يضع الحرب عشر سنين][5].

وجاء في نفس الكتاب: [ولو حاصر العدو المسلمين، وطلبوا الموادعة على مال يدفعه المسلمون إليهم، لا يفعله الإمام لما فيه من إعطاء الدنية وإلحاق المذلة بأهل

---

(١) كتاب حاشية ابن عابدين جزء ٣ ص ٣١٢.

(٢) كتاب بداية المجتهد جزء ١ ص ٣٧٤.

(٣) سورة البقرة آية ١٩٥.

(٤) سورة الأنفال آية ٦١.

(٥) كتاب فتح القدير جزء ٤ ص ٢٩٣.

الإسلام، إلا إذا خاف الهلاك، لأن دفع الهلاك واجب بأي طريق يمكن، والدليل: في وقعة الخندق][1].

ولأن الضرورات الخمس التي جاء بها الدين لحفظها مرتبة بالأولوية: حفظ الدين ثم النفس ثم العِرْض (النسل) ثم العقل ثم المال.

وجاء: [فصل: وتجوز مهادنتهم على غير مال، لأن النبي ﷺ، هادنهم يوم الحديبية على غير مال، ويجوز ذلك على مال يأخذه منهم، فإنها إذا جازت على غير مال فعلى مال أولى، وأما إن صالحهم على مال فبذله لهم، فقد أطلق أحمد القول بالمنع منه، وهو مذهب الشافعي لأن فيه صغارا للمسلمين، وهو محمول على غير حال الضرورة، فأما إن دعت إليه الضرورة، وهو أن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز، لأنه يجوز للأسير فداء نفسه بالمال فكذا ههنا...

وروي أن الحارث بن عمرو الغطفاني بعث إلى النبي ﷺ فقال: «إن جعلت لي شطر ثمار المدينة وإلا ملأتها عليك خيلا ورجلا، فقال النبي ﷺ: حتى أشاور السعود - يعني سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن زراره، فشاورهم النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله؛ إن كان هذا أمراً من السماء فتسليم لأمر الله تعالى، وإن كان برأيك وهواك، اتبعنا رأيك وهواك، وإن لم يكن أمراً من السماء، ولا برأيك وهواك، فوالله ما كنا نعطيهم في الجاهلية بسرة ولا تمرة إلا شراء أو قرى، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام؟ فقال النبي ﷺ لرسوله: أتسمع؟» فعرضه النبي ﷺ عليهم ليعلم ضعفهم من قوتهم، فلولا جوازه عند الضعف لما عرضه عليهم][2].

٣- أن يحدد بمدة معلومة معينة:

وذلك حتى لا يفضي إلى تعطيل أو ترك الجهاد بالكلية، سوى عقد الذمة الذي يشترط فيه:

التزام إعطاء الجزية كل عام، والتزام أحكام الإسلام.

قال تعالى: ﴿... فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم...﴾[3].

وصالح رسول الله ﷺ، قريشا في الحديبية على وقف القتال عشر سنين.

---

(١) كتاب فتح القدير جزء ٤ ص ٢٩٦.

(٢) كتاب المغني لابن قدامة المقدسي جزء ٨ ص ٤٤٠.

(٣) سورة التوبة آية ٤.

Maktabatul 'ilmi

وجاء: [ولا يجوز عقد الذمة المؤبدة إلا بشرطين:

أحدهما: أن يلتزموا إعطاء الجزية كل عام.

والثاني: إلتزام أحكام الإسلام: وهو قبول ما يحكم به عليهم، من أداء حق أو ترك محرم والدليل قوله تعالى:

﴿... حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صٰغرون﴾[1].

وقول النبي ﷺ في حديث بريدة:

«فادعهم إلى أداء الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم»[2].

٤ـ أن يكون بموافقة إمام المسلمين:

وهذا إذا كان التعاهد مع جملة الكفار، وليس ذلك لغيره، لأنه يتعلق بنظر الإمام وما يراه من مصالح أو مفاسد، ولأن تجويزه من غير الإمام يتضمن تعطيل الجهاد بالكلية، كما أن فيه افتياتا وتجوزا وتطاولا على الإمام، وهذا يتنافى مع وجوب السمع والطاعة والولاء والالتزام والانضباط له.

قال تعالى:

﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتىٰ يستئذنوه...﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾[5].

أما التعاهد مع آحاد، أو عدد قليل من الكفار، فيصح من آحاد المسلمين، بغير إذن الإمام بشرط: أن لا يتعطل الجهاد بناحية، وأن لا يكون الكافر مخادعا متآمرا على الإسلام والمسلمين، وذلك بقرينة من القرائن.

جاء في كتاب العدة شرح العمدة في باب الأمان ما ملخصه:

---

(١) سورة التوبة آية ٢٩.

(٢) كتاب المغني لابن قدامة المقدسي جزء ٨ ص ٤٠٠.

(٣) سورة النساء اية ٥٩.

(٤) سورة النور آية ٦٢.

(٥) سورة الحجرات آية ١.

[ومن قال لحربي: قد أجرتك، أو أمنتك، أو لا بأس عليك، ونحو هذا فقد أمنه، وذلك أن من أُعطي الأمان حرم قتله وماله والتعرض له. . . لقوله تعالى:

﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتىٰ يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾[1].

وقال عليه السلام لأم هانىء وذلك حين أجارت رجلا، فأراد عليّ بن أبي طالب قتله: «وقد أجرنا من أجرت يا أم هانىء»[2] رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

وروي: «أن عمر رضي الله عنه، قال لهرمزان: لا بأس عليك تكلم، فلما تكلّم أمر عمر بقتله، فقال أنس: ليس لك إلى ذلك سبيل، قد أمنته، فدرأ عنه القتل»[3] رواه سعيد وغيره.

مسألة: ويصح الأمان من كل مسلم عاقل مختار حرا كان أو عبدا رجلا كان أو امرأة وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد إلا بإذن.

وقال ﷺ: «ذمة المسلمين واحدة يسعىٰ بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»[4]. رواه البخاري.

وقال عمر: «العبد المسلم رجل من المسلمين ذمته ذمتهم» رواه سعيد.

ولقول رسول الله ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»

مسألة: ويصح أمان آحاد الرعية للجماعة اليسيرة ـ لما روي فضيل بن زيد الرقاشي قال: «جهز عمر بن الخطاب جيشا، فكنت فيهم، فحضرنا موضعا، فرأينا أنا سنفتحها اليوم، فجعلنا نقبل ونروح، فبقي عبد منا، فراطنهم وراطنوه، فكتب لهم الأمان في صحيفة، وشدها على سهم، ورمى بها إليهم، فأخذوها وخرجوا، فكتب بذلك عمر، فقال: العبد المسلم رجل من المسلمين، ذمته ذمتهم»[5].

فإذا صح من العبد فالحر أولى ـ ويصح أمان الإمام لجميع الكفار، ومن دخل

---

(١) سورة التوبة آية ٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٣) رواه سعيد وغيره.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه سعيد.

بأمانهم فقد أمنهم من نفسه ـ لأنهم إنما أعطوه الأمان مشروطا بأمنه إياهم من نفسه وترك خيانتهم.

قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم».

وإن خلوا أسيرا منا بشرط أن يبعث إليهم مالاً معلوماً لزمه الوفاء لهم به، لأن الله تعالى قال: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عٰهدتم...﴾[1].

ولأن النبي ﷺ: «صالح أهل الحديبية على رد ما جاءه، فوفّى لهم وقال: إنا لا يصح في ديننا الغدر».

مسألة: فإن شرطوا عليه ـ أي الأمير ـ أن يعود إليهم، إن عجز لزمه الوفاء لهم إلا أن تكون امرأة فلا ترجع إليهم؛ لأن النبي ﷺ عاهد أهل الحديبية على رد من جاء مسلما، فرد أبا جندل وأبا بصير وقال: «إنا لا يصلح في ديننا الغدر».

«وقد منع الله ورسوله رد النساء إلى كفار قريش بعد صلحه على ردهن في قصة الحديبية وهي مشهورة» رواه أبو داود وغيره وفيها: «... فجاء نسوة مؤمنات، فنهاهم الله أن يردوهن بقوله: ﴿... فلا ترجعوهن إلى الكفار...﴾»[2][3].

ـ وجوب الوفاء بما اشتُرِطَ عليه من بنود، والالتزام بها من قبل الطرفين... لكن إذا خيف نقض العهد منهم بقرائن وملامح جاز حل العقد بشرط الإنباذ على سواء، أي الإعلام بشكل يستوي فيه الطرفان في العلم بنقض العهد، بعدا عن الغدر والخيانة.

قال تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم فانبذ إليهم علىٰ سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾[4].

ويراجع في هذا الموضوع: ـ شروط الجهاد في سبيل الله ـ من هذا الكتاب.

وجاء في كتاب المغني لابن قدامة ما ملخصه: [وإذا مات الإمام أو عزل، أو ولّي غيره، فيما أبرمه الإمام الأول من عقود صحيحة بقيت سارية المفعول معمولا بها، وإن كانت فاسدة ردها إلى الصحة، لأن الخلفاء أقروا رأي عمر، ولم يجددوا عقد سواه...][5].

---

(١) سورة النحل آية ٩١.

(٢) سورة الممتحنة آية ١٠.

(٣) كتاب العدة شرح العمدة باب الأمان.

(٤) سورة الأنفال آية ٧٢.

(٥) كتاب المغني لابن قدامة جزء ٨ ص ٥٢٤.

Maktabatul 'ilmi

وجاء أيضا [فأما أهل الذمة إذا نقضوا العهد، حلت دماؤهم وأموالهم وسبي ذراريهم، لأن النبي ﷺ قتل رجال بني قريظة، وسبىٰ ذراريهم، وأخذ أموالهم حين نقضوا عهده، ولما هادن قريشاً فنقضت عهده حل له منهم ما حرم عليه منهم.

قال تعالى: ﴿وإن نكثوا أيمٰنهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقٰتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمن لعلهم ينتهون﴾[1]][2].

٦ـ ولا يستعان بكافر على كافر، أو استئجاره للقتال مع المسلمين إلا لضرورة ماسة وحاجة ملحة، لأن الأصل وجوب اكتفاء المسلمين بذاتهم، ولزوم استغنائهم عن الكافرين، وهذا من فروض الكفاية، لكن إذا دعت الضرورة جاز أو وجب على قدر الضرورة التي يقدرها الأمير باجتهاده، وله أن يرفض العون إذا عرض عليه أو يوافق، وله أن يطلب العون أو يستأجر منهم للقتال مع المسلمين، ويعطي للمستأجر من الكفار أجرة المستأجر عليه، واختلف الفقهاء في الإسهام له.

وقد رفض النبي ﷺ، الاستعانة بالكفار في بدر وفي أُحد، وقد عرضت عليه.

وقال ﷺ: «إنا لا نستعين بمشرك»[3].

وقال ﷺ: «إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»[4].

وقبل النبي ﷺ، الاستعانة بالكفار في فتح الطائف وفي خيبر.

فعن ابن عباس قال: «استعان رسول الله ﷺ، بيهود بني قينقاع فرضخ لهم ولم يسهم»[5].

وعن محيصة قال: «خرج رسول الله ﷺ بعشرة من يهود المدينة غزا بهم أهل خيبر، وأسهم لهم كسهام المسلمين، ويقال: أحذاهم ولم يسهم لهم»[6].

وعن الزهري: «أن رسول الله ﷺ، استعان بناس من اليهود في حربه، فأسهم لهم»[7].

---

(١) سورة التوبة آية ١٢.

(٢) كتاب المغني لابن قدامة المقدسي جزء ٨ ص ٤٥٩.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة ـ صحيح.

(٤) رواه أحمد والبخاري في تاريخه.

(٥) رواه أبو يوسف وتفرد به ابن عمارة.

(٦) رواه الواقدي.

(٧) رواه سعيد في سننه.

وعن الزهري: «أن صفوان بن أُمية خرج مع النبي ﷺ، يوم خيبر، وهو على شركه، فأسهم له، وأعطاه من سهم المؤلفة»[1].

وعن الزهري قال: «أسهم رسول الله ﷺ، لقوم من اليهود قاتلوا معه»[2].

وقال الشافعي رحمه الله: [رده ﷺ المشرك والمشركين كان في غزوة بدر، ثم إنه ﷺ، استعان في غزوة خيبر بيهود من بني قينقاع، واستعان في غزوة حنين سنة ثمان بصفوان بن أُمية وهو مشرك.

فالرد: إن كان لأجل مخير بين أن يستعين به أو يرده، ـ كما له رد المسلم المعنى يخافه ـ فليس واحد من الحديثين مخالفاً للآخر.

وإن كان لأنه مشرك فقد نسخه ما بعده.

ولا بأس أن يستعان بالمشركين على قتال المشركين، إذا خرجوا طوعا، ويرضخ لهم، ولا يسهم لهم، ولا يكون لهم راية تخصهم، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه أسهم لهم، ولعل رده من رده في غزوة بدر رجاء أن يسلم][3].

ملاحظة: لا يعني التعاهد مع الكفار، الأمان من غدرهم ومكرهم وخداعهم، وكيدهم، وتعطيل وسائل الأمن والحيطة والحذر، لأنهم قد يتخذوه وسيلة من وسائل الكيد والغدر.

كما جاء في كتاب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها: [ولا تدفعن صلحا دعا إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك، وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر، من عدوك بعد صلحه، فإن العدو، ربما قارب لينتفل][4].

أي: تقرب منه بالصلح ليترقب منك غفلة يتوسل بها إلى الغدر بك.

هذا، ومن الأفضل كتابة العهد، والاشهاد عليه، كما فعل رسول الله ﷺ في صلح الحديبية؛ حيث أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين، وذلك حتى لا يتطرق إلى بنوده النسيان أو التغيير أو التحريف، وليرجع إليه كلما دعت الحاجة.

هذا مع اعتبار العهد نافذ المفعول من تاريخ الاتفاق عليه حتى تاريخ انقضاء مدته.

---

(١) رواه الزهري.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) الشافعي في كتاب الأم.
(٤) كتاب نهج البلاغة جزء ٢ ص ١٤٠.

قال الرافعي من أئمة الشافعية: [ينبغي للإمام إذا هادن أن يكتب عقد الهدنة في كتاب، ويشهد عليه، ليعمل به بعده، ولا بأس أن يقول فيه: «لكم ذمة الله وذمة رسوله»][1].

(١) كتاب شرح الحاوي جزء ٤ ص ٣٤ .

الأمن الجهادي

معنى الأمن الجهادي:

الأمن لغة: [من الأمان، والأمنة بمعنى، ضد الخوف، وأمِنَ، أمْنا، وأمانا، وأمانة، وأَمَنا، وإمْنا، وأَمَنَةً: اطمأن ولم يخف فهو آمنٌ، وأمِنٌ، وأمين، يقال: لك الأمان: أي قد آمنتك، وأمِنَ البلد: اطمأن فيه أهله، وأمِنَ الشر ومنه: سلم، وأمِن فلاناً على كذا: وثق به وأطمأن إليه، أو جعله أمينا عليه وفي التنزيل:

﴿قال هل ءامَنُكم عليه إلا كما أمِنتُكم علىٰ أخيه من قبل. . .﴾ [1][2].

والمقصود بالأمن الجهادي هنا: هو السلامة والوقاية من الوقوع في كيد العدو ومكره، وحبائله ومؤامراته، وخداعه ومفاجآته، والأمن بهذا المعنى له أهميته الكبرى، وحجمه الثقيل، في سلامة الدول والأمم من أخطار أعدائها، كما له دوره الفعال في انتصار الجيوش وانهزامها، كذلك له شأنه العظيم في الحفاظ على أسرار الاختراعات والمبتكرات العلمية والصناعية وغيرها، التي تدر على مخترعها ومنجزها الأرباح الطائلة، وتخلع عليه صفات حضارية راقية.

وقد عرف الإنسان الأمن منذ القدم، وأخذ بأسبابه في سالف العصور والأزمان، ولم يغفل عنه في وقت من الأوقات، على توالي القرون والأحقاب.

وذلك حفاظا على حياته ووجوده، وصيانة لراحته وسلامته، ليعيش آمنا مطمئنا، قرير العين هادىء البال، في ظلال الأمن ورحاب السلام.

وفي العصر الحاضر أصبح موضوع الأمن هاما أكثر من أي وقت مضىٰ، وتطورت

---

(١) سورة يوسف اية ٦٤ .

(٢) مختار الصحاح والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .

وسائله، وتعددت طرقه، حيث صار له الدور الأكبر في استتباب الأمن واستقرار الأوضاع في الدول والبلدان، وفي جميع المجالات: السياسية والعسكرية والاقتصادية. . . وغيرها، وأنشئت له كليات ومدارس، ويقوم عليها متخصصون في تعليمه والتدريب عليه، كما ألفت فيه الكتب، ورسمت له المناهج. . . كذلك شكل له جهاز خاص في كل دولة له مكاتبه ودوائره، وموظفوه ومتخصصوه، ويعتبر جهازه من أهم أجهزة الدولة.

وقد أعار الإسلام هذا الموضوع جانب الاهتمام، فبين أهميته وخطورته، وأمر بالأخذ بأسبابه ومسبباته، وبأسسه وقواعده، كما سنبينه فيما يلي:

أسس الأمن الجهادي:

للأمن الجهادي أسس وقواعد وأصول يقوم عليها، من أهمها:

١ـ معرفة العدو وأسراره؛ وذلك بالتعرف على أهدافه ومراميه ووسائله وإمكاناته. . .

وإعداد وسائل الأمن للوقاية من مخاطره ومخاوفه، إذ بقدر ما يعرف العدو وما ينطوي عليه ويخفيه، وبقدر ما يؤخذ من أسباب الأمن والوقاية والحماية يتقىٰ شره، ويجتنب ضره، ويحقق الأمن والسلام والهدوء والاستقرار.

ولقد كان رسول الله ﷺ يحرص على التعرف على أعدائه، فتجده يستطلع أخبارهم، ويتابع أنباءهم، ويتقصى أحوالهم، ويستعد لمجابهتهم بكافة الاستعدادات الممكنة، فكان رسول الله ﷺ، تارة يستطلع أخبار عدوه بنفسه، وتارة يرسل من يستطلع، وتارة يأتيه بها أصحابه، باعتبار أن كل مسلم مكلف بالحفاظ على أمنه واستقراره وسلامة دينه وأمته ودولته.

جاء في السيرة النبوية لابن كثير في غزوة بدر الكبرى:

[. . . ثم ارتحل رسول الله ﷺ، من ذفران، فسلك على ثنايا يقال لها: الأصافر، ثم انحط منها إلى بلد يقال لها: الدابة، وترك الحنان بيمين، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريبا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه.

قال ابن هشام: هو أبو بكر.

قال ابن إسحاق: كما حدثني محمد بن يحيى بن حيّان، حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم؟

فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أوذاك بذاك؟ قال: «نعم» قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ المكان الذي به قريش ـ فلما فرغ من خبره قال: مّمن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء» ثم انصرف عنه، قال: يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمِنْ ماء العراق؟ قال ابن هشام: يقال لهذا الشيخ: سفيان الضمري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ، إلى أصحابه، فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر.

كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير؛ فأصابوا راوية لقريش، فيها أسْلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالوا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء.

فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما أذلقوهما ـ آذوهما ـ قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما.

وركع رسول الله ﷺ، وسجد سجدته وسلم، وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا ـ والله ـ؛ إنهما لقريش، أخبراني عن قريش؟ قالا: هم ـ والله ـ وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب العَقَنْقَل.

فقال لهما رسول الله، ﷺ: «كم القوم؟» قالا: كثير، قال: «كم عدتهم؟» قالا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوما تسعاً ويوما عشرا، فقال رسول الله ﷺ: «القوم بين التسعمائة وألف» ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبدود.

قال: فأقبل رسول الله ﷺ، على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»

قال ابن إسحاق: وكان بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا

Maktabatul 'ilmi

بدرا، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شنًا لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر، وهما يتلازمان ـ أي يتقاضيان ـ على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غدا أو بعد غد، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقت، ثم خلّص بينهما، وسمع ذلك عديّ وبسبس فجلسا على بعيرهما، ثم انطلقا، حتى أتيا رسول الله ﷺ، وأخبراه بما سمعا. . .][1].

وجاء أيضا في نفس الكتاب في موضوع هجرة رسول الله ﷺ:

[قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ، أحد حين خرج إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر. . .][2].

وجاء أيضا: [قال ابن إسحاق: ثم عمدا إلى غار بثور ـ بأسفل مكة ـ فدخلاه.

وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر.

وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليها إذا أمسى في الغار.

فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ، وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر.

وكان عامر بن فهيرة، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم، يعفي، عليه][3].

وجاء أيضا في غزوة هوازن، يوم حنين:

[وقال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبي الله ﷺ، بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حَدْرد، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له، من حرب رسول

---

(١) كتاب السيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ من ص ٣٩٦ ـ ٣٩٨ .

(٢) كتاب السيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ ص ٢٣٤ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ ص ٢٣٥ .

الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل، حتى أتىٰ رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر][1].

وجاء أيضا في غزوة الخندق:

[قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جمعهم ـ بخدعة نُعَيْم بن مسعود بن عامر التي ذكرت ـ

دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلا.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله؛ أرأيتم رسول الله ﷺ، وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجتهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي؛ والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلىٰ رسول الله ﷺ هويًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟ فشرط له رسول الله ﷺ، الرَّجْعَةَ، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل، من شدة الخوف، وشدة الجوع والبرد، فلما لم يقم أحد، دعاني، فقال: يا أبا حذيفة؛ اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون، ولا تُحْدثن شيئا حتى تأتينا، قال فذهبت، فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقر لهم قدرا، ولا نارا، ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه.

قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال فلان بن فلان: ثم قال: يا معشر قريش؛ إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا القدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ؛ لا تُحدث شيئا حتى تأتيني لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، وهو قائم يصلي في مِرْط لبعض نسائه

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٣ ص ٦١٣ .

مُرَحِّل، فلما رآني أدخلني إلى رحليه وطرح عليّ طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم][1].

وجاء في غزوة بني المصطلق ما ملخصه: [أن رجلا من الأنصار اقتتل مع رجل من المهاجرين، فصرخ الأول: يا معشر الأنصار، وصرخ الثاني: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي سلول المنافق، وحاول إشعال نار الفتنة بين المهاجرين والأنصار، ومما قال: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وجعل يؤنب قومه على إيوائهم للمهاجرين، فسمعها زيد بن أرقم، وهو غلام حدث، فمشى بها إلى رسول الله ﷺ، وأخبره الخبر، ولما تحقق رسول الله ﷺ، من الخبر أسرع بالجيش عائدا إلى المدينة، وجنب الجيش نار الفتنة...] .

وهذا غيض من فيض، وقليل من كثير، مما جاء في سيرة الرسول، ﷺ، في حرص النبي ﷺ، على معرفة أسرار وأخبار أعدائه.

٢ـ كتمان الأسرار وعدم إباحتها أو التصريح بها أو التلميح إليها لأحد ليس من أهلها، حتى لا يتسرب إلى العدو منها شيء، لأن العدو قد يستفيد من أي خبر يتسرب إليه، أو لمحة تصل إليه، وذلك عن طريق التحليل والربط والاستنتاج... وغيرها

لذا ينبغي توعية أفراد الجيش والأمة بأهمية الكتمان، وبخطورة التحدث فيما بينهم أو فيما بين الناس حتى ولو كانوا من الأقرباء أو الأصدقاء، في الشؤون العسكرية وما يمت إليها بصلة.

كما ينبغي إعداد الأجهزة الكاملة والجيدة والكفيلة بتعطيل جميع وسائل استطلاع العدو: من عيون، وعملاء، ومراصد، وطائرات استطلاع، وأقمار استطلاع، وغيرها... ويجب ملاحظة هذه الأجهزة وتنشيطها حتى تكون عاملة بجد واستمرار.

وبقدر جهل العدو بحقيقة خصمه، وبأوضاعه، وأهدافه، وخططه، ووسائله، وإمكاناته، تفشل خططه وتخفق أهدافه، ويخسر المعركة وتنجح خطط خصمه وتحقق اهدافه ويربح المعركة.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير من ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

Maktabatul 'ilmi

ولقد كان رسول الله ﷺ ـ يحرص على كتمان المعلومات وعدم تسربها إلى العدو، وخاصة فيما يتعلق بالشؤون العسكرية والحربية.

فقد جاء في السيرة النبوية: [وكان رسول الله ﷺ، قل ما يخرج في غزوة إلا كنىٰ عنها، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد إليه، ليتأهب الناس لذلك أهبته، فأمرهم بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم . . .][1].

ولقد كان سبب نزول سورة الممتحنة، كما جاء في تفسير ابن كثير قصة حاطب بن أبي بلتعة: [وذلك أن حاطب بن أبي بلتعة كان رجلا من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضا، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفا لعثمان، فلما عزم رسول الله ﷺ، على فتح مكة ـ لما نقض أهلها العهد ـ فأمر النبي ﷺ، المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال: «اللهم عمّ عليهم خبرنا» فعمد حاطب هذا، فكتب كتابا، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ، استجابة لدعائه، فبعث في إثر المرأة، فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في الحديث المتفق على صحته:

«قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمه؛ أخبرني حسن بن محمد بن علي، أخبرني عبد الله بن أبي رافع، وقال مرة إن عبد الله بن أبي رافع أخبره: أنه سمع عليا رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله ﷺ، أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا: لتخرجنّ الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا رسول به الله، ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:

«يا حاطب، ما هذا؟ قال: لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان ممن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضى بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم» فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدرا،

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جزء ٤ ص ٥ في غزوة تبوك.

وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة عن سفيان بن عيينه به، وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأنزل الله السورة:

﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. . .﴾][1].

وقال ﷺ: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»[2].

وعن كعب بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ، إذا أراد غزوة ورّى بغيرها»[3].

وقال ﷺ: «الحرب خُدعة»[4].

وجاء في كتاب زاد المعاد: [فصل: في هديه ﷺ، فيمن جس عليه: «ثبت عنه أنه قتل جاسوسا من المشركين، وثبت عنه أنه لم يقتل حاطبا وقد جس عليه، واستأذن عمر في قتله، فقال: وما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فاستدل به من لا يرى قتل المسلم الجاسوس: كالشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة رحمهم الله، واستدل به من يرى قتله: كمالك وابن عقيل من أصحاب أحمد رحمه الله وغيرهما. قالوا: لأنه علل بعلة مانعة من القتل منتفية في غيره، ولو كان الإسلام مانعا من قتله لم يخصص بأخص منه، لأن الحكم إذا علل بالأعم، كان الأخص عديم التأثير، وهذا أقوى والله أعلم][5].

والمعلوم أن السر أمانة وعهد في ذمة المسلمَ، وإفشاؤه خيانة وغدر.

قال ﷺ: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[6].

وقد وصف الله المؤمنين بصفة الأمانة والوفاء بالعهد:

قال تعالى: ﴿والذين هم لأمنتهم وعهدهم راعون﴾[7].

وأمر بالوفاء بالعهد:

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة الممتحنة.

(٢) رواه العقيلي وابن عدي في الكامل، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي - ضعيف.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والطبراني - صحيح.

(٥) كتاب زاد المعاد لابن القيم جزء ٢ ص ٧٦.

(٦) رواه البخاري في التاريخ، وأبو داود والترمذي والحاكم والدارقطني والطبراني - صحيح.

(٧) سورة المعارج آية ٣٢.

قال تعالى: ﴿. . . وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾[1].

ووصف الله المنافقين، وأصحاب القلوب المريضة، بإفشاء الأسرار وإذاعتها، وبث الشائعات ونشرها:

قال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنفقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنُغْرِينّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطن إلا قليلا﴾[3].

وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذ وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[4].

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم»[5].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[6].

وقد قيل:

- سرك أسيرك، فإذا تكلمت به صرت أسيره.
- انفرد بسرك لا تودعْه حازما فيزل، ولا جاهلا فيخون.
- صدري أضيق بسري من غيري.
- قلوب الأحرار قبور الأسرار.
- الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار حمق.
- كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال.
- أملك الناس لنفسه أكتمهم لسره.

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٤.

(٢) سورة الأحزاب آية ٦٠. (٣) سورة النساء آية ٨٣.

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي - صحيح.

(٥) رواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان والطبراني - صحيح.

(٦) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي - صحيح.

Maktabatul 'ilmi

- من نام على عدوه نبهته المكايد.

- اجعل سرك في وعاء غير سرب.

وقال الشاعر:

إذا أفشى سره بلسانه ولام عليه فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السرُّ أضيق

٣- الحذر الشديد مع العدو وعدم الاطمئنان له، ولا الركون إليه، ولا الأمان لجانبه، حتىٰ ولو تلبس بلبوس الناصحين، أو تسربل بسربال الناسكين، وتظاهر بلين الجانب وخفض الجناح، أو تكلم بمعسول الكلام وحلاوة المقال، لأن من شأنه المكر والغدر، والخداع والاحتيال، وتربص الدوائر وانتهاز الفرص، وحبك الدسائس في الخفاء وفي جنح الظلام.

قال تعالى: ﴿ومن الناس مَنْ يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام * وإذا تولّىٰ سعىٰ في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا خذوا حِذْركم فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعا﴾[2]. أي احترزوا منه، وتيقظوا له - كما جاء في تفسير الجلالين.

وقال تعالى: ﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصٰرىٰ حتىٰ تتبع ملتهم قل إن هدىٰ الله هو الهدىٰ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾[3].

وقال تعالى: ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمّة يرضونكم بأفواههم وتأبىٰ قلوبهم وأكثرهم فٰسقون﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿ولا تركنوا إلىٰ الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾[5].

---

(١) سورة البقرة من آية ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) سورة النساء آية ٧١.

(٤) سورة التوبة آية ٨.

● ومعنى لا تركنوا: أي لا تميلوا بمودة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم كما جاء في تفسير الجلالين.

وقد شرعت صلاة الخوف لهذا الغرض:

قال تعالى: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلٰوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلٰوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرىٰ لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضىٰ أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حِذْركم إن الله أعد للكٰفرين عذاباً مهينا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿حٰفظوا علىٰ الصلوٰات والصلٰوة الوسطى وقوموا لله قٰنتين * فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون﴾[2].

[أي: إذا خفتم من عدو أو سيل أو سبع فصلوا مشاة أو راكبين، أي: كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويوميء بالركوع والسجود][3].

قال ابن عمر: «مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها»[4].

وقال: ما أراه «ذكره إلا عن النبي ﷺ»[5].

وقال الأصحاب: يصلون بحسب الإمكان وليس لهم تأخير الصلاة عن الوقت، ولا إعادة عليهم، ويغتفر فيها الأعمال الكثيرة كالضربات والطعنات المتوالية لحاجة القتال، ولا يعذر فيها الصياح لعدم الحاجة إليه، فإن عجزوا عن ركوع وسجود أومأوا للضرورة وجُعل الركوع أخف من السجود فان لم يمكن صلىٰ كيفما اتفق له.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته لأحد عماله في مصر وقد مرت آنفا: «... ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب لينتفل»[6].

---

(١) سورة النساء من آية ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) سورة البقرة من آية ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٣) تفسير الجلالين.

(٤) رواه مالك عن نافع.

(٥) رواه الشافعي بسنده.

(٦) كتاب نهج البلاغة جزء ٢ ص ١٤٠

٤ـ الاستعداد الدائم لمجابهة العدو ومقاتلته، بأن تكون القوات العسكرية بكافة أجهزتها وأسلحتها على أهبة الإستعداد في أي لحظة لمجابهة العدو ومقاتلته، حتىٰ لا تفاجأ القوات بهجمات مباغتة أو تحركات مفاجئة لا علم لها بها مسبقاً، والتي قد تحدث أضراراً جسيمة، أو هزيمة منكرة، أو إبادة شاملة . . .

هذا ومن الاستعداد الدائم تخويف وإرعاب وإرهاب العدو باستمرار، وكذلك تيئيسه وتقنيطه من أن يفكر في أن يشن هجمات مباغتة، أو يوجه ضربات مفاجئة، ليقينه بالفشل المحقق، وبأنه سيكال له الصاع بصاعين والضربة بضربتين . . .

وقد بين الله تعالى ورسوله ﷺ أهمية الاعداد والاستعداد:

قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تُنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تُظلمون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدّوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القٰعدين﴾[2].

وقال ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء من قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وحُلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد من قبلي، وأُعطيت الشفاعة. وكان النبي بعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس كافة»[3].

٥ـ الوعي الأمني المركز لدىٰ الأمة عامة، ولدى العسكريين خاصة بحيث يكون الجميع علىٰ نور وبصيرة وعلم في طرق الأمن ووسائل العدو في الحصول على المعلومات والأخبار والأسرار.

ويتحقق ذلك عن طريق:

● إدخال موضوع علم الأمن في المواد الدراسية، في المدارس العسكرية، والكليات الحربية.

---

(١) سورة الأنفال ايه ٦٠ .

(٢) سورة التوبة آية ٤٦ .

(٣) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح .

Maktabatul 'ilmi

● إجراء دورات تدريبية عملية في هذا الميدان تشمل كافة العناصر العسكرية وعلىٰ مستوى جميع الرتب على فترات؛ لاستذكار الماضي والاطلاع علىٰ ما استجد من علوم ووسائل وأجهزة.

● عقد ندوات وإلقاء محاضرات توعية، وكلمات توجيهية من قبل متخصصين وأهل خبرة ودراية في هذا الموضوع.

وبذلك تتعطل وتفشل جميع محاولات العدو ووسائله الاستطلاعية والاستكشافية والجاسوسية.

٦ـ تشكيل جهاز خاص بالأمن الجهادي له إدارته وهيئاته ووسائله وعامليه، والمتخصصون فيه وذلك من أجل:

● متابعة الأخبار وجمع المعلومات الأمنية وتسجيلها والاحتفاظ بها ودراستها من قبل المتخصصين للاستفادة منها عاجلاً أو آجلاً.

● مراقبة المشبوهين والمشكوك في أمرهم للتثبت والتحقق فيما جاء في حقهم لضبط المعلومات، وحتى لا يظلم أحد.

● ملاحقة الخونة والجواسيس والأجراء الذين يعملون لصالح الأعداء في جنح الظلام وفي الخفاء كالخفافيش.

● التوجيه والإرشاد الأمني للبحث عن الشائعات المغرضة والدعايات المفسدة التي قد يطلقها العدو وينشرها ويروج لها ليستفيد منها.

● ومحاربة الشائعات والدعايات وقطع دابرها وإطفاء شرارتها من البداية وذلك عن طريق البيانات أو النشرات أو الجرائد أو الكتب أو المجلات... وغيرها.

الحرب المعنوية «والنفسية»

تعريف الحرب المعنوية:

الحرب المعنوية هي محاربة العدو في معنوياته: قلبه ونفسه وعقله وروحه، ليشل مفعولها الإيجابي، ويحولها إلى قوىً هامدة محطمة، خاملة كسولة، يائسة قانطة، خائفة واجفة، جبانة منهزمة، وذلك بالوسائل التي من شأنها أن تحدث هذا التحول وهذا الانقلاب في المعنويات، وفي الجبهة الداخلية.

ولقد نوه القرآن الكريم، وكذلك السنة المطهرة، بمثل هذه الحرب:

قال تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتٰب من ديٰرهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتٰهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أُلي الأبصٰر﴾[1]

وقال تعالى: ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أرٰيكهم كثيرا لفشلتم ولتنٰزعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور * وإذا يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضيَ الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور *﴾[2].

وقال ﷺ في الحديث الذي مر آنفا:

«. . . . نصرت بالرعب مسيرة شهر . . .»[3].

أهمية الحرب المعنوية:

إذا كان لقوة الماديات: من كثرة مال وزاد، وسلاح وعتاد وجنود ورجال، دورها الكبير وأثرها الفعال في الحروب. . . بالمقابل، فإن لقوة المعنويات: شجاعة القلب والروح،

---

(١) سورة الحشر آية ٢ .

(٢) سورة الأنفال من آية ٤٣ ـ ٤٤ .

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي ـ صحيح .

وحماس العاطفة والوجدان، وإخلاص النية والضمير، ونبل الغاية والهدف، الدور الأكبر والأثر الأعمق، فعالية وإيجابية في هذا المجال.

وإذا كان للقنبلة قدرتها الكبيرة في تدمير مدينة بكاملها فوق رؤوس أهلها وسكانها، وتحويلها إلى خراب ودمار. . . فإن للكلمة الهادفة الواعية، والصرخة الصادقة المخلصة قدرتها الكبرىٰ في إحداث انقلاب شامل في الأمم والشعوب، في عالم الفكر والقلب والوجدان، وفي تحويل التيارات الهادرة إلى الخمود والتلاشي والزوال، فكم من كلمة أشعلت نار الحروب، وكم من كلمة أطفأتها، وكم من كلمة حولت الهزيمة إلى نصر، وكم من كلمة حولت النصر إلىٰ هزيمة.

وإذا كان من الضروري والبدهي محاربة العدو بشتىٰ الوسائل التي من شأنها إضعافه ودحره والقضاء عليه. . . إذن لا بد أن يحارب بهذه القوىٰ المعنوية إلىٰ جانب القوىٰ المادية.

فالحرب المعنوية من شأنها في المجاهدين:

- تقوية الصلة بالله، والاعتماد عليه، واليقين بإنجازه وعده بالنصر لمن نصره.
- تقوية الروح المعنوية في القلوب والنفوس.
- توثيق الروابط الأخوية.
- تهذيب النفوس وضبط الصفوف.
- تعميق الصلة المتبادلة بين الأفراد والقيادة.
- بعث روح الأمل والرجاء.
- شد الهمم وشحذها وتنشيطها ودفعها.
- إذكاء الحماس والعاطفة والشجاعة والاقدام.
- تحبيب الشهادة والموت في سبيل الله إلى القلوب.
- رفع مستوىٰ الإيمان والتقوىٰ.
- تنقية الصف من المعاصي والآثام والمخالفات إلى غير ذلك من الأهداف.

الحرب المعنوية في صف الأعداء:

- إضعاف الروح المعنوية في القلوب والنفوس.

Maktabatul 'ilmi

- تقطيع الأواصر، وفك الروابط بين الأفراد.
- خلخلة الصف وزلزلة الأوضاع.
- زرع بذور الخلاف والشقاق والنزاع والفتنة.
- نزع الثقة المتبادلة بين الأفراد والقيادة.
- إدخال اليأس والقنوط إلى النفوس، وقطع جذور الأمل فيها.
- تفشية دواعي الخمول والقعود والكسل والتواني.
- إلقاء الرعب والخوف والجبن والخور في القلوب والنفوس.
- تخويفهم من الحرب ومصائبها وأهوالها وعواقبها إلى غير ذلك من الأهداف.

ولقد حارب رسول الله ﷺ، أعداءه بهذا السلاح المعنوي إلى جانب السلاح المادي:

جاء في سيرة ابن هشام، في غزوة بدر الكبرى:

[قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أرأيت هنا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله: فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس، حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب، ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» فنهض رسول الله ﷺ، ومن معه من الناس، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية. . .][1] وهذا نوع من قطع الموارد عن العدو، لتثبيط هممهم عن القتال وإحداث الضجر في نفوسهم، والحيرة في أمرهم.

وجاء في سيرة ابن هشام، في غزوة الأحزاب.

[وأقام رسول الله ﷺ، في أصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم من فوقه، ومن أسفل منهم.

ثم إن نعيم بن مسعود أتى رسول الله، ﷺ، فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فَمُرْني بما شئت. فقال رسول ﷺ: إنما أنت فينا رجل

(١) سيرة ابن هشام في غزوة بدر الكبرى.

واحد، فخذّل عنا ـ أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا ـ إن استطعت فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود، حتىٰ أتىٰ بني قريظة، وكان لهم نديما في الجاهلية. فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودّي إياكم، وخاصة بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشا وغطفان، ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدروا على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كانوا غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم، حتى تأخذوا منهم رُهُنا من أشرافهم، يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا، حتى تناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي. ثم خرج، حتىٰ أتىٰ قريشا، فقال لأبي سفيان بن حرب، ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فاكتموا عني. فقالوا: نفعل. قال: اعلموا أن معشر يهود قد ندموا علىٰ ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا علىٰ ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان، رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك علىٰ من بقي منهم، حتىٰ نستأصلهم؟

فأرسل إليهم: أن نعم.

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُنا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتىٰ أتىٰ غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي، وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني. قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني. قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله، ﷺ، أن أرسل أبو سفيان بن حرب، ورؤوس غطفان إلى بني قريظة، عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال، حتىٰ نناجز محمدا، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم سبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم،

ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتىٰ تعطونا رُهُنا من رجالكم ويكونون بأيدينا ثقة لنا، حتىٰ نناجز محمدا، فإننا نخشىٰ إن ضرستكم الحرب ـ أي نالت منكم ـ واشتد عليكم القتال أن تنشمروا ـ أي تنقبضوا ـ وتسرعوا إلىٰ بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك فيه.

فلما رجعت إليهم الرسل، بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلىٰ بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك، انشمروا إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فارسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمدا حتىٰ تعطونا رُهُنا، فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد. فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح آنيتهم. . .][1].

وجاء أيضاً في فتح مكة ما ملخصه: [أن النبي ﷺ، حين نزل من الظهران، أمر جميع المسلمين، بإيقاد النيران في الليل لإيهام أهل مكة بأن عدد الجيش أكثر مما هو عليه بأضعاف مضاعفة وأن قوته لا تقهر ولا قبل لهم بها. . ولهذا حين رآها أبو سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرا، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون نيرانها وعسكرها. . . وسمعهما العباس فقال: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس، فقال: واصباح قريش والله، فما الحيلة فداك أبي وأمي؟

قال: قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب هذه البغلة حتىٰ آتي بك رسول الله ﷺ، فأستأمنه لك. . .][2].

وسائل الحرب المعنوية:

وللحرب المعنوية وسائل من أهمها:ـ

● إرسال من يجيد إثارة البلبلة والفتن، ويمهر في إيقاع الخلاف والعداوة بين صفوف

---

(١) سيرة ابن هشام في غزوة الخندق.

(٢) ملخص من سيرة ابن هشام وسيرة ابن كثير ـ في فتح مكة.

Maktabatul 'ilmi

الأعداء: أحزابهم وطوائفهم وقبائلهم وعشائرهم، وقادتهم وكتائبهم... من حيث لا يشعرون.

● بث الشائعات ونشر الدعايات التي من شأنها التخذيل والتيئيس وغير ذلك، وذلك عن طريق العيون ووسائل الإعلام الصوتية والمرئية والكتابية وغيرها...

● وضع السدود والعراقيل أمام موارد العدو: السلاحية والغذائية والصحية والأمنية... حتىٰ تتوقف وتتعطل بالكلية، كالحصار الاقتصادي والعسكري والاعلامي... وغيرها.

● الاستفادة من المسلمين المنتشرين في بقاع الأرض كلها، وفي أرض العدو ذاتها، وتجنيدهم في الحرب الاعلامية، وهذا يتطلب الإهتمام بهم، وتوثيق الصلات والروابط معهم قبل الحرب وأثناءها لأنهم جزء من جسم الأمة الإسلامية الذي إذا اشتكى منه عضو، تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿إن هذه أمتُكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون ۞﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون ۞﴾ (٢).

وقال ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ»(٣).

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

مواجهة الحرب المعنوية:

تواجه الحرب المعنوية بوسائل من أهمها:

● تنشيط الأمن الجهادي، وتوسيع مجالاته وساحاته، وهو أحد مواضيع هذا الكتاب، فليرجع إليه.

● متابعة وملاحظة ما يجري على الساحة بدقة وانتباه شديدين: من شائعات، ودعايات، وخلافات، ومشكلات، بشكل حثيث، ومعالجته العلاج الناجع السريع، قبل استفحاله واستعصائه.

● تعميق الثقة المتبادلة بين جميع المجاهدين أفراداً وقيادة.

---

(١) سورة الأنبياء اية ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون آية ٥٢.

(٣) رواه مسلم وأحمد ـ صحيح.

● استمرار الثقة بين القيادة والأفراد، وتجنب انقطاعها لأن انقطاعها يسبب الجفاء في القلوب، والغموض في الأمور مما يعكر الصفاء والنقاء.

● إعداد حاجات الحرب قبل اندلاعها، وتأمين مواردها أثناءها، ويحسب حساب استمرار الحرب زمنا أطول مما يتوقع...

● عدم اصطحاب الجبناء والخوارين ومن يشك في ولائهم وتعاطفهم، بل ينبغي مراقبة تحركاهم وتصرفاتهم، لأن العدو غالبا ما يأتي من قبل هؤلاء، لأنه يجد فيهم أرضا خصبة ومناخا ملائما لتحقيق أغراضه عن طريقهم.

● التذكير بوعد الله للمؤمنين بالنصر إن هم نصروه، وأنه صادق الوعد، والتحذير من القنوط واليأس والقعود والوهن.

قال تعالى: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ولما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيمانا وتسليما﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قال ومن يقنط من رحمة الله إلا الضالون﴾[5].

● التذكير بفضل الجهاد وكرامة المجاهدين... وهذا أحد مواضيع هذا الكتاب فليرجع إليه.

● التذكير بحقيقة العدو، وأنه حقود لدود، ماكر مخادع كاذب دجال... يرجع إلى موضوع ـ الأمن الجهادي ـ في هذا الكتاب.

● التذكير بتقوى الله وطاعته والتحذير من معصيته وغضبه وسخطه وأن تقواه وطاعته من أكبر أسباب النصر وأن معصيته وغضبه وسخطه من أكبر أسباب الهزيمة.

قال تعالى: ﴿... ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب

---

(١) سورة الحج آية ٤٠.

(٢) سورة محمد آية ٧.

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٢.

(٥) سورة الحجر آية ٥٦.

ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بٰلِغُ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فلما ءاسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾[3] معنى آسفونا: أغضبونا.

وقال تعالى: ﴿. . . قد يعلمُ الله الذين يتسللون منكم لِواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلّهم الشيطٰن ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم﴾[5].

● التذكير بالإيمان بالقضاء والقدر والتحذير من التسخط والتضجر. . .

قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾[6].

وقال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[7].

● التذكير بإخلاص النية ووحدة الغاية في سبيل الله، والتحذير من الرياء والميل إلى الدنيا. . .

قال تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أريٰكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾[8].

---

(١) سورة الطلاق من آية ٢ ـ ٣ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٨ .

(٣) سورة الزخرف آية ٥٥ .

(٤) سورة النور آية ٦٣ .

(٥) سورة آل عمران آية ١٥٥

(٦) سورة الحج آية ١١ .

(٧) سورة القمر اية ٤٩ .

(٨) سورة آل عمران آية ١٥٢ .

Maktabatul 'ilmi

حصائل الجهاد في سَبيل الله

المقصود بكلمة حصائل: [ما حصل من الأموال وغيرها ومفردها: حصيل وحضيلة][1].

وحصائل الجهاد: ما حصل من الأموال وغيرها عن طريق الجهاد في سبيل الله.

وهي أنواع من أهمها ستة وهي:

١ـ الغنيمة.

٢ـ النفل.

٣ـ الأسرى.

٤ـ الجزية.

٥ـ الفيء.

٦ـ الخراج.

وإليك بيانها بإيجاز:

١ـ الغنيمة:

تعريف:

الغنيمة لغة: مأخوذة من الغنم وهو الربح، ويقال: غنمه الله فاغتنم، والغنيمة والمغنم بمعنى، وجمعها: غنائم ومغانم][2].

واصطلاحها: هي المال الحاصل للمسلمين من كفار أهل الحرب بقتال وإيجاف

---

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية.

(٢) مختار الصحاح للرازي ـ ولسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية.

خيل أو إبل ـ أي إعمالها وإسراعها ـ ومثلها البغال والحمير والدبابات والسفن وغيرها من عدد الحرب.

وخرج بأهل الحرب المال الحاصل من المرتدين فإنه فيء لا غنيمة يرد إلى بيت مال المسلمين.

ـ أو هي: ما أخذ من أموال أهل الحرب قهرا بقتال، والأصل في الغنيمة قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنَّ لله خُمُسَه وللرسول ولذي القربىٰ واليتَامىٰ والمساكين وابن السبيل. . .﴾ (١).

وإباحة الغنائم من خصائص أمة محمد ﷺ، إذ لم تكن مباحة للأمم السابقة، ولا لأبنائها.

قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة»(٢).

وقال ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء، فقال: لا يتبعني رجل قد امتلك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا رجل اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادتها، فغزا، فدنوا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاؤا برأس مثل رأس البقرة من الذهب، فوضعها فجاءت النار فأكلتها» ـ زاد في رواية: فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، وذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا ـ أي جعلها حلالا لا سحتا وقد ذكر في الحديث: «أنها تجمع في صعيد ثم تجعل فتأتي نار من السماء فتحرقها»(٣).

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١.

(٢) رواه البخاري ومسلم ـ صحيح.

(٣) الجامع الصحيح جزء ٢ ص١٣٦.

وتقسم الغنائم إلى خمسة أقسام:

ـ خمس منها يصرف لمذكورين في الآية المذكورة آنفا، وفيما يراه الإمام في صالح المسلمين.

ـ والأربعة الأخماس الباقية تقسم بين الغانمين ـ لمن شهد القتال ـ قاتل أو لم يقاتل.

لقول عمر، رضي الله عنه: «الغنيمة لمن شهد الوقعة»(١).

[واتفقوا كلهم أن للراجل سهما، وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له، وسهمان لفرسه، إلا أبا حنيفة قال: للفارس سهمان.

«وقد ثبت عن ابن عمر أن النبي ﷺ، أسهم للفارس ثلاثة أسهم: سهم له وسهمان لفرسه»(٢)](٣).

وهذه الأسهم الثلاثة فرض للفارس، سواء كان معه فرس واحد أو أكثر، وعلى قول آخر: لا يسهم لأكثر من فرسين...

لما روى الأوزاعي: «أن رسول الله ﷺ، كان يسهم للخيل، وكان لا يسهم للرجل فوق فرسين، وإن كان معه عشرة أفراس»(٤).

وعلى القول الآخر: «لأن النبي ﷺ لم يعط الزبير إلا لفرس واحد، وكان معه يوم خيبر أفراس»(٥).

والمرأة، والعبد، والمشرك، إذا حضروا بإذن الإمام يرضخ لهم، او يسهم لهم على خلاف بين الفقهاء، يرجع إليه في كتب الفقه لمن أراد التوسع.

٢ـ النَّفْل:

تعريف:

النَّفْل والنافلة، لغة: [الغنيمة والهبة والعطية والزيادة، ومنه نافلة الصلاة لكونها زيادة على الفرض. والجمع «الانفال» وتقول: نَفَّله تنفيلا: أي أعطاه نفلا: أي زيادة، والتَّنَفُّل: التطوع](٦).

والنفل اصطلاحا: ما خصه الإمام لبعض المجاهدين تحريضاً وتشجيعاً لهم على

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) كتاب العدة شرح العمدة للمقدسي.

(٥) رواه الأوزاعي.

(٦) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ـ ومختار الصحيح للرازي.

Maktabatul 'ilmi

القتال، أو على القيام بمهمة حربية، وسمي نفلا: لكونه زيادة على ما يسهم لهم من الغنيمة، والتنفيل هو تخصيص بعض الغزاة بالزيادة: كأن يقول قائد الجيش لأحد الجند أو لبعضهم: من قتل قتيلا، أو أصاب هدفا، أو دخل حصنا، فله كذا، فيعطيهم من الغنيمة بعد إخراج خمسها ما خصه لهم.

والأصل فيه قوله تعالى:

﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال. . .﴾ (١).

-قول الرسول ﷺ: «من قتل قتيلا فله سَلَبُه»(٢) «قالها يوم حنين، فقتل أبو طلحة وحده عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم»(٣).

وعن عوف بن مالك، أنه قال لخالد بن الوليد: أما علمت أن النبي، ﷺ، قضىٰ بالسَّلَب للقاتل؟ قال: بلىٰ»(٤).

ولقول حبيب بن مسلمة: «شهدت رسول الله ﷺ، نفل الربع في البداية، والثلث في الرجعة»(٥).

والسَّلَب لغة: الأخذ قهرا والاختلاس. واصطلاحا: أخذ ما يتعلق بقتيل كافر حربي، من ملبوس ومتاع ومركب وغيره.

وجاء: [أما النفل في اللغة: فعبارة عن الزيادة، ومنه سمي ولد الولد نافلة لأنه زيادة على الولد الصلبي، وسميت نوافل العبادات لكونها زيادة على الفرائض، وفي الشريعة: عبارة عما خصمه الامام لبعض الغزاة تحريضاً لهم على القتال. وسمي نفلاً لكونه زيادة علىٰ ما يسهم لهم من الغنيمة.

والتنفيل: هو تخصيص بعض الغزاة بالزيادة، نحو أن يقول الإمام: من أصاب شيئاً فله ربعه أو ثلثه، أو قال: من أصاب شيئاً فهو له. أو قال: من أخذ شيئاً، أو قال: من قتل قتيلاً فله سلبه، أو قال لسرية: ما أصبتم فلكم ربعه أو ثلثه، أو قال: فهو لكم. وذلك جائز، لأن التخصيص بذلك تحريض على القتال، وأنه أمر مشروع، ومندوب إليه:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين علىٰ القتال. . .﴾ (٦) إلا أنه لا ينبغي

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٥.
(٢) رواه البخاري ومسلم - صحيح.
(٣) رواه أحمد وأبو داود.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أحمد وأبو داود والحاكم - صحيح.
(٦) سورة الأنفال آية ٦٥.

للإمام أن ينفل بكل المأخوذ لأن التنفيل بكل المأخوذ قطع حق الغانمين عن النفل أصلا، ولكن مع هذا، لو رأى الإمام المصلحة في ذلك ففعله مع سرية جاز، لأن المصلحة قد تكون فيه في الجملة. ويجوز التنفيل في سائر الأموال، من الذهب والفضة والسلب وغير ذلك، لأن معنى التحريض على القتال يتحقق في الكل.

والسلب: هو ثياب المقتول، وسلاحه الذي معه، ودابته التي يركبها بسرجها وآلاتها، وما كان معه من مال في حقيبة على الدابة أو على وسطه. . .][1].

٣- الأسرى:

تعريف:

الأسرى لغة: جمع أسير ومأسور، من أَسَرَ يأسِر أَسْراً وإسارة وإسارا: شدة بالإسار، وهو القيد، وتجمع أيضاً على أُسارى وأَسارى وأُسَراء. كذلك كل محبوس أسير[2].

وشرعاً: هم الرجال المحاربون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء بعد الحرب، ويعتبرون من ضمن غنائم الحرب.

والأسر مشروع في الإسلام بدليل قوله تعالى: ﴿وخذوهم واحصروهم. . .﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿. . . حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق. . .﴾[4].

ويمكن تقسيم الأسرى إلى فئتين:

الفئة الأولى: وهم النساء والصبيان، ومن في حكمهم، كالمجانين: يسترقون، ويحرم قتلهم إلا أن يقاتلوا، ويسمون سبيا، وإن النبي ﷺ، نهى عن قتلهم.

فعن ابن عمر، رضي الله عنهما: أنه عليه الصلاة والسلام «مر في بعض غزواته، فوجد امرأة مقتولة، فأنكر ﷺ قتل النساء والصبيان»[5].

ولما روى ابن عباس، رضي الله عنهما: أن النبي، ﷺ: «مر بامرأة مقتولة يوم حنين. فقال من قتل هذه؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، غنمتها فأردفتها خلفي فلما رأت

---

(١) كتاب بدائع الصنائع: جزء ٩ كتاب السير.

(٢) لسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ومختار الصحاح للرازي.

(٣) سورة التوبة آية ٥.

(٤) سورة محمد آية ٤.

(٥) رواه البخاري ومسلم - صحيح.

الهزيمة فينا، أهوت إلى سيفي وإلى قائم سيفي لتقتلني، فلم ينكر عليه رسول الله، ﷺ».

والرق في النساء إن كن كتابيات، وإلا تقتل إن امتنعت عن الإسلام عند الشافعي.

ويقسم السبي كما يقسم المال المغنوم: خمس منها لله ولرسوله واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل.

والأربعة الأخماس الباقية للغانمين وغيرهم على ما يراه الإمام في المصلحة العامة.

والفئة الثانية: هم الرجال البالغون.

● أما المعجزة منهم: فقد اختلف الفقهاء في سبيهم وقتلهم: فالحنابلة قالوا: لا يحل سبيهم لأن قتلهم حرام ولا نفع باقتنائهم.

وقال مالك وأبو حنيفة: لا يقتل الأعمى ولا المعتوه ولا أصحاب الصوامع، ولا الشيخ الفاني.

لقول النبي ﷺ: «انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»[1].

وقال الشافعي: يقتلون جميعا لعموم قوله تعالى:

﴿... فاقتلوا المشركين...﴾[2].

ولقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[3].

● وأما الأسرى غير العجزة من الرجال البالغين، فالجمهور يرىٰ أن الإمام مخير بين القتل والمفاداة والمن والاسترقاق بما يراه في صالح المسلمين.

لقوله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتىٰ إذا أثخنتموهم فشدوا الوَثاق فإما منّا بعد وإما فداء حتىٰ تضع الحرب أوزارها...﴾[4].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) سورة التوبة آية ٥.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة ـ صحيح.

(٤) سورة محمد آية ٤.

Maktabatul 'ilmi

وجاء: [. . . وقد ثبت أن رسول الله، ﷺ: فادىٰ أُسارى بدر بمال، وفدىٰ رجلين من المسلمين برجل من عقيل، وفدىٰ ناساً من المسلمين بجارية منفولة، ومنّ يوم بدر علىٰ أبي العاص بن الربيع، ومنّ على أبي عزة الجمحي، وأسر ثمامة بن أثال ـ سيد بني حنيفة ـ فربطه بسارية المسجد، ثم أطلقه فأسلم، وقتل من الأسرى عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، لشدة عداوتهما لله ورسوله، وذكر الإمام أحمد عن ابن عباس قال: «كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال، فجعل رسول الله، ﷺ، فداءهم أن يعلموا أولادهم الأنصار الكتابة».

ويشترط لإباحة وطء السبايا، أن يكون بعد توزيع الغنائم، وإن كانت محصنة حتى تنقضي عدتها بالاستبراء، لقوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم. . .﴾ (١).

وكان ﷺ، يمنع التفريق في السبي، بين الوالدة وولدها، ويقول:

«من فرق بين والدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»

وكان يؤتى بالسبي، فيعطى أهل البيت جميعا، كراهية أن يفرق بينهم. . .](٢).

وقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الأسير وحسن معاملته.

يرجع في ذلك إلى موضوع آداب الجهاد في سبيل الله في هذا الكتاب.

٤ـ الجزية

تعريف:

الجزية لغة: [من جزى يجزي جزاء، أو جازى يجازي مجازاة: أي قضى وكافأ فأغنى وكفى، وجمعها: جِزىً](٣).

وشرعا: ما يلتزمه كافر بعقد مخصوص، أو ضريبة مالية تؤخذ من أهل الذمة نهاية الحول، أو هي ضرب من الخراج يضرب على الأشخاص لا على الأرض، وذلك مقابل تأمينهم وحمايتهم.

---

(١) سورة النساء آية ٢٤ .

(٢) من كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية جزء ٢ وكتاب الميسر لأحمد عيسى عاشور .

(٣) كتاب مختار الرازي، وكتاب بلغة السالك على مذهب الإمام مالك، وكتاب المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .

ومقدارها على خلاف بين الفقهاء، والأقرب والله أعلم موكول إلى رأي الإمام واجتهاده.

والذمة لغة: هي الأمان والضمان والعهد، وشرعا: إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الإسلام.

وأهل الذمة: هم الكفار المقيمون بديار الإسلام بعقد ذمة.

وتؤخذ الجزية: من الرجال البالغين العاقلين الأحرار، وفي إسقاطها عن الفقير والعاجز اختلاف الفقهاء، لذا يُعوَّل في هذا على رأي الإمام واجتهاده.

أما أهل الصلح: فيؤخذ منهم ما صالحوا عليه، وبإسلامهم تسقط عنهم، وعن أهل الذمة، لأنهم يصبحون كسائر المسلمين ومن جملتهم.

مصرف الجزية: وتصرف الجزية في مصالح المسلمين، حسب ما يراه الإمام.

حكم عقد الذمة وأخذ الجزية: يجوز عقد الذمة وأخذ الجزية من أهل الكتاب، بإجماع الفقهاء.

وأهل الكتاب هم: المنسوبون إلى دين سماوي، والمعروف منهم:

- اليهود: هم أتباع موسى عليه السلام.
- النصارى: هم أتباع عيسى عليه السلام.
- المجوس: لهم شبهة كتاب، لاختلاف الفقهاء في كونهم أهل كتاب.
- الصابئة: لهم شبهة كتاب، لاختلاف الفقهاء في كونهم أهل كتاب.

وأما المرتدون: فلا يجوز عقد الذمة معهم، ولا أخذ الجزية منهم، باتفاق العلماء، وذلك لأن حكمهم القتل إن لم يتوبوا ويجعلوا إلى دين الإسلام.

ويرجع في هذا إلى موضوع - جهاد المرتدين - في هذا الكتاب وإليك تفصيل المذاهب في ذلك.

[فعند الحنفية: تؤخذ الجزية من جميع الكفار، إلا مشركي العرب ومجوسهم، وهؤلاء لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف][1].

---

(١) كتاب بدائع الصنائع جزء ٩ كتاب السير.

[وعند المالكية: تقبل من جميع الكفار إلا المرتد. والجزية: مال يضربه الإمام على كافر كتابي، أو مشرك أو غيرهما ولو قرشياً. . .][1].

[وعند الشافعية: تقبل من أهل الكتاب، عرباً كانوا أو عجماً، بشرط ثبوت إيمانهم بكتاب قبل نزول القرآن، أما المشركون فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف][2].

[وعند الحنابلة: تؤخذ الجزية من أهل الكتاب: وهم اليهود، ومن دان بالتوراة، والنصارى ومن دان بالانجيل، والمجوس، إذا التزموا الجزية، وأحكام الملة، ولا يعقد لغير المجوس وأهل الكتابيْن: اليهود والنصارى على اختلاف طوائفهم][3].

والأصل في جواز عقد الذمة وأخذ الجزية:

قوله تعالى: ﴿قَتِلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتو الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صٰغرون﴾[4].

و «أخذ رسول الله ﷺ، الجزية من مجوس هجر، وقال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[5].

و «أخذها ﷺ، من أهل نجران»[6].

وروي أن المغيرة بن شعبة قال لعامل كسرى: «أمرنا نبينا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية»[7].

شروط عقد الذمة: وليعلم أنه يشترط في صحة عقد الذمة أن يكون من الإمام أو نائبه لأنه من المصالح الكبيرة، ولأنه عقد مؤبد يترتب عليه حماية الأعداء، وعدم قتالهم، أو التعرض لهم بأي أذى.

كما يشترط أن يقروا بدفع الجزية والتزام أحكام الإسلام، وأن لا يذكروا دين الإسلام إلا بخير، وأن لا يفعلوا ما فيه ضرر المسلمين، كالتجسس والتآمر والكيد خفاء أو علانية ضد المسلمين. . وهناك شروط أخرى.

---

(١) كتاب بلغة السالك لاقرب المسالك جزء ٢ باب الجهاد: فصل الجزية .

(٢) كتاب الأم جزء ٤ ـ الأصل فيمن تؤخذ الجزية منهم وفيمن لا تؤخذ.

(٣) كتاب الروض المربع جزء ٢ باب عقد الذمة .

(٤) سورة التوبة آية ٢٩ .

(٥) رواه البخاري .

(٦) رواه أبو داود .

(٧) رواه أحمد والبخاري .

Maktabatul 'ilmi

وذلك مقابل إقرار الإمام لهم بالإقامة بدار الإسلام، وحمايتهم من الاعتداء والظلم والأذى. . . ويمكن التوسع في هذا الموضوع بالرجوع إلى كتب الفقه.

٥ـ الفيء

تعريف:

الفيء لغة: [من أفاء يُفيء وفَيْئا، وأفاء الأمر: رجعه، وأفاء عليه الخير: جلبه له، والفيء الظل والخراج والغنيمة تنال بلا قتال، وجمع فيء أفياء وفُيوء][1].

وشرعا: كل ما أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كالمال الذي تركوه خوفا من المسلمين وهربوا، ومال الجزية، ومال الهدنة والخراج، وكالمال الذي يموت عنه من لا وارث له من أهل الذمة وغيرهم، ومال المرتد عن الاسلام إذا قتل أو مات. . . والأصل فيه:

قوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[2].

والجمهور على أنه لا يخمس، ويصرف كله في مصالح المسلمين، حسب ما يراه الإمام، إلا الشافعية قالوا: [يخمس، ويصرف خمسة إلى الأصناف الذين تقدم ذكرهم في الغنيمة وفي الآية الكريمة، وأما الأربعة الأخماس الباقية فكانت للنبي ﷺ في حياته مع خمس الخمس من الغنيمة، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يستحقها، لإرهابه العدو، وأما بعده ﷺ، فتصرف للمرتزقة من الأجناد الذين عينهم الإمام للجهاد، وأثبت أسماءهم في الديوان. . . ثم الفاضل بعد ذلك يصرف على مصالح المسلمين من إصلاح الحصون والثغور وشراء الأسلحة ونحو ذلك][3].

---

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ومختار الصحاح.

(٢) سورة الحشر من آية ٦ ـ ٧.

(٣) كتاب الفقه الميسر ـ لأحمد عاشور.

٦ـ الخراج

تعريف:

الخَرَاج والخَرْج لغة: [من أخرج: أدى خراجه، وأخرج الأرض: قومها وجعل عليها خراجا، والخراج: ما يخرج من غلة الأرض، ومعناها أيضاً: الإتاوة، وجمعها: أخراج وأخرجه، وجمع الجمع: أخاريج، وهو أيضاً ضد الدَّخل، والبلاد الخراجية: التي افتتحت صلحا، ووظف ما صولح عليه أهلها على أراضيهم][1].

وشرعاً: الخراج: هو ما يضرب على الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة.

وللإمام الخيار بالتصرف بها في ثلاثة أوجه:

١ـ ترك الأراضي لأصحابها وأخذ خراج سنوي عنها ـ العشور ـ كما فعل رسول الله ﷺ عند فتح مكة؛ إذا أقر أهلها على أراضيهم بقوله المشهور: «لا تثريب عليكم اليوم» ولم يعرض لأموالهم وأنفسهم وصارت أرضهم أرض عشر.

٢ـ تقسيمها وتوزيعها على الغانمين كتوزيع سائر الغنائم: خمس منها يصرفه الإمام في مصالح المسلمين، والأربعة الأخماس الباقية توزع على الغانمين، وهو ما فعله النبي ﷺ، بأهل خيبر؛ إذ جعل أرضها أرض غنيمة للفاتحين.

٣ـ وقفها للمسلمين: لكن أمرها بيد الخليفة، حيث يبقى أهلها عليها، ويضرب خراجاً سنوياً على من هي تحت يديه من المسلمين أو الذميين، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيما فتحه من أرض الشام والعراق ومصر.

● أما الأراضي التي يُسْلم أهلُها عليها فتبقى لهم أرضهم ملك أيمانهم، ويدفعون العشور مثل سائر المسلمين كالمدينة، والطائف، واليمن، والبحرين.

● أما الأراضي التي تصالح أهلها مع المسلمين، على أن ينزلوا على حكم الإسلام مع عدم دخولهم في الإسلام، فتبقى لهم أراضيهم، ويدفعون الخراج المصالح عليه ـ فهم أهل ذمة وأرضهم أرض خراج ـ وفي ذلك قول النبي ﷺ: «لعلكم تقاتلون قوما، فيتبعونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم، ويصالحونكم على صلح، فلا تأخذوا منهم فوق ذلك فإنه لا يحل».

---

(١) مختار الصحاح للرازي، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربيه.

تقسيم الديار في الإسلام

● إن الأرضين والسمٰوات وما بينهن كل ذلك لله منه وإليه.

قال تعالى: ﴿. . . ولله ملك السمٰوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾[1].

قال تعالى: ﴿. . . ولله ميراث السمٰوات والأرض والله بما تعملون خبير﴾[2].

● والله تعالى يورث أرضه، ويستخلف فيها من يشاء من عباده.

قال تعالى: ﴿. . . إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[3].

وقال تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلٰئف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما ءاتٰكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾[4].

● ولقد كرم الله بني آدم، باستخلافهم في الأرض، وتكليفهم بتوحيده وتمجيده وطاعته وتنفيذ شرعه، وجعل أكرمهم عنده أتقاهم له.

قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملٰئكة إني جاعل في الأرض خليفة. . .﴾[5].

[ومعنى خليفة: أي يخلفني في تنفيذ أحكامي، وهو آدم عليه السلام][6].

وقال تعالى: ﴿. . . هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها. . .﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[8].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقنٰكم من ذكر وأنثى وجعلنٰكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقٰكم إن الله عليم خبير﴾[9].

---

(١) سورة المائدة آية ١٨ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٨٠ .
(٣) سورة الأعراف اية ١٢٨
(٤) سورة الأنعام آية ١٦٥ .
(٥) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٦) تفسير الجلالين لسورة البقرة .
(٧) سورة هود آية ٦١ .
(٨) سورة الذاريات آية ٦٠ .
(٩) سورة الحجرات آية ١٣ .

Maktabatul 'ilmi

● إذن فالأصل في الأرض كما أنها كانت دار واحدة للأسرة البشرية الواحدة المتصفة بإيمانها وتقواها والتزامها تنفيذ أحكام الله

قال تعالى: ﴿وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصٰلحٰت ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم. . .﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصّالحون*﴾(٢).

لكن لما خرج فريق منهم عن أسرة الإيمان بخروجه عن الإيمان وعدم التزامه تنفيذ شرع الله انقسمت الأرض بانقسام الأسرة البشرية إلى دارين.

١ـ دار يسكنها المؤمنون يقيمون فيها حكم الله.

٢ـ دار يسكنها الكافرون لا يقيمون فيها حكم الله.

● ولما كان الإيمان والكفر في عداء وحرب مستمرين، وكانت هذه الحرب مع الكفار ـ باستثناء الذميين والمعاهدين ـ في نظر الإسلام فرضا كفائيا على المسلمين في كل عام مرة على الأقل بإجماع الأئمة والمجتهدين، حتى تعود الأرض كلها دار إسلام كما كانت أمرها لذا سميت دار الكفر دار الحرب وعرفت: بأنها الدار التي لم تخضع لسلطان الاسلام والمسلمين، ولم تطبق فيها أحكام الاسلام.

ولا يؤخذ هذا التعريف على إطلاقه، لأن بعض الفقهاء شرطوا لذلك شروطاً سنبينها فيما بعد.

وقد تسمى دار الحرب بأسماء أُخرى، كما سماها بعض الفقهاء مثل: دار الشرك، ودار الكفر، ودار الظلم ودار الفسق. .

قال تعالى آمرا المسلمين بحرب الكفار وقتالهم:

﴿وقٰتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. . .﴾ (٣).

وقال تعالى واصفا الكافرين باستمرار حربهم وقتالهم للمؤمنين:

﴿. . . ولا يزالون يُقٰتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطٰعوا. . .﴾ (٤).

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٥ .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٩ .

(٤) سورة البقرة آية ٢١٧ .

وقال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . . .﴾ [1].

● وقد سميت دار الإيمان بدار الإسلام باعتبار أن الإسلام هو خاتم الأديان قاطبة، ولا يقبل الله غيره بعده، ولا سعادة للبشر بغيره في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخٰسرين*﴾ [2].

وعرفت دار الاسلام: بأنها الدار التي خضعت لسلطان الإسلام والمسلمين، وطبقت فيها أحكام الإسلام.

وقد تسمى بأسماء أخرى، كما سماها بعض الفقهاء مثل:

دار التوحيد: لأن التوحيد أساس العقيدة فيها.

ودار العدل: لإجراء أحكام الاسلام فيها وأحكام الاسلام هي العدل ولأن خلافتها في الأرض هي الخلافة الشرعية للمسلمين.

● وبالتالي فإن كل دار تابعة في ولائها وحكمها وإدارتها لدار الإسلام فهي دار إسلام ولو كان سكانها كفارا، كما أن كل دار تابعة في ولائها وحكمها وإدارتها بصورة دائمة ومستمرة لدار الحرب فهي دار حرب، وإن كان سكانها مسلمين، وللفقهاء في ذلك بعض الشروط ستبين فيما بعد.

وهناك ديار أُخرى، في الاعتبار بدار الإسلام منها:

دار العهد: وهي دار حرب ملحقة بدار الإسلام ما دام العهد قائما ومستمرا، وتعود دار حرب متى نقض العهد، أو انتهت مدته ولم يجدد، وهذا باتفاق الأئمة سوى الشافعي اعتبرها دار حرب.

دار البغي: وهي جزء من دار الإسلام تحصن بها البغاة: وهم جماعة من المسلمين، خرجوا على الإمام الشرعي بحجة تأولوها مبررة لخروجهم، وأقاموا عليها حاكما منهم، وصار لهم جيش ومنعة.

دار البدعة: وهي جزء من دار الإسلام سيطر عليها أهل البدعة وأظهروا فيها بدعتهم.

---

(١) سورة البقرة اية ١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

دار الردة: وهي جزء من دار الإسلام، ارتد أهلها عن الإسلام وسيطروا عليها، ولا تعتبر دار حرب إلا بتوفر شروطها عند بعض الفقهاء.

الدار المسلوبة: وهي التي كانت في الأصل دار إسلام ثم استولى عليها الكفار من خارج أرض الإسلام، ولا تعتبر دار حرب إلا بتوفر شروطها عند بعض الفقهاء.

وفي تقسيم الديار اختلاف الفقهاء:

فالحنفية: اعتبروا أن الأصل في الدنيا داران:

دار إسلام ودار حرب.

لذا لم يوجبوا إقامة الحدود على المسلم في دار الحرب، وحتى ولو ارتكب المسلم شيئا من الأسباب الموجبة للعقوبة في دار الحرب، فإنه لا يكون مستوجبا للعقوبة حتى ولو رجع إلى دار الإسلام، لأنه لم يقع الفعل الموجب للعقاب أصلا لعدم ولاية إمام المسلمين على دار الحرب.

أما إذا وقعت الجريمة بدار الإسلام، ثم هرب المجرم إلى دار الحرب، فلا يسقط عنه إقامة الحد لوقوع الفعل موجبا للعقاب، فلا يسقط بالهرب.

[قال محمد بن الحسن، تلميذ أبي حنيفة في السير الكبير: «وإذا دخل المسلم دار الحرب بأمان، فلا بأس من أن يأخذ منهم أموالهم بطيب نفس، بأي وجه كان، لأنه إنما أخذ المباح على وجه عارٍ عن الغدر فيكون ذلك طيبا منه»[1]][2].

بينما يرى أبو يوسف ـ تلميذ أبي حنيفة أيضا ـ وباقي أئمة المذاهب أن الأصل في الدنيا دار واحدة لذا أوجبوا إقامة الحدود على المسلم ولو في دار الحرب، وأن الحدود يجب إقامتها وتنفيذها أينما وقع سببها. سوى الحنابلة قالوا: لا ينفذ العقاب إلا في دار الإسلام.

[واستدل أبو يوسف ـ تلميذ أبي حنيفة ـ والجمهور بأن حرمة الربا ثابتة في حق المسلم والحربي، أما بالنسبة للمسلم، فظاهر لأن المسلم ملتزم بأحكام الاسلام، حيثما يكون، وأما بالنسبة للحربي، فلأنه مخاطب بالحرمات لقوله تعالى:

---

(١) كتاب بدائع الصنائع جزء ٥ ص ١٩٢.

(٢) كتاب التشريع.

﴿وأخذهم الربوا وقد نُهوا عنه . . .﴾ [1][2].

فعند الأحناف:

١ـ دار الإسلام: هي التي توفر فيها الأمن للمسلم لكونه مسلما دون حاجة إلى استئمان، ولا يتوفر فيها الأمن للكافر لكونه كافرا إلا باستئمان.

والمسلمون معصومون فيها باعتناقهم الإسلام، والذمّيّون معصومون فيها بالمعاهدة مع دار الإسلام، سواء أكان مؤقتا كالمهادنة، وكالإذن بدخول دار الإسلام. أو كان مؤبدا كعقد الذمة.

وتشمل دار الإسلام، البلاد التي تظهر فيها أحكام الإسلام[3] [4].

٢ـ ودار الحرب عكس دار الإسلام: هي التي توفر فيها الأمن للكافر لكونه كافرا دون حاجة إلى استئمان، ولا يتوفر فيها الأمن للمسلم لكونه مسلما إلا باستئمان، وتشمل جميع البلاد التي لا تدخل تحت سلطان المسلمين، أو لا تظهر فيها أحكام الإسلام كالجمعة والعيدين سواء أكانت هذه البلاد تحكمها دولة واحدة أو دول متعددة، وسواء أكان أكثر سكانها مسلمين أو غير مسلمين، وسواء أكانت إقامتهم فيها دائمة أو مؤقتة.

● والكافر من دار الحرب يسمى حربيا إذا لم يحصل على أمان من دار الإسلام، وغير معصوم الدم والمال، ويجوز قتله وسلب ماله، كما يجوز أسره والعفو عنه.

● أما المسلم المقيم في دار الحرب، ولم يهاجر إلى دار الإسلام أصلا، فغير معصوم الدم، عند أبي حنيفة، لأن العصمة عنده في دار الإسلام، لكن له أن يدخل في أي وقت، فإذا دخلها صار معصوما.

أما عند الشافعي وأحمد ومالك: فهو كأي مسلم من أهل دار الإسلام، معصوم ولو أنه مقيم في دار الحرب، ولو طالت إقامته، وإذا أراد دخول دار الإسلام لا يمنع منها[5] [6].

---

(١) سورة النساء آية ١٦١

(٢) بدائع الصنائع جزء ٧ ص ١٣٤ .

وحاشية ابن عابدين جزء ٣ ص ٣٥٠ . (٣) بدائع الصنائع جزء ٧ ص ١٠٤ .

(٤) التشريع الجنائي في الاسلام لعبد القادر عودة جزء ١ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦

(٥) بدائع الصنائع جزء ٧ ص ٢٢٢ .

(٦) التشريع الجنائي في الاسلام لعبد القادر عودة جزء ١ ص ٢٧٨ .

وشروط الأحناف في اعتبار دار الحرب ثلاثة:

جاء في حاشية ابن عابدين: [لا تصير دار الإسلام دار حرب: أي بأن يغلب أهل الحرب على دار من دورنا، أو ارتد أهل مصر وغلبوا وأجروا أحكام الكفر، أو نقض أهل الذمة العهد وتغلبوا على دارهم، ففي كل هذه الصور لا تصير دار حرب إلا بهذه الشروط الثلاثة:

١ـ بإجراء أحكام الشرك ـ أي على الاشتهار، وأن لا يحكم فيها بحكم أهل الإسلام، وظاهره: لو أُجريت أحكام المسلمين ـ وأحكام الشرك لا تكون دار حرب.

٢ـ باتصالها بدار الحرب: بأن لا يتخلل بينها بلدة من بلاد الإسلام، وظاهره أن البحر ليس فاصلا، بل إن بحر الملح ملحق بدار الحرب خلافا لما في فتاوي قارىء الهداية.

٣ـ بأن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمنا بالأمان الأول على نفسه الذي كان ثابتا قبل استيلاء الكفار، للمسلم باسلامه، وللذمي بعقد الذمة.

وقالا ـ يعني تلميذا أبي حنيفة وهما أبو يوسف ومحمد ـ : بشرط واحد لا غير وهو إظهار حكم الكفر. وهو القياسي هندية.

ودار الحرب تصير دار إسلام بإجراء أحكام الإسلام فيها كجمعة وعيد، وإن بقي فيها كافر أصلي، وإن لم تتصل بدار الإسلام. . . ويتفرع على كونها صارت دار حرب أن الحدود والقود لا يجري فيها، وأن الأسير يجوز له التعرض لما دون الفرج، وتنعكس الأحكام إذا صارت دار الحرب دار إسلام فتأمل][1].

ـ فعلى رأي أبي حنيفة يمكننا اعتبار:

● كل البلاد التي حكمها الإسلام، ثم حكمها الكفر وبقيت تظهر فيها شعائر الإسلام كالأذان والجمع والأعياد والقضاء الشرعي. أو لم يبق شيء من ذلك ولم تتصل بدار الحرب ـ بأن تكون محاطة بدار الإسلام من جميع جهاتها ـ فهي دار إسلام.

● وكل البلاد التي حكمها الإسلام ثم حكمها الكفر وأزال عنها شعائر الإسلام فلا أذان ولا جمعة ولا شيء من ذلك واتصلت بدار الحرب فقد اصبحت دار حرب والله أعلم.

● وعلى ذلك فكل البلاد العربية على الإطلاق وتركيا وإيران وأفغانستان والهند وتركستان تعتبر دار إسلام.

---

(١) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين جزء ٤ ص ١٧٤ الطبعة الثانية.

● أما على رأي تلميذيه فيمكننا أن نعتبر العالم كله اليوم دار حرب باستثناء بعض الديار التي تحكم بالإسلام، أو يظهر فيها هذا الحكم والله أعلم.

وجاء في كتاب مجموع فتاوى ابن تيمية بشأن تقسيم الديار ما يليَ:

[. . . وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها بل هي صفة عارضة بحسب سكانها فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت. فإن سكانها غير ما ذكرنا، وتبدلت بغيرهم فهي دارهم، وكذلك المسجد إذا تبدل بخمارة، أو صار دار فسق، أو دار ظلم، أو كنيسة يشرك فيها بالله، كان بحسب سكانه، وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها إذا جعلت مسجدا يعبد الله فيه جل وعز كان بحسب ذلك، وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقا، والكافر يصير مؤمنا، والمؤمن يصير كافرا، أو نحو ذلك، كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال.

وقد قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة. . .﴾[1] الآية نزلت في مكة لما كانت دار كفر، وهي ما زالت في نفسها خير أرض الله، وأحب أرض الله إليه، وإنما أراد سكانها.

فقد روى الترمذي مرفوعا: «أنه قال لمكة، وهو واقف بالحرورة: والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن قومي أخرجوني منك لما خرجت»[2] وفي رواية: «خير أرض الله، وأحب أرض الله إلي».

فبين أنها أحبّ أرض الله إلى الله ورسوله، وكان مقامه بالمدينة، ومقام من معه من المؤمنين أفضل من مقامهم بمكة، لأجل أنها دار هجرة، ولهذا كان الرباط أفضل من مجاورة مكة والمدينة كما ثبت في الصحيح:

«رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامة، وإن مات مرابطا جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه، وأمن من الفتان»[3].

وفي السنن عن عثمان عن النبي ﷺ أنه قال:

«رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»[4].

---

(١) سورة النحل آية ١١٢.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الترمذي والنسائي والحاكم ـ صحيح.

وقال أبو هريرة: «لأن أُرابط ليلة في سبيل الله، أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود» .

ولهذا كان أفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع لله ورسوله وإنما يكون في حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور.

«وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدا، وإنما يقدس العبد عمله، وكان النبي، ﷺ، قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في أشياء من جملتها هذا» .

وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام:

﴿. . . سأوريكم دار الفَسقين ﴾ [1].

وهي الدار التي كان بها أولئك العمالقة، ثم صارت بعد هذا دار المؤمنين. وهي الدار التي دل عليها القرآن من الأرض المقدسة، وأرض مصر التي أورثها الله بني إسرائيل فأحوال البلاد كأحوال العباد، فيكون الرجل تارة مسلما، وتارة كافرا، وتارة مؤمنا، وتارة منافقا، وتارة برا تقيا، وتارة فاسقا، وتارة فاجرا شقيا وهكذا المساكن بحسب سكانها. . .][2].

● وجاء في كتاب المغني لابن قدامة:

[أمصار المسلمين على ثلاثة أقسام:

١ـ ما مصره المسلمون: فلا يجوز فيه إحداث كنيسة، ولا بيعة، ولا مجتمع لصلاتهم، ولا يجوز صلحهم على ذلك، بدليل ما روي عن عكرمة قال: قال ابن عباس: «أيما مِصر مصّرته العرب، فليس للعجم أن يبنوا فيه بيعة، ولا يضربوا فيه ناقوسا، ولا يشربوا فيه خمرا، ولا يتخذوا فيه خنزيرا»[3].

لأن هذا البلد ملك للمسلمين.

٢ـ ما فتحه المسلمون عنوة، فلا يجوز إحداث شيء من ذلك، لأنها صارت ملكا للمسلمين، وما كان فيه من ذلك ففيه وجهان:

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٥ .

(٢) كتاب مجموع فتاوى ابن تيمية جزء ١٨ ص ٢٨٢ .

(٣) رواه أحمد .

أ ـ يجب هدمه.

ب ـ يجوز بقاؤه ـ لحديث ابن عباس: «أيما مصر مصرته العجم، ففتحه الله على العرب، فنزلوه فان للعجم ما في عهدهم»[1].

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عبد الرحمن بن نعيم: «لا تهدموا كنيسة ولا بيعة، ولا بيت نار صولحتم عليه»[2].

ولأن الإجماع قد حصل على ذلك، فإنها موجودة في بلاد المسلمين من غير نكير.

٣ـ ما فتح صلحا: وهو نوعان:

أ ـ أن يصالحهم على أن الأرض لهم ولنا الخراج عنها، فلهم إحداث ما يحتاجون فيها، لأن الدار لهم.

ب ـ أن يصالحهم على الدار للمسلمين، ويؤدون الجزية إلينا، فالحكم في البيع والكنائس على ما يقع عليه الصلح معهم، من إحداث ذلك وعمارته ـ أم لا ـ والأولى أن يصالحهم على ما صالحهم عليه عمر بن الخطاب، حيث روى كثير بن مرة قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تبنى الكنيسة في الإسلام، ولا يجدد ما خرب منها».

والأولى إجلاؤهم من أرض العرب كلها ـ على تفصيل في المذاهب ـ لأن رسول الله ﷺ، قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب».

وقول النبي، ﷺ: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فلا أترك فيها إلا مسلما»[3].

وقول النبي، ﷺ: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالث»[4][5].

● وإقامة دار الإسلام في الأرض: بخلافتها الشرعية، واجب شرعي على المسلمين، لتكون دارا لهم، يأمنون فيها على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم،

---

(١) رواه أحمد

(٢) رواه الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ـ أهل الذمة.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) كتاب المغني لابن قدامة المقدسي جزء ٨.

ولتكون قاعدة لهم، ينطلقون منها لحمل الرسالة وتبليغ الأمانة، وارجاع الديار المغتصبة المسلوبة من ديار الإسلام إلى أهلها، ولتحويل الدنيا بكاملها إلى دار إسلام وعدل وإيمان.

قال تعالى: ﴿وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصَّلحت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفَسقون﴾[1].

● أما الهجرة: من دار الكفر إلى دار الإيمان، لمن قدر عليها فمطلوب شرعي مستمر وماض إلى يوم القيامة، وثابت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿إن الذين توفَّهم الملئكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا﴾[2].

وقال تعالى:

﴿والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجٰهدوا معكم فأولئك منكم. . .﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جٰهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يٰعبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾[5].

قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة، لم يهاجروا، ناداهم باسم الإيمان.

وقال ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[6].

وقال ﷺ: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»[7].

---

(١) سورة النور آية ٥٥.
(٢) سورة النساء من آية ٩٧ ـ ٩٩.
(٣) سورة الأنفال آية ٧٥.
(٤) سورة النحل آية ١١٠.
(٥) سورة العنكبوت اية ٥٦.
(٦) أسنده المناوي في كتابه كنوز الحقائق إلى ابن عساكر بلفظ: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل». وإلى أحمد بلفظ «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار».
(٧) رواه أحمد.

وقال البغوي في شرح السنة: [أي ما دام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه][1].

قال الحنابلة: [وتجب الهجرة على من لم يقدر على إظهار دينه في دار الحرب، وتستحب لمن قدر على ذلك][2].

وقال الأحناف: [الهجرة واجبة من دار الكفر والبدعة إلى دار الإسلام].

وقال الماوردي وعلى مذهب الشافعية: [إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر، فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها، لما يترجى من دخول غيره في الإسلام].

أما قول النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا».

وقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»[3].

فالمراد بهذا الحديث في عهد النبي ﷺ من مكة إلى المدينة بعد أن فتحت وصارت دار إسلام بعد أن كانت دار حرب، وقد دل على تخصيص هذ المعنى في هذا الحديث الأيات والأحاديث التي سبقته.

---

(١) كتاب فتح الباري.

(٢) كتاب العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي ـ باب الأمان.

(٣) رواه البخاري.

كلمة الختام

الحمد لله رب العالمين، الذي بفضله ومنه، وتوفيقه وعونه تم تأليف هذا الكتاب «الجهاد سبيلنا» على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه ورضاه: عبد الباقي عبد القادر رمضون، من أهالي مدينة حمص في سوريا، وذلك في ختام شهر رمضان المبارك، من عام ١٤٠٥ هـ، وتم طبعه في النصف الأخير من شهر رمضان المبارك من العام التالي ١٤٠٦ هـ، بمطابع الشمال الكُبرى بتبوك.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع قراءه والسامعين وجميع المسلمين، وخاصة منهم المجاهدين والعاملين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني عملا صالحا جاريا إلى يوم الدين، وأن ينجيني به من سخطه وعذابه، ويدخلني به في رضاه وجنته في زمرة عباده المتقين، إنه هو السميع العليم ذو الفضل العظيم.

وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الأتقياء والصالحين، وقائد المجاهدين المخلصين، ورائد الصابرين المحتسبين، وسيد الخلق أجمعين، نبينا ورسولنا محمد، صلاة وسلاما خالصين دائمين إلى يوم الدين، ورضي الله عن آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

عبد الباقي عبد القادر رمضون

أهم مصادر الكتاب

- القرآن الكريم.
- تفسير الجلالين للسيوطي.
- تفسير ابن كثير لعمر بن كثير.
- تفسير القرطبي.
- تفسير الطبري.
- الجامع الصغير للسيوطي.
- الترغيب والترهيب للمنذري.
- رياض الصالحين للنووي.
- كتب السنة الستة.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- الأذكار للنووي.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- السيرة النبوية لابن كثير.
- حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي.
- حاشية ابن عابدين «رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار».
- المبسوط للسرخسي.
- بدائع الصنائع.
- الخراج لأبي يوسف.

- المجموع شرح المذهب للنووي .
- الأم للشافعي .
- أحكام القرآن للشافعي .
- الفقه الميسر لأحمد عيسى عاشور.
- الأحكام السلطانية للماوردي .
- المغني لابن قدامة المقدسي .
- الزوائد لمحمد عبد الله آل حسن .
- الروض المربع للعنقري شرح البهوتي .
- العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي .
- مجموع فتاوى ابن تيمية .
- بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك.
- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري .
- التشريع الجنائي في الإسلام لعبد القادر عودة .
- لسان العرب لابن منظور.
- مختار الصحاح للرازي .
- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية .
- زاد المعاد لابن قيم الجوزية .
- مجمع الأنهر من شرح ملتقى الأبحر.
- المنهاج للنووي .

الفهرست

الموضوع — رقم الصفحة:

المقدمة ٥
تقريظ لفضيلة الشيخ محمد علي مشعل ٧
إهداء ٩
معنى الجهاد في سبيل الله ١١
مراحل نزول الأمر بالجهاد في سبيل الله ١٥
١ـ جهاد الدعوة دون السيف ١٦
٢ـ فرضية الجهاد الدفاعي ١٩
٣ـ إباحة الجهاد الهجومي ٢٣
٤ـ فرضية الجهاد المطلق ٢٦
٥ـ جهاد أهل الكتاب والمشركين ٣٤
٦ـ جهاد المرتدين ٣٦
٧ـ جهاد البغاة الخارجين ٣٨
٨ـ جهاد المحاربين المفسدين ٤٠
٩ـ جهاد المنافقين ٤٢
١٠ـ جهاد الظالمين ٤٦
القعود عن الجهاد والفرار من الزحف ٥٤
شروط الجهاد في سبيل الله ٦٥
١ـ الإخلاص ٦٥
٢ـ الإبلاغ ٦٧
٣ـ خلو العهد ٦٩
٤ـ رجاء الشوكة ٧١

الموضوع	رقم الصفحة
٩ـ العدل مع أهل الذمة	١١٧
١٠ـ الشدة في الحرب والرحمة في السلم	١٢٠
آداب المجاهد في سبيل الله	١٢٢
١ـ أدب المجاهد مع ربه	١٢٤
٢ـ أدب المجاهد مع نفسه	١٢٦
٣ـ أدب المجاهد مع أخوانه	١٢٧
٤ـ أدب المجاهد مع قيادته	١٣٠
٥ـ أدب المجاهد مع المجاهدين	١٣٢
٦ـ أدب المجاهد في السير للقتال	١٣٧
٧ـ أدب المجاهد عند القتال	١٤١
٨ـ أدب المجاهد بعد انتهاء القتال	١٤٤
٩ـ أدب المجاهد مع سلاحه	١٤٦
١٠ـ أدب الناس مع المجاهد	١٤٨
فضل الجهاد في سبيل الله	١٥٠
١ـ ركن من أركان الإسلام	١٥٠
٢ـ ذروة سنام الإسلام	١٥١
٣ـ أفضل العبادات	١٥١
٤ـ الشهادة فيه أفضل الاستشهاد	١٥٤
كرامة المجاهدين والشهداء	١٥٧
١ـ لهم أعظم الأجر	١٥٧
٢ـ عملهم جار وهو أفضل الأعمال	١٥٨
٣ـ أحياء يرزقون	١٥٩
٤ـ محجوبون عن نار جهنم	١٦٠
٥ـ عملهم مضاعف عن غيرهم	١٦١
٦ـ وفود الله وأجرهم مضمون	١٦٢
٧ـ يغفر لهم ويستجاب دعائهم	١٦٤
٨ـ يحبون الاستشهاد مرات	١٦٥
٩ـ تظلهم الملائكة ولهم حلل	١٦٥

Maktabatul 'ilmi

الموضوع	رقم الصفحة
٥ـ إذن الإمام	٧٣
٦ـ إذن الوالدين والسيد والدائن	٧٤
٧ـ شروط التكليف	٧٥
غاية الجهاد في سبيل الله	٧٦
١ـ كسب رضوان الله	٧٦
٢ـ تبليغ الدعوة	٧٦
٣ـ لتمكين المسلمين	٨٠
٤ـ تمحيص المؤمنين	٨٢
مقومات الجهاد في سبيل الله	٨٥
١ـ مقومات الجهاد المعنوية	٨٧
أ ـ قوة الإيمان	٨٧
ب ـ وحدة الصف	٩٠
ج ـ التعاون	٩٥
د ـ الصبر	٩٨
٢ـ مقومات الجهاد المادية	١٠٠
أ ـ اللياقة البدنية	١٠٠
ب ـ الخبرة القتالية	١٠٢
ج ـ التخطيط القتالي	١٠٣
د ـ التسليح القتالي	١٠٥
آداب الجهاد في سبيل الله	١٠٩
١ـ دعوة الكفار للإسلام	١٠٩
٢ـ الوفاء بالعهود	١٠٩
٣ـ عصمة الدم إلا بحق	١٠٩
٤ـ النهي عن التمثيل	١١١
٥ـ النهي عن الإتلاف	١١٣
٦ـ النهي عن الغلول	١١٣
٧ـ إجارة المستجير	١١٥
٨ـ الإحسان إلى الأسير	١١٦

الموضوع	رقم الصفحة
١٠ـ القتل لديهم كمس القرصة ولا يعذبون في قبورهم	١٦٧
١١ـ أرواحهم في أجواف طير	١٦٩
١٢ـ يبعثون على نجائب وجرحهم ينزف	١٦٩
١٣ـ يزوجون بالحور العين ويشفعون	١٧٠
١٤ـ من تحت سلاحهم جنات الخلود	١٧٠
١٥ـ هم خير الناس يحبهم الله ويضحك إليهم	١٧١
التعاهد مع الكفار	١٧٣
الأمن الجهادي	١٧٧
الحرب المعنوية والنفسية ...	١٠١
حصائل الجهاد في سبيل الله	٢٠٨
١ـ الغنيمة	٢٠٨
٢ـ النفل	٢١٠
٣ـ الأسرى	٢١٢
٤ـ الجزية	٢١٤
٥ـ الفيء	٢١٧
٦ـ الخراج	٢١٨
تقسيم الديار في الإسلام	٢١٩
كلمة الختام	٢٣٢
أهم مصادر الكتاب ...	٢٣١
فهرس الكتاب	٢٣٣